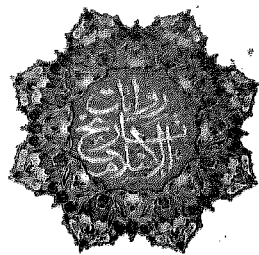
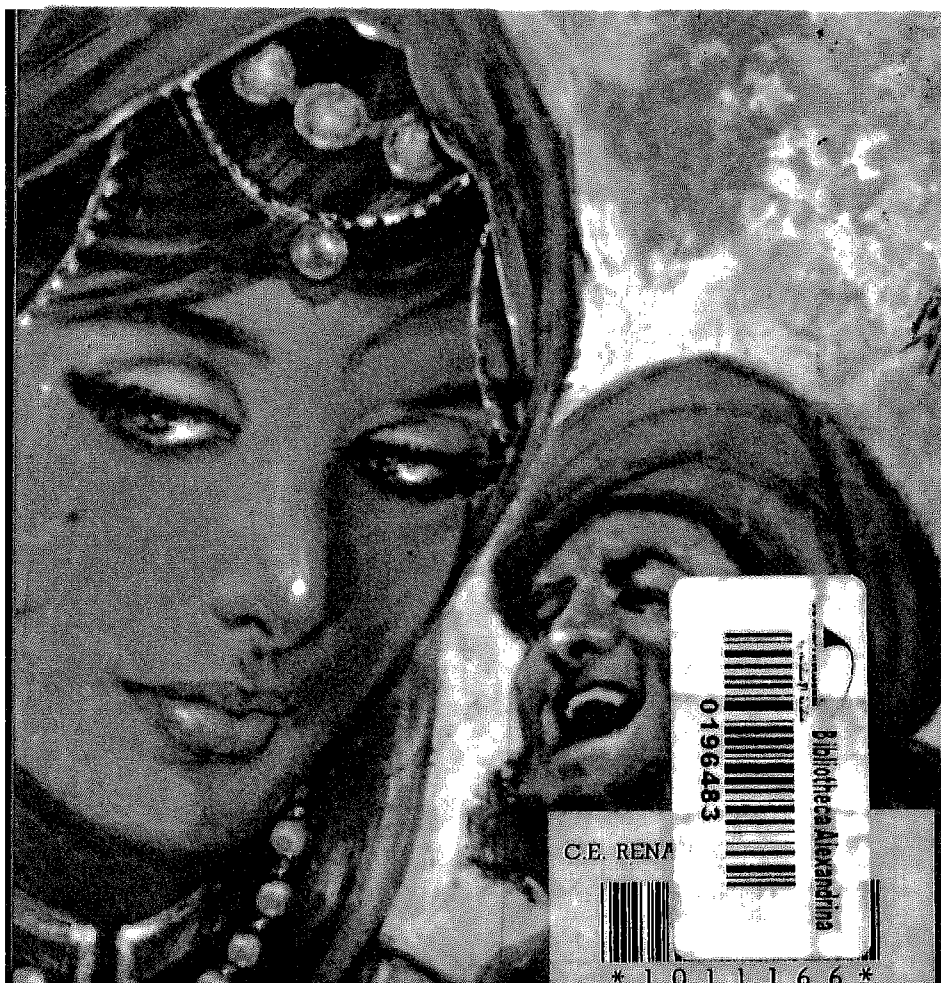


١٧ رَمَضَانُ



جُرحِي زِيْدَان



GIFTS OF 1996
BIBLITHEQUE
INTERUNIVERSITAIRE DES
LANGES ORIENTALS
PARIS

١٧ رمضان

تتضمن تفصيل مقتل الامام علي وبسط حال الخوارج
تتمة الفتنة التي حدثت بسبب مقتل الخليفة عثمان ،
مقتل بنو أمية بالخلافة وخروجها من أهل البيت

COMITÉ D'ÉTABLISSEMENT

R.N.U.R. FLINS

Bibliothèque

78410 AUBERGENVILLE

N° Inventaire 2..8..6..6..6....

Cote 2..A..X..R.....855.7.1..

المكتبة الادبية - بيروت

أبطال الرواية

علي بن أبي طالب	✽	رابع اجتماع الراشدين
معاوية بن أبي سفيان	✽	أول ملوك الدولة الاموية
عمرو بن العاص	✽	والي مصر
قطام بنت عدي	✽	غادة الكوفة
العجوز لبابة	✽	مربية قطام
سعيد الاموي	✽	عاشق قطام
عبد الرحمن بن ملجم	✽	قاتل الامام علي
الحسن والحسين	✽	ابنا علي
عمرو بن بكر	✽	المتآمر لقتل عمرو بن العاص
البركة بن عبد الله التميمي	✽	المتآمر لقتل معاوية

مراجع هذه الرواية

تاريخ ابن الأثير	✽	أسد الغابة
العقرب المأم	✽	مروج الذهب للمسعودي
تاريخ الخميس	✽	تاريخ القرطبي
السيرة الحلبية	✽	ابن دقاق

فذلكة تاريخية

الخوارج جماعة من رجال الامام على بن ابي طالب نعموا عليه قبوله التحكيم على اثر وقعة صفين ، وكانوا قبل ذلك في مقدمة الدين حرضه على قبوله . لكنهم لما راوا التحكيم ادى الى خروج الخلافة من يده الى يد معاوية بن ابي سفيان نقضوا بيعته ونبذوا طاعته ، وظلموا فيها لانفسهم فبايعوا واحدا منهم يدعى عبد الله بن وهب ، وحاربوا تحت رايته زمنا

ولما صدر حكم الحكيمين بخلع على وثبيت معاوية اشتد ازر معاوية ، وبويع بالخلافة في الشام

وكان الخوارج ما زالوا في بدء امرهم . فأخذ على يتجهز لحرب معاوية . وفيما هو في ذلك جاءه الخبير بتألب الخوارج ونمردهم ، فنصح لهم بالطاعة وبين لهم انه لم يخطيء بقبول التحكيم وانه لم يقبله الا اجابة لطلبهم ، واكنهم لم يرتدعوا . فرأى ان يستأصل شأفتهم قبل خروجه الى معاوية ، فحاربهم في مواقع عدة أشهرها موقعة النهروان وراء دجلة بالقرب من بغداد ، وقد انتصر فيها عليهم نصرا مبينا وشتت شملهم . على انهم عادوا الى الاجتماع في الخفاء

وفي سنة ٣٨ هـ فتح عمرو بن العاص مصر ، وقتل محمد بن ابي بكر عاملها . وتولاها باسم معاوية . فأصبح معاوية خليفة في مصر والشام ، وجعل مقامه دمشق . وبقي على بن ابي طالب خليفة في العراق والجزيرة والحجاز واليمن ، وجعل مقامه الكوفة .

ثم احد معاوية يبعث سراياه الى بلاد الامام على يبغي فتحها ليستأثر بالخلافة . فأنفذ جندا الى مكة . وآخر الى اليمن . وتالتا الى الجزيرة ، وظلوا يحاربون ويناونون واكنهم لم يلبثوا اربا حتى دخلت سنة اربعين للهجرة . فتأهب الامام على للخروج الى قتال معاوية ، في جيش قوامه اربعون الفا من انصاره بايعوه على الفور او الموت . وفيما هو في ذلك فاجاه الغدر فمات مقتولا كما سترى تفصيل ذلك في هذه الرواية

غادة الكوفة

الكوفة مدينة اسلامية ، مصرها سعد بن أبي وقاص أحد كبار الصحابة ، في السنة السابعة عشرة للهجرة على عهد الخليفة عمر بن الخطاب بعد فتح العراق ، وكان عمر قد أشار عليه « بأن يقيم في مكان لا يحول بينه وبين المدينة بحر ولا جسر حتى اذا أراد ان يقدم اليه على راحلته قدم » . فبنى الكوفة غربى الفرات على شاطئ بحيرة كانت هناك بقرب مكان الحيرة ، بينها وبين الفرات بضعة وعشرون ميلا

وكان بناؤها في أول أمرها بالقصب ، فأصابها حريق فاستأذنوا الخليفة في بنائها باللبن فقال : « افعلوا » ، ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة أبيات ، ولا تطاولوا في البنين ، والزمو السنة يلزمكم الدولة » . ففعلوا وجعلوا طرقها نوعين : المناهج وعرض كل منها عشرون ذراعا ، والأزقة وعرض كل منها سبع أذرع . وما بين المناهج أماكن البناء وقدرها أربعون ذراعا ، والقطائع وقدرها ستون ذراعا

وكان المسجد أول شيء خطوه فيها ، فوقف في وسط المدينة رجل شديد النزع رمى إلى كل جهة بسهم ، ثم أقيمت المباني فيما وراء السهام ، وترك ما دونها للمسجد وساحته . وبنوا في مقدمة المسجد ظلة أو رواقا أقاموه على أساطين من رخام كان الأكاسرة قد جلبوها من أروبة الحيرة . وجعلوا على الصحن خندقا ثلثا يفتححه أحد بنيان ، وبنوا لسعد بن أبي وقاص قصرا بجانب المسجد نقلوا حجارتهم من أجر بنيان الأكاسرة وسموه قصر سعد

وقد زاد عمران الكوفة حين اتخذها الإمام على مقرا له بعد وقعة الجمل سنة ٣٦ هـ اذ تقاطر اليها المسلمون من جميع الأنحاء ، وتكاثرت فيها الأبنية وعمرت الأسواق وأنشئت حولها الحدائق والبساتين مما يلي بحيراتها وكان في ضاحية الكوفة على شاطئ البحيرة حديقة من نخيل ، حولها سور من جلدوع النخل يحيط بها إلا من جهة البحيرة . وفي وسط الحديقة بيت مبني من اللبن ، يدل جلال بنائه على أن سكانه من أهل اليسار ، وقد بخيل اليك اذا دخلت حديقته انه مسكن بعض الأمراء ذوي الخدم والحشم ، لما يرى بين نخيلها من آثار المعالف والأوتاد والسلاسل والقيود ، ولتناكل

جلود بعض النخيل من كثرة شد الأمراس اليها وتعود الخيل تقشيرها وهي مشدودة اليها

ففى ليلة من اوائل السنة الأربعين للهجرة ، والوقت خريف ، وقد نضج الثمر على نخيله وليس من يقطعه ، فتساقط بعضه على الأرض وليس من يلتقطه . كان القمر بدراً وقد اطل من وراء الأكام فأرسل ظلال النخيل مستطيلة متقاطعة ، وكان الجو هادئاً والسكوت سائداً لبعدها عن المكان عن المدينة وضواؤها ، فلم يكن يسمع غير تقيق الضفادع على شاطئ البحيرة يتخلله صرير الصراصير وقرقرة القر . وربما هب النسيم فأسمعك حفيف سعف النخل هنيهة ثم انقطع . ولقد تعجب لوحشة ذلك المكان مع ما تراه من آثار الانس ودلائل الأبهة

وهناك فى المنزل المؤلف من ثلاث غرف متصل بعضها ببعض ، وقد فرشت أرضها بحصر من سعف النخل فوقها جلود الماعز ، وضعت فى احداها طنفسة جميلة عليها وسائد من الخز ، ووضع فى بعض جوانبها مصباح ضعيف النور ، وجلست على إحدى الوسائد فتاة فى مقتبل العمر اشرق وجهها بقاء الشباب ، وقد حلت شعرها الاسود فأرسلته على كتفها فحجب بعض جبينها ، وغطى عذارها فحجب قرطها وسالفيها ولكنه زاد عينها كحلا واشراقا . ولكن عينها اللعابون اليراقطين قد غشيها الدمع فاخذ ينحدر على وجنتين محمرتين بينهما أنف دقيق مستقيم تحته فم صغير . فاذا ازداد انسكاب الدمع تلقته باطراف جدائلها أو بأحد كعبيها . وكانت لاسية جليها أسود زادها جلالاً وفتنة . وكان هذه الغادة استأنست بوحدتها فأطأقت لنفسها هنان البكاء حيث لا رقيب ولا حسيب فأخذت تندب فقيدى عزيزين قتلا فى يوم واحد

تلك هى « قطام بنت شحنة بن عدى » من قبيلة الرباب ، فتاة الكوفة الفتانة التى ذاع صيتها فى الافاق ، وسمع بجمالها القاصى والدانى حتى أصبحت فتنة الكوفيين ومضرب أمثالهم ، وشخصت اليها الابصار وحامت حولها القلوب ، فباتت معجبة بجمالها لا تعرف هما ولم تذل غما حتى بليت يقتل ابوها وأخيها مصفاً وقعة النهروان ، اذ كانا من جملة الخوارج الذين تقموا على الامام على لقبوله التحكيم فأنضموا الى من نقض بيعته وحاربوا فى جملة من حاربه

وكانت قطام ثابتة الحاشى شديدة الميل الى الانتقام ذات حيلة ودهاء ، ما انفكت منذ قتل ابوها وأخيها وهي تندبهما وتلمس الانتقام لهما . ولكنها لم تكن تستطيع المجاهرة بذلك والكوفة مقر الامام على ومجتمع انصاره وشيعته . فأقلمت بمنزلها هذا فى ضاحية الكوفة وحيدة ليس معها سوى عبد كهل ردى فى أهلها منذ صباه ، وقد هجرها بعد ان بليت بمصبتها جميع

الخدم والاعوان ما عداه . وكانت ترتاح الى بث شكواها له ، وكان هو يخفف منها ويعدها بنيل المرام

وفي اصيل ذلك اليوم كانت قد انفذته ليستقدم لها عجوزا من مولدات الكوفة ، كانت قد رببت بين ذراعيها منذ نعومة اظفارها وهي تحن اليها حينها الى امها ، فلما طال غيابها وسدل الليل نقابا ولم يعد ، شغلت بذلك من احزانها وهواجسها وهي وحيدة في هذا البيت . ولكنها كانت اذا سكنت هنية تذكرت ابائها واخاها ومن كان يقيم في تلك الدار من الخدم والعبيد فتعود الى البكاء والنحيب



وفيما هي في ذلك سمعت وقع اقدام مسرعة عرفت انها خطوات عبدها ربحان ، فاجفلت ولكنها استأنست به فوقفت واسرعت لاستقباله . وكان ربحان طويل القامة ، شديد السواد ، خفيف العضل ، سريع الحركة ، جاحظ العينين ، افسطس الانف ، عظيم الوجنتين ، بلرز الاسنان يزيد بها بروزا تدلى شفته السفلى وانحسار شفته العليا . وكان يتفانى في خدمة سيده فابتدعها بالسلام . فقالت : « ما الذي احرك يا ربحان وانت تعلم اني وحيدة هنا . اين المجوز لبابة ؟ »

قال : « انها قادمة على اثرى »

قالت : « وما سبب غيابك حتى الآن ؟ »

قال : « كنت في انتظارها وهي تخاطب شابا وتجادله ... »

قالت : « ومن هو هذا الشاب ؟ »

قال : « لا ادري . . وهذه هي قد اقبلت وستقص عليك الخبر مفصلا » وما اتم كلامه حتى دخلت المجوز تتوكأ على عكازها وقد احذوب ظهرها ونال منها الكبر فزادها قصرا ولكنها ما زالت سريعة الحركة شديدة المصب ، وكانت نمصاء العينين غائرة الفم لخلوه من الاسنان ، مجمدة الخدين غائرتها . فتقدمت الى قطام وقد غطت شعرها الشائب بنقاب اسود تجره وراءها لطوله وقصرها . وحالما دنت منها قبلتها واخذت تخفف عنها وتقول : « لا بأس عليك يا ابنتى ، اعدرينى لايطائى في الحضور »

فلم تزد الفتاة الا بكاء وهي تقول : « ما الذى يشغلك عنى يا خالة وانت تعلمين ان ليس لى معز فى احزائى سواك »

قالت : « هونى عليك يا قطام واستريحى ، فقد جئتك بالفرج باذن الله »

قالت : « من اين ياتينى الفرج ولا يفرج كربتى الا الانتقام ؟ »

قالت ذلك وحرقت اسنانها وهى تتشافل بجميع شعرها وارساله وراء ظهرها . ثم مسحت عينيهما بكما الطويل وأرسلته على كتفيه فبانت اساورها ودمالجها حول معصمها الممتلىء ونظرت الى المعجوز كأنها تسالها الايضاح

فضحكت المعجوز وهى تنظر اليها ، ثم كفت عن ضحكها فجأة وكأنها تذكرت امرا محزنا فاستاءت قطام من ضحكها وهى تبكى وقالت : « ما بالك تضحكين ؟ اتهزئين بكلامى . انى والله لا اقنع بما دون الانتقام »

فامسكتها المعجوز بيدها وأقعدتها على الوسادة وجلست الى جانبها ، ونظرت الى ربحان نظرة فهم منها أنها تريد خروجه لتخلو الى قطام . فخرج فليست قطام تنتظر ما تقوله المعجوز . فاذا بها تظل كأنها تنهيا لحديث طويل ثم قالت : « وماذا تريد يا قطام ؟ »

قالت : « أريد أن أثار لأبى وأخى اللذين قتلها على ظلما ، ولا بد لى من الانتقام »

قالت المعجوز : « ما قولك فى انى وجدت لك من يأخذ لك بشارك ؟ »

قالت : « من هو ؟ قولى »

قالت : « اصبرى ولا تكونى لجوجة . اترفين سعيدا ؟ »

قالت : « وانى سعيد ؟ » . قالت : « سعيد الاموى الشاب الجميل الواقع فى هواك »

قالت : « دعينا من الحب والفرام وحدثينى عن الانتقام »

قالت : « سبحان الله ! احبيبنى عن سؤالى . الا تعرفين هذا الشاب المفرم بك ، المفتون بسواد عينيك ؟ »

فتعلمت وقالت : « نعم أعرفه ، وماذا فى معرفته ؟ . بالله عليك لاتذكرى الفرار ، انى لا أشعر بماطفة الحب ، ولا يهمنى احبنى الناس ام ابغضونى »

فابتسمت المعجوز ابتسامة الاستخفاف وقالت : « يا للعجب ! . ما أكثر لجاحتك . اذا كنت تعرفين سعيدا هذا فهل تحبينه ؟ »

فاجابت على الفور : « لا . لا . لا أحب ، ولا أحب احدا ان قلبى فى شافل عن الحب بالبغض . انى ابغض بعض الناس ولا أحب احدا »

قالت : « اذا كان لابد من الانتقام فيجب أن تحبى سعيدا »

قالت : « كيف أحبه وليس فى قلبى موضع لغير البغض والحقد . انى حاقدة ناقمة »

قالت : « أنا أعلم ذلك ، ولكن احبى سعيدا ولو الى حين وهو ينتقم لك »

فبغنت قطام ، ونظرت الى المعجوز وجعلت تتفرس فيها لتتحقق أنها تجد

ولا تهزل ، فلما آنست الجد في لهجتها قالت : « هل تقولين حقا ؟ . وهل سعيد يرضى أن يركب هذا المركب الخشن ؟ »
قالت : « انى أجعله يركبه ، فان لم يكن أهلا له فهو ليس أهلا لحبك .
ما رأيك ؟ »

فصمت هنيهة ثم قالت : « أحبه ؟ . نعم أحبه اذا كان الامر كذلك ولو الى أجل قريب . ولكننى لا اظنه أهلا لهذا العمل ، بل لا أحسبه يقدم عليه . ولكن قولى لى هل تتكلمين من عند نفسك أم سمعت ذلك منه ؟ »

فاعتدلت العجوز في مجلسها ، ونظرت الى قطام وقالت : « اعلمى يا حبيبتى ان سعيدا هذا قد علق بك وأحبك منذ بضعة اعوام ، ولكنه لم يكن يتجرأ على مخاطبة أبيك في الامر ، لان أباك كان يومئذ في جلة القائمين بنصرة على . وسعيد كما تعلمين أموى . اى انه ممن تقموا على (على) وقاموا للمطالبة بدم عثمان . فكان يعلم انه اذا خطبك من أبيك يومئذ فلن ينال غير الفشل . أما بعد ان خرج أبوك على خلافة على ، ونبذ طاعته في جلة من خرجوا عليه بعد التحكيم ، فقد حدثت سعيدا نفسه بأن يخطبك ، فكلمنى في شأنك مرارا . ولكن أباك كان مشغولا بمحاربة على وشيعته فلم اتمكن من التوسط له . فلما علم بقتله وقتل أخيك . واحسرتاه عليهما (وتنهدت وهى تتظاهر بمسح دموعها) عاد الى مخاطبتى في ذلك . وقد كنت أسوفه لعلمى بحزنك الشديد ، ولكنه لم يزل يتردد على ويستنهنضى واعدا بأن يبدل كل مرتخص وغال في سبيل التمتع بهذا الوجه الجميل ، الى ان جاءنى اليوم وأعاد الكرة وألح كثيرا ، فلمحت له الى انه اذا طمع في رضاك ، فلا سبيل الى ذلك سوى الانتقام لأبيك وأخيك ، وقد آنست منه ارتياحا فاطلت الكلام معه وريحان في انتظارى ، وهذا هو سبب غيابى عنك . فما قولك ؟ »

فلما سمعت قطام كلامها استبشرت بنيل مرامها فقالت : « وهل تريه ينفى بالمهد ، او يستطيع قتل على بن أبى طالب . انى لا أقبل مهرا اقل من ذلك »

قالت : « اظنه يقبل ، وأرى أن أستقدمه اليك ، ونظرا الى ما اعهدته فيك من المهارة لا أشك في انه يأخذ على نفسه العهد أن يقوم بكل ما تريدينه ، ولا سيما اذا أظهرت له ميلا ، وذكرت له أنك تحبينه ، وتغننت في أساليب الدلال والتمنع ، مشرطة أنك لا تتزوجين منه الا بعد قتل على . فاذا عاهدك على هذا صبرنا حتى يقتله ، فاذا لم يفعل ، او لقي حتفه ، كان دمه على رأسه والسلام . ما قولك ؟ »

فاثرق وجه قطام وان تاحت الى هذا الراى وقالت : « لا بأس بما أشرت به . أستقدميه لنرى ما يكون . ولكن لا تنسى أن تذكرى له انى لم أقبل بعد ، وبالفى في وصف تمنى ، وعلى بعدئذ أن أكمل الحيلة »

فاغرقت المجوز في ضحكها وقالت : « ساعحك الله يا قطام ، الا تزالين تحسبيننى ساذجة ، وهل تجهلين أين قضيت هذه الشبية ؟ انى قضيت عمرى في مثل هذه الشؤون ، فكم زوجت من رجال ، وكم اقنعت بالزواج نساء كان قبولهن اياه ضربا من المحال . لآتخافى على ، كما انى لا اخاف عليك . » قالت ذلك ونادت ربحان فاسرع اليها . فقالت له : « هل تعرف الشاب الذى كان عندى الليلة ؟ »

قال : « نعم أعرفه » . قالت : « سر اليه ، انه ما زال في المنزل حيث رايتنا الليلة ، وقل له : (ان خالتك لبابة تدعوك اليها) . . » قال : « واذا أبى ، فماذا أقول له ؟ »

قالت : « لا أخاله أبى ، بل سيسبقك في المجيء ، فاذهب وادعه » . قال : « سمعا وطاعة » . وخرج



كان سعيد شابا امويا في حوالى الثلاثين من عمره ، توفى ابوه وهو طفل فكلفه جده وقضى صباه وشبابه مع جده في منزل الخليفة عثمان وكانا من اخلص مريديه . فلما قتل عثمان كان سعيد وجده في مقدمة الناقمين لعثمان والمطالبين بدمه . فلما كانت موقعة الجمل كان سعيد في جلة رجال ام المؤمنين ، وظل جده مقيما بمكة لشيخوخته . فلما فشل جند ام المؤمنين وعادت الى مكة عاد هو معها وظل عند جده ولم يخرج لموقعة صفين

ولكنه كان يتردد على الكوفة ، وكان يسمع بقطام هذه وجالها ، وقد رآها مرارا وهى بالخمير ف وقعت من نفسه موقعا عظيما ولكنه لم يجرؤ على التقدم لخطبتها ، لان اباهما كان قبل تحكيم الحكيم من شيعة الامام على ، فلم يكن لزوج ابنته باموى يطالب بدم عثمان . فلما خرج الخوارج عن طاعة الامام على بعد التحكيم ، استبشر سعيد وامل نيل مرامه ، ولكنه لم يتمكن من السعى في طلبها الا بعد مقتل ابيها وأخيها . فجاء الى لبابة ووسطها في الامر ، فاستخدمت هذه كل دهائها في اغرائه بقتل على ، وتركته بقية الحيلة لقطام لعلمها انها لا تنقل عنها دهاء ومكرا

وكان سعيد حسن الطوية قليل الاختبار ، وبخاصة فيما يتعلق بدهاء العجائز . ولكنه كان جميل الصورة ممجبا بجماله وقد اعمى غرامه بصيرته فلم يحد يرى غير قطام أو يحلم الا بها . فلما جاء المجوز في تلك الليلة وخطبها في شأها واظهرت ما اظهرته من التمتع ازداد رغبة فيها وبذل كل ما في وسعه من الوعود في سبيل ارضائها ، واغرى المجوز بكل ما يرضيها من المال والحلى فوعده ان تسمى في ترغيبها . ومضت وتركته يتقلب على جزر الانتظار

فلما جاءه العبد يدعو إليها خفق قلبه وهول مسرعا يتعثر بأذياله
فاخترق أسواق الكوفة وهو لا يرى شيئاً مما فيها لاضطرابه وتهيبه اجتماعه
بقطام منى قلبه وغاية مرامه ، فكان إذا تصور رضاها أشرق وجهه وطار
فرحاً . ثم يعترض تصويره ما آتسه في حديث العجوز من أن الفتاة تمنع ،
ويتذكر ما بدر منه من الوعد بالانتقام ، فتنبض نفسه ويضطرب لهول الموقف .
على أن هيامه كان يهون عليه كل عسر ويصور له المحال ممكناً . فخيّل إليه
أن قطام إذا رأت جماله وتحققت ما هو فيه من الوجد لالتبت أن تقع في هواه
وتغضى عن أمر الانتقام

وفي ذلك ومثله قطع طريقه ، وريحان يخطو أمامه خطواته المتباعدة لطول
سابقه ويحاول الإبطاء في مسيره لئلا يسبق سعيداً ولكنه ينسى ويعود إلى
الأسراع ، فاذا تنبه إلى أنه قد سبقه عاد يمشى الهوينى حتى يلحق به . كل
هذا وسعيد في شغل بأحلامه وأمانيه

ولما جاوزا المدينة ، آتسا سكوتا لا يسمع فيه إلا صوت الحصى تحت أقدامهما ،
والكوفة كثيرة الحصى والرمال ، حتى وصلا إلى باب البستان ودخلا بين
النخيل ، فقال ريحان : « أمهلنى يا مولاي ريثما أدخل المنزل ثم أعود اليك »
فظل سعيد يمشى بين النخيل ، وهو يتشاغل برؤية ظلالها ، وبلاستماع
لنقيق الضفادع على شاطئ البحيرة ، بينما يهيم نفسه لمقابلة قطام ، فيصلح
عمامته ويمشط شاربيه ولحيته ، وينفض جيبته . ويصلح وضعها
ولما طال انتظاره قلق وحدثته نفسه بأن يستأذن في الدخول إلى الدار .
وفيما هو بهم بذلك سمع حركة ومشيا ، وبعد هنيهة ظهر له نور عند الباب
وسمع ريحان يناديه ، فهورول وقلبه يخفق وربكته ترمشان رعشة الحب
والبغته ، فعثرت رجله بحبل من ألياف النخيل كان مشدودا إلى جدد نخله ،
فكاد يقع ، ثم تقدم نحو باب الدار فاستقبلته لبابة مرجحة ، ومشت أمامه
وريحان يتقدمها بالمصباح . فدخلت به حجرة قطام ، ودعته للجلوس على
وسادة وجلست هي على وسادة أخرى ، وترك ريحان المصباح هناك وخرج
وكان سعيد يتوقع أن يرى قطام هناك ، فلما لم يرها قلق ، وزاد في قلقه
سكوت لبابة عن الحديث وجودها . فقال : « مالى أراك ساكنة يا خالة ، ألم
ترسلى إلى بالمجىء ؟ » . قالت : « بلى »

قال : « وأين قطام ؟ » . فتنهدت وقالت : « هي هنا في الغرفة الأخرى ،
وسنذهب إليها بعد قليل »

قال : « أراك في قلق . ما الذى جرى . قولى »

قالت : « لم يحدث شيء » . وتظاهرت بأنها تكتم خبراً ، فقال : « ولكنى
أراك كئيبة ، أخبرينى ، لقد نفد صبرى »

قالت : « لا تقلق يا ولدى ، ليس هناك ما يدعو إلى القلق . غير أنى مللت من

استعطف هذه الفتاة وترغيبها وتشويقها ، فلم أر منها الا البكاء والنحيب ولم اسمع الا قولها : (الانتقام . الانتقام) . وكل من يخاطبها في غير هذا الموضوع لا يسمع منها جوابا »

قال : « ألم تذكرى لها شيئا من حديثى معك ؟ »

قالت : « كيف لا ، اننى لو لم اذكر لها اسمك مشفوعا بوعدك بالانتقام لما اجابتنى » . ثم ادنت فمها من أذنه وقالت : « ولكننى آتست من خلال تمنعها أنها ترتاح الى ذكر اسمك ، وأظنها تحبك ولكنها مأخوذة شغلها الانتقام عن الحب ، ولذلك سرت لما اخبرتها بوعدك وان لم تصدق قولى كأنها تحسبني أعيت بها ، أولعلها استبعدت ذلك منك أو خشيت رجوعك فيه لجلها ما أنت مفضول عليه من الحمية وكرم الاخلاق »

قالت المعجوز ذلك بنفمة تدل على ثقتها التامة بشرف نفس سعيد وصدق وعده . ثم شغلت نفسها بالسعال ومسح آماقها مما يتحلب فيها من الدمع المتواصل من اثر الشيوخوخة ، وصبرت لترى مايدور منه قبل اتمام الحديث اما هو فاثمر قولها فيه وهاج ما في قلبه فقال لها : « أننى لا اوم قطام فانها لاتعرفنى بعد ، فهي معذورة اذا اساءت الظن بى . ولكن أين هي ؟ أرىنى اياها فأكدها وعدى فتعلم من هو سعيد » . قالت : « هي هنا »



واخذت لبابة المصباح بيدها ومشيت امام سعيد الى حجرة تجلس فيها قطام على اريكة وهى تبكى وشعرها لمخلول . فلما رأت النور يقترب منها أسرعت فضمت شعرها وأرسلته الى ظهرها وغطت رأسها بنقاب أسود . ولم تكدها فعل ذلك حتى دخلت المعجوز وهى تقول : « خففى عنك يا قطام وارفقى بنفسك واشفقى على شبابك كفالك بكاء ونحيبا . انهضى فسلمى على محبك سعيد . . »

فقطعت قطام كلامها فائلة : « ألم أقل لك لاتذكرى الحب والغرام بل اذكرى القتل والانتقام . انى لا احب الا الانتقام ، ومن ينتقم لى فهو الخليق بأن أعطيه قلبى . ولكن . . . »

فتقدم سعيد وقد أصبح بعد رؤية قطام على تلك الحال لا يرى شيئا غيرها ولا يبنى الا رضاها وقد شق عليه قولها : (ولكن) لما ينطوى عليه من ضعف ثقتها به ، فقال لها : « ألا ترضين يا قطام ان اكون انا المنتقم لك ؟ »

قالت وهى تظهر عدم الاكتراث : « لا . لا ارضى ان تعرض نفسك لهذا الامر من اجلى ، فانى اولى منك بركوب هذا المركب الخشن » . ثم رفعت يدها وأشارت بسبابتها الى صدرها وقالت بصوت تتخلله غصة البكاء : « انا

أقتل قتلة أبى وأخى بيدي . أنا أقتلهم . أنا أقتل عليا وان كنت فتاة . ان حب الانتقام يقوينى ويشجعنى . ولا حاجة بى الى تعريض سسواى لخطر القتل . انك شاب لا يهكم من امر على شىء فكيف تتصدى لقتله من أجل غيرك ، ذلك لا يكون »

فانخدع سعيد بكلامها وحسبه صادرا عن شهامة وغيره حقيقتين، فازداد رغبة فى الأقدام على ذلك العمل . وقال لها : « كيف تقدمين يامليحة على هذا الأمر وأنا بين يديك . لملك لا ترين فى الكفاءة . وكيف حسبت أننى لا يعينى قتل على ، الا تعلمين ان بنى أمية يطالبونه جميعا بدم عثمان ؟ فإذا قتلته فأنى ارضى قومى فضلا عن ارضاء قطام . ان بذل النفس يسير فى سبيل ارضائك . وإذا أذنت لى ان ادعوك حبيبتى فكل شىء هين »

فلما تحققت قطام وقوعه فى الشرك ، أرادت أن تتمكن من عهده بصك تستكتبه اياه ، فامسكت نقابها بيدها وتظاهرت باصلاحه ، فانكشف معصمها عن الاساور والدمالج ، وبانت عيناها وقد ذبلتا من البكاء فازدادتا جلا، ورنث اليه وتاملته كأنها تزن مقدرته على ما وعد به . أما هو فلا تسئل عن حاله بعد تلك النظرة ، فنارت عواطفه ونظر الى العجوز كأنه يحرضها على التوسط فى الامر . فتظاهرت لبابة بأنها تساعد فى غرضه وقالت لها : « ألم يكفك ما قاله هذا الشهم ؟ ألم أقل لك ان وعده صدق ، وفضلا عن ارضائك بقتل على فهو يرضى عشيرته وأهله ايضا ؟ . اعلمى يا قطام أنه لا بد من رجل يقتل هذا الخليفة، ومن يسبق الى قتله يكن صاحب النصيب الاوفر والاجر الاعظم »

فقطعت قطام كلام العجوز قائلة : « أنا أعلم انه مقتول لاحالة ، فان لم ييؤ من الرجال من يفعل ذلك فعلته أنا بيدي . انظرى الى هذه الحلى فى معصم وأذنى ، انى لم أنزعها ليس لأنى لم أحزن على أبى وأخى ، بل لأنى واثقة من الانتقام لهما ، ومتى أخذت بالثار فقد أحييت القتيلين فكيف أحزن ؟ . ام ما قاله سعيد فمروءة منه ، ولكن الانسان ياخالة عرضة للتردد فلعل سعيدا اذا خرج من عندنا يرى رأيا آخر ، او ينهيب الامر فيرجع عن الوعد . فانا لا أريد أن أقيده بعهد أرى أنه ربما عاد فندم عليه . ولست أقول هذا استهانة بجراته ومروءته ، ولا استصعابا لقتل على ، فان قتله من أيسر الامور، ولكنى أخشى ان يكون تقييد سعيد بهذا العهد على غير رغبته »



هم سعيد بان يجيب قطام ليؤكد لها صدق وعده ، فأوقفته العجوز عن الكلام وتظاهرت بالدفاع عنه وقالت : « اسمحى لى يا قطام بكلمة أقولها لك . انت لا تعرفين سعيدا بعد ، ولكننى اعرفه واعرف صدقه ، وأنا أسالك بالنيابة عنه : هل تريد ان يكتب لك عهدا بأنه يفعل كل ما قاله لك ؟ »

فلما سمع سعيد ذكر كتابة العهد تهيب وعظم الأمر عليه ، وكأنه صباحا من
سكوره لحظة تبين فيها خطر الأمر ، على أنه ما لبث أن عاد الى سكورة الغرام ،
ولا سيما بعد ما سمعه من كلام العجوز الدال على ثقته به

اما قطام فكانت تنظر الى كل حركة تبدو من سعيد ، فلم يفتها ماجال في
خاطره ساعته من الندم وهو يحاول التظاهر بغير ذلك . وأرادت أن تحمله
على كتابة العهد فقالت للعجوز : « أراك أقمت نفسك نائبة عنه في أمر لا تصح
النياحة فيه ، ولعله غير راض به ، وفي سكوره دليل على ذلك . فدعينا من هذا
الموضوع ، ولا تمرضى سعيدا للخطر وأنت تعلمين ما له من المنزلة في قلبي ،
وان اكن قلما رأيته ، فافضل أن اعرض نفسي للخطر ولا اعرضه »

فعظم ذلك القول على سعيد واثارت الحمية في راسه ، فنهض وقال لها :
« اتحسبين سكوتي يا قطام عن تردد أو خوف ؟ لا وجبك ، فما أنا ممن
يضمنون بالنفس في سبيل الحب ، وقد اكون ترددت في بادئ الرأي . واما
بعد أن علمت يما لي عندك من المنزلة فاني اكتب العهد ولا أرضى الا بكتابته .
هاتوا رقا ومدادا » . فنهضت العجوز مسرعة لاحضار الرق والقلم ، وكانت
قد أعدت كل شيء قبل مجيئه

وانتهز سعيد فرصة غيابها وأزاح مقعده وأصلحه بحيث يواجه قطام .
اما هي فنظرت اليه وابتمت وقالت بصوت يتخلله الدلال : « لا تعرض
نفسك للقتل يا حبيبي ، ما لنا وللصكوك الا يكفينا القول ؟ »

فما أنس سعيد منها هذا التقرب وسمع قولها : « حبيبي » حتى أخذ
يشها حبه وغرامه وتغانيه في سبيلها ، وطابت له تلك الخطوة القصيرة
وانتشى بمبادلتها اياه عواطف الحب ، واعتقد انه أسعد انسان على وجه
الارض بفوزه بحبها له . غير عالم بان قصدها لم يكن سوى اغرائه بقتل
على ، وقد أضرمت انه اذا فشل في مهمته فلن تأسف عليه اذا قتل .
وأرادت أن يكتب الصك حتى لا يرجع عن وعده

وأدركت العجوز أن في اباطها وسيلة لاتاحة الفرصة لقطام كي يتمكن من
اغرائه ، فأبطلت لغير داع ، ثم عادت ويبيدها رق من جلد الماعز وقلم من
القصب وقرن ايل فيه مداد أسود . فلما رآها سعيد ، ورأى الصك في
يدها عاوده الخوف ، وحدثته نفسه بالرجوع عن الوعد ، ولكن الحياء والحب
منعاه . ولم يخف ترده على قطام فتلافت ذلك بابتسامة ونظرة وهو يرنو
اليها ويقول في نفسه : « ما أسعدني بهذا اللقاء ، وما أجل هذا الحب لولا
هذه الشروط » . ولم تترك له قطام فرصة للتردد فقالت للعجوز : « لمن
أيتت بهذه الادوات يا خالة ؟ اما زلت تصرين على ان يكتب سعيد عهده ؟
لا . لا اظنه يكتبه » . وابتمت وهي ترنو اليه ، ثم قالت : « وكأنني به
ندم على ما فرط منه لا عن جبن أو خوف لا سمح الله ، ولكنه رأى قطام

لا تستحق هذه العناية ، وأراه يقول في سره : (أمن أجل امرأة اقتحم مثل هذا الخطر) . » . قالت ذلك ونظرت إليه نظر المحب العاتب

فلما سمع سعيد كلامها ورأى دلالها نسي كل خطر ، ولم ير له مخرجاً من خجله إلا بالمبادرة إلى تناول الرق ، فتناوله من يد لبابة وأمسك القلم وقد أخذ منه الهيام مأخذاً عظيماً حتى توردت وجنتاه واحترت عيناه . فوقفت العجوز إلى جانبه والمصباح في يدها ، فكتب ويده ترتعش ولكنه يتجلد لئلا يبدو ذلك لقطام فتظنه خائفاً وأليك نص كتابه :

« أنا سعيد بن . . الأموى أعاهد قطام بنت شحنة على قتل على بن أبى طالب مهراً لزوجى بها ، فإذا لم أفعل لم أكن كفواً لها ، وعلى عهد الله وميثاقه
كتبه سعيد الأموى »



وما فرغ سعيد من كتابة العهد حتى دفعه إلى قطام وهو فخور بما فعل ، ليربها أنه ليس جباناً كما ظنته ، ولكنه لم يكده دفعه إليها حتى يشعر بالخطر الذى عرض نفسه له . على أنه لم يتبين الخطر جيداً لما حال بينه وبين عقله من غيابة الوجد والهيام

أما قطام فتناولت الرق وقراته المسام ، ثم نظرت إلى سعيد وقالت : « يظهر أنك كتبت العهد حقيقة ، ليس عاراً على قطام أن تأخذ منك صكاً على عهد عاهدتها عليه في مثل هذا الموقف ، كأنك حلت كلامى على محمل الجذ ، وقد قلت لك الآن : (انى لا أبالى من يقتل عينا ، وأنه إذا لم يقتله أحد فسأقتله أنا) . أما وقد كتبت فانى أحفظه عندي تذكراً لهذه الليلة التى أعدها أحسن ليالى العمر . . وأرجو أن نجتمع قريباً لنيل المرام » . قالت ذلك وفي صوتها رنة الدلال

فصدق سعيد كلامها واطمأن قلبه ، ولكنه علم بأنه لا ينال قطام إلا بعد قتل الإمام على بن أبى طالب فعاد الأمر إلى خطورته ، فانقبضت نفسه وأراد أن ينفرد بنفسه فاستأذن بالخروج . فقالت له قطام : « أمكث عندنا . . أو اذهب لعلك تهتدى إلى سبيل يقرب جعنا الدائم » . قالت ذلك وابتسمت ورنّت إليه ، ثم تاوحت وودعته ، فخرج سعيد ولبابة تسيعه ، فرأيا ريحاً لا يزال ساهراً في الخديقة يطوف حول المنزل خوفاً من الرقباء والعيون

ولما خرجت لبابة بسعيد قالت له : « انى أهنتك برضاء هذه الفادة فقد نلت الليلة ما طالما تلهف عليه أهل الكوفة بل سائر أهل العراق ، ومن الغريب أنها كانت مع فرط حزنها لا تنظر إليك إلا وهى تبتسم . . فما أجل الحب إذا كان متبادلاً . وأما العهد الذى كتبت فليس من الأهمية فى شيء . فهب أنك

صادفت خطرا فان قطام لا ترضى أن تتعرض له « . فودعها ومشى يتعثر بأذياله ، وكأنه غادر قلبه عند قطام . فلما انفرد عادت اليه هواجسه فتصور خطورة الامر الذي أقدم عليه . ولما لم يبق له حيلة في الرجوع عن عهده جعل ينتحل لنفسه أعذارا تخفف قلقه وتحسن له ارتكاب ذلك المنكر . فخبيل اليه أنه اذا قتل عليا فانه ينتقم لسائر بنى أمية ويفاخرهم جميعا بما لم يستطعه أحد منهم . فينال حظوة في عيني معاوية فضلا عن تمتعه بقطام . ولما تصور قربه منها اختلج قلبه في صدره وهان عليه كل عسير

فمشى وهو في هذه الخيالات الكاذبة حتى دخل الكوفة ومر بجامعة القائم في وسط الساحة الكبرى . وكان الجو هادئا والقمر منيرا فرأى ما يحرق بمنزل الامام على من الابنية والغيام بمن فيها من كبار بنى هاشم من شيعته . وهو يعرف منهم جماعة صناديد لا يهابون الموت . فخارت قواه وكبر عليه الامر وظل في طريقه الى منزله يفكر في حيلة ينال بها ما يريد



وكان منزله في سوق من أسواق الكوفة فوصل اليه وهو يظن نفسه بعيدا عنه ، وانما نبهه جمعة جل رابض في فئانه فظننه جله وقدهده في مأواه قبل ان يغادر المنزل . فدخل الفناء فرأى جلالا واناسا كانهم قادمون من سفر فبغت . فتقدم اليه واحد منهم ولم يكذب يلقى عليه السلام حتى عرف انه من رجال جده ابي رحاب فذهل ولم يرد التحية وقال له : « ما وراءك يا عبد الله ما الذي جاء بك ؟ »

قال : « اننا قادمون من عند جدك مولانا ابي رحاب »

قال : « وما الذي حملكم على المجيء ؟ »

قال : « جئناك في مهمة عاجلة »

قال : « وما هي ؟ »

قال : « ان ابا رحاب وقد شاخ ووهن عظمه بعثنا يستقدمك اليه »

فذهل وصاح قائلا : « وما الذي اصابه . امريض هو ؟ »

قال : « مرض الشيخوخة فقط ولكنه مشتاق لرؤيتك وقد امرنا ان نسرع بالمجيء بك اليه »

قال : « وأين يكون هو الآن ؟ »

قال : « في مكة »

قال : « اذهب الى مكة ، »

قال : « ذلك ما امرنا به فافعل مابدا لك »

فلبث مدة صامتا يفكر ثم مشى وهو يقول : « لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم » . وصار عبد الله في اثره حتى دخلا المنزل . ثم التفت سعيد وهو ينزع عباءته وقال : « لابد من امر ذى بال اقلق جدى فدعاني اليه فهل تعرفه ؟ »

قال : « لا اخاله دعاك الا ليراك قبل حلول اجله لانه شاخ وضعف وانت تعلم حبه لك وان ليس له سواك »

قال : « لاحيلة لنا في الامر فلنبت الليلة ونصبح مسافرين » . وقضى ليلته يفكر في قطام وسفره

ولما أصبحوا ركب سعيد ناقته وركب عبد الله ورفاقه جالهم وهموا بالمسير ، فرأى سعيد ان يودع قطام قبل السفر فاستمهل رفاقه وسار يلتمس منزلها وهو في لباس السفر . فلما اشرف على المنزل تذكر ليلته امس فلم يضطرب لقلقه على جده وقد خاف عليه الموت قبل وصوله اليه . فدخل المنزل فلقى ريحانا فسأله عن قطام . فقال : « انها خرجت في امر وسوف تعود »

فقال : « الى اين ذهبت ؟ »

قال : « لا ادري »

فشغل بال سعيد لخروجها في الصباح ، وهو لا يرى ما يدعو فتاة مثلها الى الخروج ، فدبت الغيرة في قلبه وقال : « وهل ذهبت وحدها ؟ »

قال : « مع لبابة »

قال : « اتظنها تبطىء كثيرا ؟ »

قال : « لا ادري وربما بقيت الى المساء او الى الفد اذ يخيل الى انها ذهبت الى بعض اهلها خارج الكوفة »

دار الحديث بينهما وسعيد يتردد بين ان ينتظر عودتها وبين ان يسير . وتمنى لو يعلم مكانها ليذهب اليها فيودعها ويزيل شيئا من غيرة عليها . ولو تحقق مجيئها بعد ساعة او بضع ساعات لانتظر ولكنه خاف ان يطول غيابها اياما . فنوى المسير وقال لريحان : « اقرئ قطام السلام عند رجوعها ، وأذكر لها انى شاخص الى مكة لأمر عاجل وقد جئت لوداعها فلم أجدها . وسأعود قريبا باذن الله »

وخرج الى رفاقه وساروا قاصدين الى مكة وقلبه في الكوفة . ولم يكد يخرج منها حتى ندم على خروجه دون ان يرى قطام . ولكنه التمس عذرا لنفسه ما شغله من امر جده

أبو رحاب

وكان أبو رحاب جد سعيد شيخا طاعنا في السن . ربي سعيدا في حجره بعد موت أبيه ، وكلاهما على دعوة بني أمية في المطالبة بدم عثمان . وكان غرضهما الانتقام لعثمان لأنهما أقاما زمنا طويلا في منزله . وكان أبو رحاب على حبه لعثمان غير غافل عن أخطائه التي دعت الناس إلى اضطهاده ، وكثيرا ما حثه على الإصلاح ومصالحة المسلمين فلم يصغ له الا قليلا . وعلم أبو رحاب بعد ذلك ان جماعة من ذوى الأغراض كانوا يثنونه عن الاصغاء ويحرضونه على العداة . حتى اذا قتل عثمان كان أبو رحاب وسعيد في جملة المطالبين بدمه ، ولكنهما عندما عادا من وقعة الجمل قعد أبو رحاب عن المطالبة ، لانه تحقق ان أصحاب تلك الوقعة انما جاربوا عليا طمعا في الملك لا غيرة على عثمان

واقام لأحليس له بمكة الاسعيد . وكان سعيد ينوى الانضمام الى جند معاوية في وقعة صفين فمنعه جده . وكان أبو رحاب يعلم ان سعيدا يحب قطام حبا شديدا وأنه سباع للزواج بها . ولذا كان يأذن له في الذهاب الى الكوفة لتلك الغاية . وطال غياب سعيد هذه المرة وأحس أبو رحاب بضعفه يتزايد ، فأراد استقدامه ليتزود من رؤيته قبل موته ويوصي له بوصية لها علاقة كبرى بشؤون حياته وربما غيرت مجارى أعماله وحولته عن مقاصده وآماله . فبعث رجلا من خاصته اسمه عبد الله في وفد الى الكوفة لهذه الغاية . ولبت ينتظر رجوعهم وهو يتقلب على فراش الضعف والهزم كأنه يستمهل ملاك الموت ربما يصل حفيده لئلا يذهب ما في نفسه ادراج الرياح وتضيع حياة سعيد عبثا

اما سعيد فانه قضى مسافة الطريق بين الكوفة ومكة وهو بين شوق الى قطام وقلق على أبي رحاب . وكان من شدة حبه لقطام يود بقاء جده حيا ليبشره برضاها وقبولها لانه طالما صرح له برغبته فيها . وكان أبو رحاب يتعناها له . وكان سعيد اذا فكر في ذلك فرح ثم يعترض فرحه أمر العهد وقتل الامام فيضطرب فيعمل نفسه لما بناله من الفخر اذا قتل عليا علاوة على استرضاء جده لانه يطفىء ما يجيش في نفسه من نار الانتقام لعثمان فيفرحه قبل موته

قضى اكثر ايام الطريق في مثل هذه الافكار لايبالي بمن حوله من الرفاق كأنه سائر وحده . ولم يكن يشغله عن ذلك ما يلاقيه في طريقه من الجبال

والأودية والصحارى ، وما يمر به من الربوع والأحياء والخيام ، حتى أشرف على مكة من أكمة . فإذا هي في منبسط من الأرض تحيط بها الجبال والكعبة قائمة بين أنبيتها قيام الملك بين الأعوان . وكانت الشمس قد مالَت إلى الغروب فأسرع في مسيره يلمس منزل جده وقلبه يخفق خوفاً عليه من بأس يصيبه قبل وصوله

ولم يكد يدخل مكة حتى أسدل الليل نقابه فساق ناقته يلمس المنزل قبل اشتداد الظلام ، وترك رفاقه يهتمون بشؤونهم . وكانت عادته إذا دخل مكة أن يطوف بالكعبة قبل الذهاب إلى البيت ، ولكنه سار هذه المرة تواء إلى المنزل وهو مضطرب خوفاً على حياة جده

فخرج على منعطف يؤدي إلى البيت رأى فيه أناساً عرف منهم من الأهل والأصدقاء فحياهم وسألهم عن حال أبي رحاب . فلما عرفوه طمأنوه وسبقه بعضهم لبشر المريض بقدم حفيده . فلما اطمأن قلب سعيد على جده هذا روعه وترجل عن ناقته وسلمها إلى الخادم ومشى وهو بالمعبأة والكوفية والسيف . فأنهى إلى باب كبير مقفل دخل من خوخته ولم ينتظر أن يفتحه له . ومر في فناء لم ير فيه أحداً وسار تواء إلى الحجرة التي يقيم بها جده عادة وفيها مضباح منير دون سائر الحجرات . وقبل الوصول إلى الباب استقبله رجل خارج من عنده يمشى الهوينى على أصابع قدميه مخافة أن يوقظ المريض من نومه العميق . فمرقه سعيد أنه من بعض ذوى قرباه فسأله عن جده

فأجابته : « انه نائم نوماً عميقاً وقد مضى عليه بضعة أيام لابنام فلما احس بالنعاس أخرج الناس من غرفته ولم يبق سواي وأوصاني ألا أوقظه إلا إذا جئت أنت »

قال : « دعنى أدخل عليه وهو نائم » : قال ذلك ونزع حذاءه ودخل الحجرة يسترق الخطى . فاجتاز العتبة وأطل على حجرة مضيئة بسراج على مسرجة قصيرة من الخشب الصلب فوق حافة بارزة من الحائط بجانب فراش . وكانت فتيلة السراج ثخينة يتصاعد من لهيبها سناج يتطاير فيترك في صعوده آثاراً سوداء على الحائط قرب السراج ، ولو كان لون الحائط تقي البياض لظهرت آثار السناج أكثر جلاء ولكنه كان مدهوناً بطين أسمر

تقدم سعيد نحو الفراش وقلبه يخفق اشتقاقاً من أن يكون جده قد رقد وقادا أبدياً . فمشى على حصير من سعف النخل يكسو أرض الغرفة ، عليه غطاء كالسباط مصنوع من جلد مصقول . وكانوا لما اشتد به الضعف رفعوه عن الأرض إلى مقعد مستطيل ، ظهره شبكة من نسيج الجلد ، وهى قد دمن جلد يشدونها بين جوانب المقعد كالشبكة يجلسون عليها مباشرة أو يجعلون فوقها الفرش ، وقد توسد أبو رحاب فراشاً رقيقاً والتحف ببرد من صوف أسود يغطيه إلى أعلى الصدر ، واستلقى على ظهره ويده مضمومتان تحت

الغطاء وعيناه مغمضتان يظللهما شعر حاجبيه فيزيدهما غورا

فلما اقترب سعيد من جده نظر الى صدره فرآه يتنفس تنفسا هادئا فهذا اضطرابه وسكن بلباله ولبث واقفا يتأمل في مظاهر اللهم . فذكر ان جده كان من كبار الهامة طولا وعرضا ، ولكنه أصبح هيكلا من عظام مكسوا بالجلد . اما وجهه فلم يكن ظاهرا منه الا الانف والجيبة وما بقى منه كان مغطى بالشعر الابيض الناصع . وازداد منظره رهبة حينئذ لضعف النور حتى خيل الى سعيد لما اشرف على فراش جده ان رأسه كتلة من القطن المندوف يتخللها نيات مظلمة هي الانف والوجنتان والجيبة ، واما ما خلا ذلك فقد غطته اللحية والشاربان والحاجبان ، واستطالت لحيته وانبسطت حتى غطت عنقه وصدره ولكنها كانت قليلة الشعر تشف عن عنق دقيق مستطيل بانث عضلاته وفي مقدمتها القصبة وقد برزت بروزا عظيما اما الرأس فقد كان حليقا او لعله اصلع

وكان شيخنا الراقد قد دله قلبه على مجيء حفيده فتحرك وتلملم ثم فتح عينيه البراقنتين واجال نظره في جوانب الغرفة فوقع على سعيد فتبسم . فلما رآه سعيد قد استيقظ جثا امام فراشه وهم بتقبيل يديه . فرفع أبو رحاب ذراعيه وضم سعيدا الى صدره وطفق يستنشق رائحة عنقه وخديه بلهفة وسعيد يطاوعه على كل حركة يريد بها . فأطال أبو رحاب عناقه وسعيد صابر حتى أحس بماء ساخن يتحدر على خده علم انها دموع سخينة ولكنه لم يدر أدموع الحزن هي أم دموع الفرح . على انه خاف عليه فاستأذنه ونهض عن صدره فرآه يحاول الجلوس فأعانه بيديه ونظر اليه وهو جالس فذهل لشدة ضعفه حتى تخيله قفصا من عظام

وأخذ أبو رحاب يصلح لحيته وشاربيه ويمسح عينيه . ثم مد يده الى سعيد فعلم هذا انه يريد يده فأعطاه إياها ، فأمسكها بيديه فأحس سعيد كأنها أصابع من حديد ليبس أنامله وجفاف جلدها وبرودتها ، وشعر برعشة رعشا متواصلا مما انتابه من الضعف الشديد



وما زال سعيد يشاهد في جده الضعف الشديد حتى سمع صوته فإذا هو كما بهمهده جهوري رنان . فاستأنس به واطمان لسماعه . وأول كلمة سمعها منه قوله : « الحمد لله على مجيئك سالما . لقد اطلبت الغيبة يا ولدي » قال : « لقد جئتكم مسرعا حالما علمت برغبتك في ذلك ؟ كيف أنت الآن وبماذا تشعر يا جدي ؟ »

قال : « كنت أحسبني على شفا الموت ولكنني لما رأيتك وأمسكت يدك شعرت برجوع قواي . فانا الآن كما تعرفني من عشر سنوات وكان الله شدد عزيمتي ليتمكنني من تزويدك بنصيحة هي آخر ما أتلفظ به في الحياة »
قال : « اني اشتاق لنصحك كل حين وارجو أن يمد الله في أجلك لتشهد زواجي بقطام » . ثم التفت يمنة ويسرة لئلا يسمعه أحد فرأى المكان خاليا فقال بصوت منخفض : « وتفرح بما يسبق ذلك من الانتقام الذي طالما تأقت نفسك اليه »

فنظر الشيخ اليه بعينين رأى سعيد بريقهما من خلال الحاجبين ، وكان قوس الشيخوخة واضحا حولهما ، ثم سمع جده يقول : « أما زواجك بقطام فقد فهمته وسرني بلوغك مرارك وأما الانتقام فلم أفهم علاقته بها »

فتبسم وقال : « الا تذكر يا جداه ما قمنا به منذ اعوام وقام به كل بنى أمية من المطالبة بدم الخليفة المقتول ظلما . وهل جرؤ أحد على الانتقام بقتل القاتل ليخلو لنا الجو ؟ »

فقطب السيد جبينه كأنه غضب وقال : « من هو القاتل ومن سيقتله ؟ »
فأدنى سعيد شفثيه من أذن جده وقال : « ان القاتل على بن ابي طالب وأنا سأقاتله ، وفي ذلك مافيه من الفخر والفضل ، وأتمنى أن يمد الله في بقائك ليتم الامر تحت جناحك »

ولم يصبر الشيخ على سماع بقية الحديث لعظم اضطرابه وحنقه ، وعرف سعيد حنقه مما رآه من ارتعاش يديه واختلاج شفثيه واهتزاز لحيته . ولا تسئل عن دهشة سعيد لما سمع جده يقطع عليه الكلام قائلا بصوت عنيف : « لا لا لا . لا يا سعيد . . . لا تقتلوا البريء »

فذهل وظن ان جده لم يفهم كلامه فقال له : « تمهل يا جداه ، اى برىء تعنى ؟ انى سأنتقم من على بن ابي طالب ، فكيف تقول انه برىء وأنت أول من دعا الى مطالبته بدم عثمان . يظهر أنك أخطأت مرادى »

قال : « كلا انى لم اخطىء مرارك فلا تخطىء انت مرادى . ان عليا برىء . . . انه برىء مما اتهمناه به . انه لم يقتل عثمان ولا مالا على قتله ولا أراد سوءا بالمسلمين ، ولا ارتكب أمرا يستوجب نقمة »

فوقف سعيد وهو يحسب نفسه في منام لعلمه أن جده كان من أوائل الناقمين على على فكيف انقلب الى الضد . فتبادر الى ذهنه ان جده قد خرف

وادرك أبو رحاب ماجال في خاطره فقال له : « لا يخالغ ذهنك شك في صحة

عقلي فاني انما اقول ما اقله عن روية وصدق نظر، ولم استقدمك من العراق
الا لهذه الغاية . ولا اقول ذلك جزافا بل اثبته بالبرهان »

ولبت سعيد مذهولا مستغربا لكنه صبر وقال : « وما الذي دعاك الى هذا
التغير العظيم . كيف يكون ذلك ؟ وكيف يكون على بريثا من دم عثمان ؟ بل
كيف تعترف انت ببراءته . وقد كنت من أوائل متهميه ؟ »

فأشار الشيخ بيده الى سعيد أن يجلس ويهدى روعه ويصبر ثم قال :
« اما ما دعاني الى ذلك فهاتف سمعته يقول ويكرر القول : (ان عليا بريء
وانما يتهمه اهل المطامع وذوو الاغراض) . وكنت كيفما توجهت اسمع هذا
الصوت يرن في اذني حتى اقلق راحتي . فبحثت عن الامر بنفسى وتدبرت
ما أعلمه من تاريخ علي وعثمان وغيرهما من القائمين بهذه الفتنة ، فوجدت
معاوية وسائر بني أمية على ضلال ، بل هم اهل اغراض اتخذوا مقتل الخليفة
المظلوم ذريعة للحصول عليها »

وقطب حاجبيه وقد ابرقت عيناه من خلال قوس الاشياخ حول حدقتيه
وبان الجد في لهجته ، فظل سعيد صامتا لا يبدى حراكا لما استولى عليه من
الدهشة



على خير من معاوية

ثم أجال الشيخ يده في لحيته وأصلح شعر حاجبيه وشاربيه والتفت الى سعيد وقال : « يزعم معاوية وأصحابه أنهم انما جردوا السيوف وسفكوا الدماء للمطالبة بدم عثمان كأنهم لم يكونوا يستطيعون الذب عنه قبل قتله . واقد يضحكني مطالبة عمرو بن العاص بدم عثمان ، وهو أول من أراد قتله وسعى في ذلك حتى افتخر بأنه قتله وهو في فلسطين . فقد علمت انه لما بلغه مقتل عثمان وهو في وادي السباع قال : (انا قتلته وأنا في وادي السباع) يعنى انه سعى في قتله عن بعد . فلا يفرنك بعد ذلك مجيئه هو وأبنؤه ماشين الى دمشق ليكون ويقولون : (واعثماناه ! . نعى الحياء والدين) . انهم انما فعلوا ذلك حيلة للانضمام الى معاوية ... »

« واما معاوية وسائر بني أمية ، فهل تحسبهم شرعوا الاسنة وايقظوا الفتنة مطالبة بدم ذلك الخليفة المقتول ؟ . اذا كانوا فعلوا ذلك غيرة وحنانا فما بالهم لم يدافعوا عنه وهو لم يحضر يستنجدهم من المدينة الى الشام ؟ وهب أنهم تأخروا عن نجده كرها كما يزعمون فما بالهم نسوه ونسوا اولاده . واذا كانوا يؤمنون بأنه قتل ظلما وأنهم انما قاموا للمطالبة بدمه ، فلماذا لم يولوا الخلافة ولدا من اولاده ؟ أرايت كيف اتخذوا اسم هذا الخليفة ودمه ذريعة الى السلطان ؟ »

« وهكذا فعل أيضا طلحة والزبير ، فقد قتل عثمان وهما في المدينة على قيد أذرع منه، فلو أرادا بقاءه لم يعجزهما الدفاع ولكنهم سكتوا عن قتله حتى اذا راوا الخلافة افضت الى علي ، تظاهروا بالدفاع عن عثمان وقالوا : (انه قتل ظلما) .. »

وكان الشيخ يتكلم محاولا خفض صوته فلا يطاوعه التهيج فلا يلبث حتى يرتفع صوته تتخلله غصات وارتجاج . واما سعيد فكان يسمع كلام جده وهو مطرق لا يستطيع النظر الى وجهه تهيبا واحتراما . فلما وصل أبو رحاب الى هذا الحد سكت برهة تشاغل فيها بمسح فمه وشاربيه من نفثات ريقه لأن الهرم أخلى فكيه من الأسنان ، فانتهاز سعيد تلك الفرصة وقال له : « كيف تحسب عمل هؤلاء طمعا في الخلافة ولا تحسب عمل على مثل عملهم . وقد كانوا جميعا في المدينة ؟ وكيف اذا قتل الخليفة تكون البيعة لواحد منهم »

والباقون ينتظرون ؟ . لماذا لا تحسب ذلك طمعا من على ؟ »

فضحك الشيخ ضحكة اغتصابية أو هي قهقهة تشبه الضحك لعظم ما قام في نفسه وهو في آخر يوم من أيام الدنيا ، وأول يوم من أيام الآخرة . وقبل أن يتم قهقهته حول وجهه الى سعيد وقال : « أتسألني عن خلافة على وقد كان الأولى بي أن أسألك نفسي ما الذي أعماني عن حقه فيها من أول الامر ؟ صدق القائل ان المفروض يعنى ويصم ... ان الخلافة لم تكن لأحد من الصحابة قبل هذا وهو ابن عم الرسول (صلعم) وصهره زوج ابنته فاطمة سيدة نساء العالمين . وهو أول الناس اسلاما بعد خديجة ، وزد على ذلك ان الرسول (صلعم) ربي في حجر ابي طالب والد على . وقد كفله ودافع عنه في بدء الدعوة . وكانت قريش تكره دعوته حتى كثيرا ما هموا بايذائه وابوطالب يمنعهم بماله من المنزلة الرفيعة عندهم . فلما ولد على ربي في حجر الرسول (صلعم) وأسلم وهو في العاشرة من عمره وذبح عن الاسلام بقلبه ويده ولسانه . ولا أنسى يوم الهجرة يوم تأمرت قريش على ابداء الرسول (صلعم) في مكة فاعتزم الهجرة ، وكيف إن عليا أقام مقامه في منزله فتسجى ببرده ويات على فراشه وعرض نفسه لخطر القتل ونجاه الله . هذا عدا حروبه في الفزوات والسرايا ، فقد شهد معظم المواقع وأشهرها ، وبذل نفسه في الذب عن الاسلام يوم كان معاوية وابوه واخوته في مكة من الداء اعداء الاسلام . ولم يسلموا الا بعد فتح مكة أى بعد قنوطهم من النصر »



كان أبو رحاب يتكلم والعرق يتصبب من جبينه كأنه أتى عملا شاقا يجهد نفسه فيه ، وسعيد صامت مطرق لا يزل في دهشته واستغرابه حتى كاد يغيب عن صوابه . ولم يجرؤ على كلام . وطال سكوت جده فهم بسؤاله فراه يتحفر للكلام فسكت وأصغى . فقال أبو رحاب : « أراك دهشت ! سمعته كأنك لم تعلمه قبلا ، ولا الوملك اذا علمته وتجاهلته فاني اكبر منك سنا وأعلم منك في هذه الشؤون وقد أعماني الغرض ، وكأنني بعد ذاك الهاتف قد فتحت عيناي وصرت أنظر الى الحقيقة كما هي ... »

« نعم ان عليا أولى منهم جميعا بالخلافة ، والرسول (صلعم) فضله عليهم جميعا وأخاه دون سواه فقال له على مسمع من الصحابة : (انت أخى في الدنيا والآخرة) . وخاطبه مرة وقال : (لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا كافر) . ولقد تستغرب ما سألكه عليك وتعجب كيف لم يتول الخلافة قبل الآن . ولا سيما بعد قول الرسول : (ان عليا مني وأنا من علي وهو ولي كل مؤمن بعدى) وقوله (صلعم) : (من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاد من

عاداه) . فمن يعلم ذلك ويعجب لخلافته ؟ بل كيف لا يعجب لتقاعده عن الخلافة الى الآن ؟ »

وكان سعيد مطرقا وقد تغيرت سحنته وتولته الدهشة حتى ظن نفسه في منام ، وندم على محبته لانه أصبح بعد سماع ذلك الكلام حجرا بين مطرقتين لا يدري ايقوم بعهد لقطام التي ملكت ليه أم يعمل بوصية جده وهو في آخر أيام الدنيا . فظل صامتا لا يبدي حراكا . وأدرك جده أرتياكه ولكنه تجاهل ما يجول في خاطره وعمد الى اتمام الحديث فقال :

« فأنت ترى يا ولدي أن عليا أولى بالخلافة من سائر الصحابة لقربته وصهره ووصية الرسول له ، ثم هو يمتاز عن سائر الناس بفضائل تكفي وحدها لتوليته أمور المسلمين ، ولا أرى في معاوية شيئا منها . أن عليا رجل متقشف زاهد في الدنيا ، رأته مرة أنزل سيفه في السورق فباعه ، فسئل لماذا فعل ذلك ، فقال : (لو كان عندي أربعة دراهم ثمن أزار لم أبعه) . ويكفي قوله في وصف المؤمنين : (ومن سيماهم أن يكونوا خصم البطون من الطوى . يسس الشفاه من الظلم . عمش العيون من البكا) . ولو فتشت بيته اليوم ما وجدت فيه صفراء ولا بيضاء . وقد قضى عمره في اعزاز الاسلام وفتح الفتوحات ، ولم يلبس ثوبا جديدا ولا اقتنى ضيعة ولا ربا . ومن كان في مقامه يقدر على حشد الاموال واقتناء العبيد والاماء والضياع كما فعل غيره من الصحابة كطلحة والزبير وعثمان ، وصاحبنا وابن عمن معاوية . . . »



ثم سكت الشيخ وتنهذ تنهدا عميقا وقال وصوته يعلو بالرغم منه : « ان معاوية خدعنا بتظاهره بنصرة الخليفة المقتول حتى كرهنا الامام عليا ، وقد كنا في ظلمات من الغرض لا نرى الحق ، واما الآن وقد انقشع الغشاء من عيني فقد أصبحت ناقما على معاوية ، واذا فكرت في أعماله وأعمال على كدت أتميز غيظا ويتفطر قلبي أسفا على ما نال هذا الامام من الأذى . كيف لا وهو رجل عرفناه يوم انتصر علينا في وقعة الجمل ، فقد أشفق على عدوه أشفاقه على اولاده فأوصى أصحابه بالا يلحقوا مدبرا ولا يجهزوا على جريح ولا يمسوا النساء ولا الاولاد بسوء . وكم أوصى عماله أن يقسطوا في أحكامهم وقد أخبرني رجل أنه سمعه يوصي أحد عماله ويقول : (لا تضرب رجلا في جباية درهم ، ولا تبعن رزقا ولا كسوة شتاء ولا صيف ، ولا ذابة يعتمدون عليها . ولا تقيم رجلا قائما في طلب درهم) . ولو اردت أن أسرد لك من هذه الامثلة لضاق بي المقام وقد ينقضي أجلي قبل الفراغ منها وأنا انما استمهل ملاك الموت ريثما أتم وصيتي . . فاصغ لي نا ولدي ، تأمل عدل الامام على وحلمه

وما ارتكبه معاوية وعماله من الاعتداء على المسلمين . وخوفا من التطويل وقد تعبت من الكلام ، أذكر لك حادثة قريبة العهد لا يزال صداها يرن في الأذان . . آه . . آه من القساة أهل المطامع . . اتعرف عبيد الله بن عباس ؟ »
قال : « كيف لا أعرفه وهو ابن عم الرسول (صلعم) وابن عم على بن أبي طالب . نعم أعرفه »

قال : « اصغ لما أقصه عليك واعتبر . لما فرغ معاوية من وقعة صفين وتحكيم الحكيم وظفر بالخلافة بحيلة عمرو بن العاص المعلومة ، بايعه أهل الشام وظل على في العراق . ولم يقنع معاوية بما أوتيته من الحكم فبعث سراياه إلى الحجاز والعراق للفتح يدعون إلى بيعته ونقض بيعة على . وكان رسوله إلى الحجاز واليمن بسر بن أرطاة ، فجاء المدينة وتولاها لأن عاملها فر من وجهه . ثم جاء مكة هذه منذ شهرين ولا يزال الناس يتحدثون بفرار صاحبها أبي موسى الأشعري من وجهه . فأكفه أهلها على البيعة فبايعه أهل مكة مكرهين ، وقد كنت مريضا ولم أر وجهه . على أن عمله هذا لا يستوجب ملاما . ولكنه سار إلى اليمن وعاملها عبيد الله بن عبد المدان ، فلم يكن من بسر بعد دخوله اليمن الكوفة واستخلف عبد الله بن عبد المدان ، فلم يكن من بسر بعد دخوله اليمن إلا أنه أمر بعبد الله هذا فقتله وقتل ابنه صبزا . وسمع بابنين صغيرين لعبيد الله بن عباس قد أودعهما عند رجل من كنانة بالبادية ، فأراد قتلها وبعث في طلبهما فجاء الكناني ومعه الطفلان فلما علم أن بسرا يريد قتلها ذعر وصاح قائلا : لم تقتل هذين ولا ذنب لهما فإن كنت قاتلتهما فاقتلني معهما . فلم يكن من ذلك الظالم إلا أنه قتل الطفلين والكناني . وعلمت أن الكناني دافع عنهما حتى قتل . ولقد أعجبني قول امرأة من كنانة رأت ابن أرطاة مارا بعد تلك الفاجعة فقالت له : (يا هذا قتل الرجال فعلام تقتل هذين . والله ما كانوا يقتلون الأطفال في الجاهلية ولا في الإسلام . والله يا ابن أرطاة ان سلطانا لا يقوم إلا بقتل الصبي الصغير والشيخ الكبير ، ونزع الرحمة وعقوق الأرحام ، لسلطان سوء)

« هذه يا ولدي أعمال معاوية وعماله ، فأين هي من أعمال الإمام على ؟ وكيف تنقم عليه بعد ذلك ، وتقول أنه قتل عثمان وأنه يستوجب القتل ؟ »



ولم يتم الشيخ كلامه حتى خارت قواه وعجز عن اتمام الكلام ومل القعود فاستلقى على ظهره وهو يلهث والعرق يتصبب من جبينه ، فخاف سعيد عليه فأسرع إلى منديل مسح به عرقه وأتاه بلبن كانوا أعدوه له فشربه وأسنلقى بلمس الراحة ، وسعيد جالس إلى جانبه وقد وقع في حيرة إلى حيرة . فذكر

عهده لقطعان ولبت صامتا . وكان جده الشيخ ملتفت اليه مخلصا يرقب حركاته وسكناته . فأدرك ارتباطه وعلم انه يفكر في قطعان وأهلها فحول وجهه اليه وهو مستلق وقال : « أظنك تفكر في قطعان وأهلها الخوارج ، وقد يخيل اليك ان يخرجوهم من طاعة علي قد يطعن في صدق ماقلته لك ، ولكنهم لم يخرجوا الا طمعا في الدنيا فانتحلوا سببا لا يسمعه عاقل الا هزا بهم وأيقن جورهم . خلعوا طاعة علي لانه قبل التحكيم ، وما ذنبه وهم الذين أجبروه على قبوله ؟ وهب انه اخطأ فهل يخرجون عليه ويحاربونه ؟ ولكنهم رأوا معاوية قام في الشام وكاد يفوز بالخلافة فطمعوا هم في الحكومة لأنفسهم فاجمعوا على نقض البيعة ، ويؤيد ذلك أنهم ولوا عليهم رئيسا منهم وبإيعوه ولكنهم فشلوا في حروبهم وعادت العائدة عليهم

» وليس فشلهم بالدليل الوحيد على سوء نياتهم ، ولكنني اتلو عليك حكاية سمعتها من رجل اتق بصديق روايته هي أن الخوارج عند أول خروجهم على علي بعد رجوعهم من صفين ، نزلوا عند النهروان فرأوا رجلا يسوق حمارا عليه امرأة ، فدعوه فانتهروه فافزعوه وقالوا له : (من أنت ؟) . قال : أنا عبدالله بن خباب صاحب رسول الله (صلم) . فقالوا له : أفزعناك ؟ قال : نعم . قالوا لاروع عليك حدثنا عن أيك حديثا سمعه من رسول الله . فحدثهم بحديث (انه تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيه بدنه يمسي فيها مؤمنا ويصبح كافرا ويمسي مؤمنا) . قالوا مال هذا الحديث سالتك فما تقول في ابن بكر وعمر و . خائني عليهما خيرا . قالوا : فما تقول في عثمان في أول خلافته وفي آخرها . قال انه محق في أولها وفي آخرها . قالوا : فما تقول في علي قبل التحكيم وبعده قال انه أعلم بالله منكم وأشد توقيا على دينه وانفذ بصيرة . فقالوا : انك تتبع الهوى وتوالي الرجال على أسمائها لاعلى أفعالها ، والله لنقتلنك قتلة ماقتلناها احدا . فأخذوه وكشفوه ثم اقبلوا به وبامرانه وهي حبل ، حتى نزلوا تحت نخل مواقعر فسقطت منه رطبة فأخذها احدهم فتركها في فيه ، فقال آخر : أخذتها بغير حلها وبغير ثمن فالتقاها ، ثم مر بهم خنزير لأهل الدمة فضربه احدهم بسيفه فقالوا هذا فساد في الارض ، فلقى صاحب الخنزير فارضاه . فلما رأى ذلك منهم ابن خباب قال : لئن كنتم صادقين فيما ارى فمألى منكم من بأس اني مسلم ما أحدثت في الاسلام حدثا ولقد امنتموني وقتلتم لا روع عليك . فاضجعوه فذبحوه فسال دمه في الماء واقبلوا الى المرأة فقالت : اني امرأة الا تتقون الله ؟ . فمقروا بطنها . هذه أعمال اعداء علي وهذا هو علي فكيف تنقم عليه وكيف تقتله او تسعى في قتله ؟ بل كيف نسكت عن قتله ولا تدفع عنه ؟ »



فلما رأى سعيد نهاية حديث جده لم يعد يذكر العهد الذي كتبه على نفسه

بقتل على لئلا يزيد غضبه . فظل ساكتا يفكر في حيلة ينجو بها من وعده
بالتى هى احسن ، فلم يسعفه ذهنه واحس بالتعب الشديد ، وراى ابا رحاب
قد تعب ايضا . فقال له : « لقد اتعبت نفسك باجداه وانت توصينى فشكرا
على رعايتك ، واني ارى قولك المصواب واطلب اليه تعالى ان يقدرنى على العمل
به ، فاسترح الليلة وغدا نصبح ان شاء الله وقد ارتحنا فنستأنف الكلام » .
قال ذلك واكب على يده فقبلها فرأها قد بردت ويبست . فقال له جده :
« نم هنيئا يا ولدى فاني اخشى الا يصيب على الصباح فلا بد من كلمة اقولها
وهي ختام ما اوصيك به » . قال ذلك ومد يده فدنا سعيد اليه فعانقه وبكى
ثم قال والدمع ملء عينيه وشفتاه ترتجفان وذقنه تهتز : « اذا شئت
يا ولدى ان يفارق جددك الدنيا آمننا مطمئنا فعاهده بان تعمل بما اوصاك .
لاتبع سوء الامام على واذا رايت سبيلا للدفاع فادفع عنه بكل قوتك . هل
تعاهدنى على ذلك ؟ .. عاهدنى عليه . واجبر قلبى واذكر انى جددك وكافلك
ووصيك وانى ربيتك وتعهدتك وانى لا اريد لك الا الخير . هل تعاهدنى على
ذلك ؟ قل نعم واجبر قلبى انى قلق عليك .. »

فتائر سعيد من كلام جده حتى اغرورقت عيناه بالدموع وتذكر حسوه
وعطفه عليه فلم يسعه الا الايجاب فعاهده

ولكنه لم يكده يعاهده حتى ذكر عهده لقطام على عكس ذلك فعظم عليه الامر .
ورأى جده يميل الى الرقاد فدعا الرجل الموكل به وامره ان يتعهده فى أثناء
رقاده وخرج الى غرفة اخرى ونزع ثيابه والتمس الراحة . اما الرقاد فلم
يكن له فيه مطعم بعد ما انتابه من شتى الهواجس

لم يهدأ لسعيد بال ، وازداد الامر خطورة لديه ، وهاله انه رمى نفسه بين
عهدين متناقضين . فكان كلما تصور نكوله عن قتل الامام على شعر براحة
بال واطمئنان ، ثم يعاوده طيف قطام وبعدها فترتعد فرائضه ويحار فى أمره



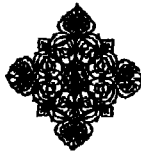
وبقى على هذه الحال حتى انتصف الليل لا يغمض له جفن ولا يستقر له
قرار . فنهض من فراشه وتزمل ببرده وعباءته وتعمم وخرج الى الخلاء .
وكان الظلام نجما ورقد الناس وليس فى طرق مكة سائر فخفف السكون من
اضطرابه ، وسار على غير هدى يفكر فيما هو فيه الى ان شعر بالبرد فالتفت
بالعباءة وظل ماشيا يبطئ تارة ويسرع اخرى حتى رأى نفسه على باب
المسجد الحرام فسرى عنه . فقال فى نفسه : « لادخل المسجد اصرى ركعتين
لعل الله يوحى الى بما يخفف اضطرابى » . وكان الباب مفتوحا وصحن المسجد
خاليا فتأبط تعليه ودخل حتى دنا من الكعبة فصلى وسجد فاحس لساعته

براحة فطاف حول الكعبة ثم التمس مكانا وراءها فاتكا وعادت اليه هو اجنه .
 فأجال بصره يراقب النجوم السابحة في الفضاء وأخذ يجمال القبة الزرقاء
 وأفكاره تائهة واشتد البرد عليه فأدخل رأسه في العباءة يجعلها خارا . وكان
 التعب والبرد تغلبا عليه فخذل واستولى عليه النعاس . ولكنه لم يكد يغمض
 لحظة حتى ابتدرته الاحلام فرأى قطام بجلباب أسود وقد أسفرت عن مخياها
 فبدت عيناها المكحولتان وأخذت تمشي نحوه حافية القدمين على بساط من
 ريش النعام الابيض . فحقق قلبه لرؤيتها وهم بالسلام عليها فرأها أعرضت
 أعراهن العائب وعيناها تتلألأ بالدموع ، فتفطر قلبه لرؤيتها على هذه الحال
 وساء أعراضها ، فهم بالاقبال عليها فلم تسعه رجلاه لما تولاهما من الرعدة
 فناداهما فلم تجبه وظلت معرضة وقد تحولت عنه ومشت تنظر اليه شذرا
 ولسان حالها يقول : « لقد خنت عهدي فما أنت أهل لي »

وحاول سعيد اللحاق بها ليخبرها ببقائه على العزم فلم يستطع ، ولما
 ابتعدت عنه هم بأن يناديهما فافاق من رقادها فإذا هو وحده بجانب جدار
 الكعبة والظلام محقق به

فمسح عينيه ليتبين إني يقظة هو أم في منام ، ولما تحقق انه كان حالما حد
 الله ولكنه ايقن انه اذا لقي قطام فلن يرى منها غير الاعراض

فمكث صامتا تتقاذفه الهوم وهو لا يهتدى الى حل مقنع ، فنهض راجعا
 الى المنزل ليرى ماذا حدث لجده . واشتاق ان يأوي الى فراشه بعدما اخناه
 التعب والبرد . ولم يكد يتلو سورة الفاتحة عندعودته حتى سمع لفظا خافنا
 كان اناسا يتسارون . وكان قد وصل الى مقام ابراهيم امام الكعبة فوقف
 واصاخ بسمعه فسمع خطوات بطيئة تقترب من الكعبة وهمسا يتكرر كأن
 القادمين يتشاورون في أمر خطير . فانزوى وراء المقام في مكان لا ينتبه اليه
 احد في الظلام ، وكان لا يرى الا الكعبة وما حولها



١٧ رمضان

وبينما كان سعيد واقفا في مكانه اذ رأى ثلاثة رجال لم يعرف احدا منهم ولكنه عرف من قيافتهم انهم غرباء ولم يتمكن من تمييز الوانهم ولا سحنهم وقد لفوا رؤوسهم بالمعائم لفا كالخمار اما اتقاء للبرد واما تنكرا

فمجب لامرهم وخفق قلبه خوفا من انكشاف مخبئه وخذرا من ان يكونوا قد استخفوا ليكيدوا لاحد فاذا علموا به وبافتضاح سره قتلوه ، فبالغ في انزوائه لايأتي بحركة وخشى ان يداهم العطس فيفضح امره . اما هم فوصلوا الى باب الكعبة واقتربوا من سعيد بحيث يراهم جميعا فلو كان القمر طالعا او كان هناك مصباح لتبين سحنهم جيدا ولكنه لم يستطع ان يتبينهم لسواد الليل . على انه لمح من بادي احوالهم وحركاتهم انهم في امر ذي بال ، وكان احدهم طويل القامة وهو اكثرهم حركة فجلس رفيقه الاربعة وظل هو واقفا ثم جلس القرفصاء وقال : « مالنا ولهؤلاء انهم جبناء ، تعالوا نبدا نحن بالامر فيكون لنا الفخر »

قال الثاني وكان قصير القامة ممثليء الجسم : « انا على رايتك فانه لم ينلنا من الائمة الا الضرر . يتنازعون على الخلافة فيقتتل المسلمون في نصرتهم فاذا قتلناهم رقدت الفتنه . نعم نقتلهم جميعا » . قال ذلك بصوت خافت وفي نطقه لجلجة وكان يلتفت يمنة ويسرة لئلا يسمعه احد

فقال الرفيق الثالث وكان لا يزال ساكتا : « اني لا اذكر يوم النهروان ومن قتل فيه من الابطال حتى يقطر قلبي دما . ان علينا قتلهم لانهم لم يرضوا بالتحكيم »

فابتدريه طويلهم وكان اجزاهم كلاما واعلاهم صوتا على عكس رفيقيه فقال : « لا يجدنا التذمر والتضجر ونحن سكوت نرى ابناءنا واخوتنا يقتلون في نصرة هؤلاء الائمة ولا نبدي حراكا . هلم تكف المسلمين شرهم »

فلما سمع سعيد حديثهم علم انهم يتآمرون على قتل جماعة من الائمة ، وان الامام عليا واحد منهم ، ولم يعلم من هم الآخرون . فجعل يرتعد فرقا وخوفا من ان يتكشف مكانه ولكن حب الاستطلاع جعله يقدم على علم ما هم فيه ، فبينما هو ينزوي ليختبئ ويتمنى على السحب ان تشتبك مع الظلام في حجبها عن العيون اذا به راغب في كشف ما يبيتون

وسكت صاحباً الرجل الطويل الجريء بعد أن انتهى من كلامه . فلما رأى صمتهما ابتدرهما قائلاً : « وماذا علينا لومتنا ؟ حبسنا الموت في سبيل انتقاذ المسلمين من فتنة يقتتلون فيها . وأصل الفتنة ثلاثة يتنازعون على الخلافة وسلطان الدنيا وهم علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وعمر بن العاص . هلم بنا نقتلهم نرح الناس منهم »

فقال الثاني : « انى على رايك من أول الامر فكيف السبيل الى قتلهم وهم محاطون بالجند والاعوان فلنفكر في وسيلة تضمن لنا الفوز ونأمن بها الخطر »

فأسرع الأول في جوابه وقال : « أراك تتردد كأنك تخاف هول الموقف أو كأنك تمنى أن يكون نصيبك قتل امام يرهبك . تعالوا نقسم العمل فيما بيننا . تعالوا نقسم ليقتل كل واحدنا واحداً من أولئك الثلاثة ، ونعين يوماً نباشر العمل فيه معاً ، فيكون أحدنا في الكوفة لقتل علي ، وآخر في مصر لقتل عمرو ، والثالث في الشام لقتل معاوية . وهكذا يقتل كل منا صاحبه في ذلك اليوم فيصبح المسلمون وقد نجوا من اسباب الفتنة ، فيختارون خليفة يولونه أمورهم وترجع الخلافة الى بساطتها »

فلما سمع سعيد ذلك تهيب الامر واستعظمه ولم يصدق أنهم يستطيعونه وبدأ له أن يقتل على يمهده له وضوء قطام وإن لم يكن قتله على يده ، ولكنه تذكر كلام جده وما أوصاه به من الدفاع عن علي لبراءته مما ينسبونه اليه فانقضت نفسه ولكنه أفاق من اضطرابه عندما عاد المتآمرون الى الكلام . فلما فرغ أولهم من كلامه ولم ير اقبالاً عليه من رفيقيه لم يصبر حتى يسمع ما يقولون وانطلق يقول : « لا ترددوا ولا يهولنكما الامر فهو أسهل ما يكون على ذي جراحة . وكأني بكما تفكران في قسمة العمل وتخافان أن يكون نصيب أحدنا أصعب مراساً من نصيب الآخر ، فلا تخافا فاني أخذ على عاتقي قتل أكبر هؤلاء الثلاثة وأشجعهم . انا أقتل علياً بن أبي طالب ، فاني وإن يكن مقامي بالفسطاط فاني آتي الكوفة فاقتله » . قال ذلك وأقبل حتى دنا من باب الكعبة وأمسك بحلقته وقال : « ها انذا أمسكت بحلقة الكعبة وأقسم بالله وبهذا البيت الحرام لاقتلن علياً بن أبي طالب وأبذل في هذا السبيل ما في وسعي وأشهد الله على ذلك »

فلما فعل ذلك نهض رفيقاه متحمسين فأمسك كل منهما بحلقة الباب وأقسم أحدهما ليقتلن معاوية بن أبي سفيان ، والآخر ليقتلن عمراً بن العاص ولا تسئل عن سعيد عندما شهد هذا العهد الخطير وقد تمنى لو عرف المتآمرين ولكنه لم ير سبيلاً الى ذلك . ولكنه فهم من سياق الحديث أن الذي آلى على قتل الامام على من أهل فسطاط مصر

ثم عاد الثلاثة الى مجلسهم فقال أحدهم وهو السخين القصير : « لقد تعاهدنا

على قتل هؤلاء الأئمة ولكننا لم نعين اليوم الذى نفعل فيه ذلك فان لم نعينه فشلنا جميعا »

فقال الثالث : « وهذا ما أراه أنا أيضا لأننا ان لم نعين اليوم كان المجال واسعا ، ونخشى ان سبق احدنا الآخر ولم ينجح او قتل او قبض عليه ان يخاف الباقيان ويتكلا . فلنعين اليوم والساعة »

فقال الاول : « ان الساعة يصعب تعيينها فلنعين الليلة ليتم عملنا في ليلة واحدة . في أى الشهور نحن الآن ؟ »

قالا : « في جادى »

قال : « فليكن موعدنا رمضان المبارك لنشهد عيد الفطر والمسلمون قد اطعمونا ، واذا قتلنا لقينا ربنا وقد فعلنا ما علينا . فاختاروا ليلة من ليالى رمضان »

قال الثانى : « أنا أختار الليلة السابعة عشرة من رمضان فما قولكما ؟ »

قالوا : « انها خير ليلة » . ونهضوا وسعيد يخاف ان يمروا به ويروه ، ولكنهم داروا حول الكعبة كأنهم يطوفون بها وليث هو ينتظر عودتهم فلم يعودوا . فلما استبطأهم علم انهم خرجوا من باب آخر أو داروا وتحولوا الى الباب الذى دخلوا منه . فرفع رأسه ونظر حوله فلم ير احدا ولا سمع صوتا فنهض وطاف حول الكعبة فتحقق انهم خرجوا . فجلس هنيهة يفكر فيما مر به وهو يحسب نفسه في حلم لغرابة ما رآه واتفاق حدوثه في الليلة التى اوصاه جده فيها بالآب يقتل عليا . ونظر الى الافق فاستقبلته الزهرة تتلألا كأنها تبشره باقبال الفجر . وتذكر جده فرأى ان يعود الى المنزل قبل ان يطلع النهار ويخرج الناس . ومشى



ولما اقترب من المنزل خفق قلبه مخافة ان يكون جده قد أصاب حتفه في غيابه فدخل الدار فرأى السكون تخيما عليها فاستبشر وقصد الحجرة التى كان جده نائما فيها فرأى المصباح مضيئا فاطل من الباب فرأى عبد الله جالسا بجانب الفراش وجده نائم . فنظر الى عبد الله كأنه يستطلع الخال فنهض لاستقباله ووجهه باش فاطمان قلبه وقبل ان يلقى التحية ابتدره عبد الله قائلا : « لقد شغلنا بغيابك فان جددك افاق من نومه مرارا وطلب ان يراك ونحن لا نعرف مكانك وقد ألح كثيرا في طلبك »

قال : « وكيف هو الآن ؟ »

قال : « في خير وقد رآيناه في راحة لم يدقها منذ ايام » .

ولم يتم عبد الله كلامه حتى رأى ابا رحاب يتحرك في فراشه فتقدم سعيد اليه ففتح عينيه وأشار اليه فدنا منه وجثا أمامه

فقال أبو رحاب : « أين كنت يا ولدي فقد طلبناك فلم نقف لك على أثر ! »
قال : « خرجت في حاجة الى الكعبة واتفق لي حادث تغلني عن المجيء
حتى الآن »

فمد الشيخ يده وقبض على يد سعيد وضغط عليها كأنه لا يريد ان
يفارقه وسعيد صامت لا يبدى خراجا لشدة تأثره من منظر جده الشيخ
وقد شعر أنه انما ضغط على يده بغية الوداع

فترقرقت الدموع في عينيه والتفت الى عيني جده فرأهما غارقتين بالدمع
وهما شاخصتان اليه فتفطر قلبه وهم بأن يتكلم فابتدره جده قائلا : « اني
لا أزال في قلق على مستقبلك وأخشى ألا تكون قد استوعبت نصيحتي فقد
نصحتك وأنا في آخر أيام الدنيا نصيحة أوحى الي أن ألقها اليك . وقد
تركنتي الليلة غارقا في بحار الاحلام وكان هاتفنا خوفني من غيابك . هل أنت
باق على عهدي ياسعيد ؟ »

قال : « لقد عاهدتك يا جداه عهدا وثيقا اني لا أسعى بضر للإمام على
ماحييت ، وأنا باق على عهدي ، وأزيدك علما انني صادفت في الكعبة عصابة
يتآمرون على قتله . وقتل صاحبيه معاوية وعمرو في يوم عينوه وتعاهدوا
عليه فلم يبق ثمة حاجة الى سعيي »

فبغت الشيخ وحلق وصاح : « ومن هؤلاء ؟ »

فقص سعيد خبره مختصرا وختم كلامه قائلا : « اني لم أعرفهم وما
استطعت اللحاق بهم خوفا منهم لاني أعزل »

قال : « ألم تعرف الذي حلف على قتل الإمام على »

قال : « كلا ولكنني علمت من كلامه أنه من مصر ، ويغلب على ظني أنه
من الخوارج »

فصمت الشيخ برهة كأنه يفكر في أمر مهم ، ولحظ سعيد من شخوص
عينيه وذبول أجفانه وانقلاب سجنته أنه تعب . وأما أبو رحاب فتجلد وقال
وهو يرتجف ولا يستطيع التلفظ بكل مقطع من مقاطع الكلام كان لسانه شد
برباط : « يا ليتني كنت بينهم لأقنعهم بالكف عن ذلك . . . فلو استطعت
استمهال أجلي لسعيت في البحث عنهم فإذا عرفت الساعي في قتل الإمام
على أرجعته عن غيه بالبرهان . . . انهم والله ظالموه » . ثم سكت هنيهة
ليستريح وعاد الى الكلام وهو يتلجلج ويقف عن الكلام عند كل شهيق من
تنفسه وقد أسرع تنفسه وظهر الاضطراب عليه ، فعلم سعيد ان جده في
النزع فارتعدت فرائصه وتخشح قلبه وحزن ، ولكنه أصرى لتتمة حديثه
فاذا هو يقول : « وأما أنت يا سعيد فاصغ لقولي واعمل بنصيحتي . . ولا

اقبل منك السكوت عن هذا الأمر... وإنما أنت... مكلف بالبحث عنه...
 أنك مكلف بالبحث عن هذا... الرجل في مصر... والشام... والعراق
 حتى تعلم مقره... فاما أن تقتنه... وأما أن تنبئ... الإمام بأمره...
 اني... القى... هذا الامر على عاتقك... فاحذر... أن تتقاعد عنه...
 والا فانك... قاتل عليا بيدك... هذه وصيتي لك، احتفظ بها ولا تتمهل
 أو تتكاسل... والله شاهد... على ما أقول... هذه... وصيتي
 الأخيرة بل... هذه... آخر كلمة أفوه بها في هذه... الحياة الدنيا...
 وكنت مستغربا تأخير أجلى الى... الساعة... وكنت احسبني... ميتا
 منذ أيام ولكن الله... انما اراد بذلك... أن اكل اليك... هذا الأمر...
 هذه آخر وصيتي لك، ابحت... عن هذا الرجل وارجه... عن غيه...
 كما ارجعتك... ولو اوتيت... عمرا ثانيا لقممت في بني أمية... وفي
 الخوارج خطيبا أصرح ببراءة... الإمام علي، على رؤوس الأشهاد، ولكن
 آه... ان الساعة آتية... لا ريب... فيها... وها أنذا استودعك...
 الله وأخر ك... لم... آتة أقو... لها لك... على... على...
 اد... فع... عن علي بيدك... وقلبك... ولسا... ن... ك»

ولم تخرج هذه الكلمات الأخيرة من فيه حتى اختنق صوته ثم شقق شهقة
 دوى صوتها في اطراف المنزل وارتخت مفاصله، فأفلتت يد سعيد من يده
 ونظر سعيد الى جده، فاذا هو قد أغمض جفنيه ووقف تنفسه... فجس
 يده فاذا هي باردة فلمس جبينه فاذا هو كالثليج وقد فتح فاه وأرسل نفسه
 الأخير وبطلت حركة الحياة فيه فاصبح جسما بلا روح... فاقشعر بدن
 سعيد ودق يدا بيد وصاح: « واجداه واجداه... ويلاه كلمني وزدني نصيحة
 أخرى... ». وما من مجيب... وكان عبد الله قد خرج فعاد ولما رأى أبا رحاب
 قد مات أخبر أهل المنزل فاجتمعوا وعلا النحيب والبكاء

ولم يكن الحزن على موت أبي رحاب شديدا لتوقعهم ذلك منذ أيام... أما
 حزن سعيد فكان مضاعفا لامتزاجه بالهواجس والاضطراب ولما سمعه من
 جده وما هو مقيد به من العهود المضادة



وبعد الدفن عاد سعيد الى صحوه وفكر في حاله فرأى نفسه في مشكلة
 لا يدري كيف يتخلص منها، وبعد التأمل الطويل رأى انه قد يسهل حلها اذا
 استطاع اقناع قطام ببراءة على فتنزل عن حقدها وتعمتها، فلما فتح عليه
 بذلك توسم خيرا واحس بانفراج الازمة، فأعمل فكره كيف يستولي على
 عواطفها ويغير اعتقادها في الإمام حتى تسكت عن طلب ثأر أبيها وأخيها
 فخيّل اليه أن اقناعها سهل فهذا روعه

واسرع في تدبير شؤون ذويه وكان فيهم شاب اسمه عبد الله ربه أبو رحاب كما ربه سعيدا ، وكان يتمزى به ويحبه ، وهو الذي أنفذه الى الكوفة لاستقدام سعيد ، فلما مات أبو رحاب تقدم عبد الله الى سعيد بأن يأذن له في مصاحبته والحق في ذلك كثيرا . فتعجب سعيد لتلك الرغبة في السفر ولم يكن يعهد عبد الله ميلا الى ذلك

والسبب في تلك الرغبة ان أبا رحاب كان من الدراية والفراصة بحيث لم يخف عليه ضعف سعيد ، فأرسل أنفاسه الأخيرة وهو يخاف عليه غدر الناس وخداعهم . ولكنه استدرك قبل موته فأوصى عبد الله هذا بأن يكون له عونا فيصحبه حيثما سار فينجده ويرشده فانه وان يكن شابا مثله ولكنه اعراف بالدهر وبالناس

وبعد أيام ودع سعيد اهله ، واصطحب عبد الله وسارا يطويان الصحراء الى الكوفة ، وعبد الله لا يعرف شيئا من علاقة سعيد بقطام ولا ماتامر عليه الثلاثة في المسجد الحرام ، ولكنه فهم من حديث أبي رحاب معه ان سعيدا كان عازما على قتل الامام فأرجعه أبو رحاب عن عزمه . وسمع حديث سعيد عن المؤامرة ولكنه لم يفهمها جيدا . فلما أوغلا في الصحراء بدأ عبد الله حديثا تطرقا منه الى ذكر قتل الامام على ، واستأنس سعيد بعبد الله وهو مخلص بفطرته ففتح له قلبه وكشف له من سره وارتاح لمشورته . ولم يصلا الى الكوفة حتى أصبح عبد الله عارفا بكل مكونات قلبه فشاركه في شعوره بشأن عهده مع قطام ورجوعه عنه ، فثبتته على اتباع وصية جده وهون عليه اقناع قطام الى ان قال : « فاذا لم تقنع فاتركها والنساء كثيرات وأنا اختار لك فتاة من اجل الفتيات خلقا . وخلقاً وارفعهن نسبا لا تقاس بها قطام » . وكانا يتحدثان وهما على ناقتيهما يطويان البيد طيا

فقال سعيد : « لا لا تقل هذا فليس في النساء اجل من قطام ولا صبر لي على فراقها بله اغضابها فانك على ما يلوح لي لم تعان الحب ولا عرفت سلطانه » . قال ذلك وتنهى . . . وتوقف هنيهة ثم قال : « وهب اني لا أحبها ولست عالق القلب بها فان في يدها عهدا مكتوبا أخاف اذا اغضبتها ان تشي بي الى على او . . . ولكنني واثق بصدق مودتها فهي لا تريد بي سوءا بل تبغى رضاي »

فقال عبد الله : « اذا كانت تحبك كما تقول فليس اسهل من اقناعها بالرجوع عن قتل الامام فيتباح لك البحث عن السامى في قتله وتردعه عن غيه فاذا لم يرتدع قتلته او نقلت خبره الى الامام ليرى رايه فيه »
فارتاح سعيد الى هذا الرأي

أقبلا على الكوفة والشمس مائلة الى المغرب وكان سعيد قد قضى ذلك النهار يستحث ناقته لعله يدرك المدينة قبل الغروب ليتمكن من الذهاب الى بيت قطام اذ لا صبر له على تأجيل زيارتها. وهو على مقربة منها ، فلما دنا الغروب وهو لم يدخل الكوفة بعد ، انقبضت نفسه ، وأدرك عبد الله ذلك مما آتته فيه من السكون . فأراد أن يروح عنه فقال له : « أبعيدان نحن عن منزلك »

قال : « اذا ما دخلنا المدينة دنونا منه لأنه في أطرافها »
قال : « انى أستعجل الوصول لاستريح من وعناء السفر وأنجو من ركوب الجمال فقد أتعبنى اليوم جريها »

قال سعيد : « انى أرانى على-ضد ذلك وتحدثنى نفسى أن أصلى العشاء فى المسجد قبل البيت »

فأدرك عبد الله أنه انما يريد زيارة قطام ليطالعها على حديث جده ويرى ما يبدو منها عندما تعلم بما عول عليه ، فراهى أن يثبها عن زيارتها حتى يتمكن من تهئية السبيل والحيلة لمخاطبتها لثلايقشلا ، لعلها بما هو عليه سعيد من سلامة الطوية التى يخشى عليه منها . فقال له : « دعنا نصل العشاء معا فى المنزل ونصبح ان شاء الله فنصلى فى المسجد »

فلم يراجع سعيد حياء وقبل . ولكنه أسر فى قلبه ان يذهب خلسة الى منزل المعجوز لبابة ليتحسس الحال

ودخلا الكوفة وقد أمسى المساء فقصدا الى منزل سعيد فترجلا واغتسلا وصليا ثم تناولا العشاء وتظاهرا سعيد بالنعاس فذهب كل الى فراشه ، وانتظر سعيد حتى ظن رفيقه قد نام فالتف بصاءته وانسل الى بيت لبابة وقطع طريقه يفكر كيف يبدأ بالكلام . فلما وصل رأى لبابة خارجة منه وقد تخمرت ومشت تتوكأ على عكازها ، فبغت لرؤيتها وحياتها فردت التحية وهى لا تكاد تصدق أنها تراه . فلما تحققت أنه سعيد رجعت وهى تبالغ فى الترحاب به وتضحك ضحكتها المعهودة . فاستأنس بترحابها ، ثم تذكر ما جاء فيه من الامر الجديد فانكمش قلبه ولكنه تبعها حتى وقفوا بباب الحجرة فأمرت عيها أن يضىء المصباح وعادت الى مخاطبته فسألته عن ساعة وصوله . فقال : « انى وصلت الساعة ومن شدة تعبى من السفر الطويل لم أصبر على رؤيتك قبل المنام »

فقهقهت قهقهة دوى لها البيت وخيل اليه لفرط قلقه ان عبد الله يسمعه فقال لها بصوت خافت : « وما الذى يضحكك يا خالة ؟ »

قالت : « لقد أضحكنى شوقك الى رؤية هذا الوجه القبيح (وأشارت الى وجهها) وانت انما تشتاق الى رؤية وجه أجل منه . . . أليس كذلك ؟ »

فقاطعها وهو يخفض صوته وقال : « لا والله انى الآن فى شسوق اليك اكثر من شوقى الى قطام لانى وقعت فى ورطة لا ارى احدا ينجينى منها سواك فاسعفينى برايك ودهائك . وارجو قبل كل شىء ان تحفظى قدومى اليك الان سرا تكتمينه عن كل انسان ، لان معى رفيقا صحبنى من مكة فلما وصلنا الى الكوفة ورأى ميلى الى الخروج اقعدنى حتى الصباح فاستحييت وبقيت فلما استغرق فى نومه جئت خفية . . »

ولم يتم كلامه حتى جاء العبد بالمصباح فدخلوا الغرفة وسعيد يقول : « لقد عودتنى يا خالة ان تكونى عوناً لى فى مصائبى فانت التى اقنعت قطام بمهارتك ودهائك بزواجى بها فالتمس منك الآن ان تقنعى بها جئت به اليك »

فعبجت العجوز لاهتمامه الشديد ولو كان قلبها حيا لخفق واضطرب ولكنها تعودت الاهوال ولاقت الغرائب فلم يعد يخيفها امر . فقالت : « قل ما بدا لك انى مستودع اسرارك ولا آلو جهدا فى خدمتك »

فتنهذ سعيد وسكت وهى تحديق فيه بعينها الغائرتين . وبعد هنيهة قال لها : « لقد جئتكم بأمر لا ادرى كيف ابدا الحديث فيه »

قالت : « قل ولا تبالي ولا تجزع فانى عركت الدهر ولقيت الاهوال حتى لم اعد أستغرب امرا . . . قل ما بدا لك »



قال سعيد : « انت تعلمين انى عاهدت قطام على قتل الامام على »

قالت : « نعم أعلم ذلك »

قال : « وهل تعلمين لماذا خرجت الى مكة »

قالت : « علمت انك شخصت اليها ولكننى لم أعلم السبب »

قال : شخصت اليها اجابة لطلب جدى رحمه الله »

قالت : « جددك ابو رحاب ؟ ما الذى اصابه ؟ »

قال : « انه مات بعد وصولى الى مكة بيوم واحد وكان قد بعث الى ليرانى قبل موته »

قالت : مات ابو رحاب ! . رحمة الله عليه . انه كان رفيقا بك شفوفا عليك وانا أعلم انك ربيت فى حجره وقد كان أحسن من الوالد عليك . ولا شك ان موته شق عليك كثيرا . وكنت تود ان يبقى حيا ليفرح بك ويشهد زواجك بعد ان يعلم بما عاهدت عليه لتنفذ بنى أمية من العار و . . . »
فقطع كلامها قائلا : « آه يا خالة لقد كنت اظن هذا الظن قبل ان أراه .

ولكننى ما لبثت ان ندمت على ذهابى اليه لانه حملنى قبل موته حملا تريننى
أنوء به »

قالت : « وماذا عسى ان يكون ؟ »

قال : « ان ما ظننته سببا لارتياحه قد رأيتـه داعيا لغضبه »

قالت : « هل أخبرته بعزمك على قتل على ؟ »

قال : « نعم أخبرته ولكنه أنكر على قتله وأوصانى وهو على فراش الموت
ان لا امد يدى الى هذه الجريمة لأن هاتفا جاءه وأنباء ببراءة الامام على مما
يتهمونه به »

وكان سعيد يتكلم ولبابة شاخصة اليه وقد اسفت لحية مسعاها ، ولكنها
لدهائها ومكرها لم تبد حراكا ولا اظهرت استغرابا بل تشاغلـت باصلاح
خمارها تنتظر آخر الحديث

واما سعيد فكان يكلمها وهو يتوقع بفتتها أو غضبها فلما رآها صامتة
مصغية تجرأ على اتمام الحديث فقال : « ولما سمعت كلام جدى جادلته
فرايت منه اصرارا على رايه وقص على شيئا كثيرا من الأدلة والشواهد
المؤيدة لقوله »

قال سعيد ذلك وسكت وهو ينتظر ماتقوله العجوز، فراها لاتزال صامتة
ولم بيد على وجهها شيء من الاستغراب ، فعطف بحديثه على المؤامرة التى
شاهدها فى الكعبة ظنا منها انها توازن ماتقدم من الحديث القريب . فلما
سمعت قصة المؤامرة على قتل الامام على وعمرو ومعاوية ، رأت فيها تعزية
ولكنها اظهرت الاستخفاف بما تأمروا عليه وأرادت أن تتحقق ما عول هو
عليه فقالت : « وهل علم أبو رحاب قبل موته بتلك المؤامرة ؟ »

قال : « نعم انى اطلمته عليها قبل ارسال نفسه الاخير ببعض الساعة فلم
يزدنى الا ثقلا بوصية قالها وهو فى آخر ساعات الدنيا .. آه من تلك
الوصية »

قالت : « وما هى ؟ »

قال : « انه أوصانى بالا اكتفى بالكف عن قتل الامام على ، بل يجب ان ادفع
عنه . فلم ار بدا من اجابة طلبه وأنت تعلمين موقفى فى مثل هذه الحال ...
ولكننى لم أعاهده الا بعد أن تفتـر قلبى للمسوعة التى كانت تنحدر على لحيته
وقد شخصت عيناه وتلعثم لسانه وتجلجـل صوته حتى خيل الى ان عظامه
تتكلم »



فلما تحققت نكوله عن عهده خافت اذا اظهرت له الاستياء ان ييـوح بأمرها

وامر قطام الى على وهما في الكوفة فينتقم على منهما ، فارادت ان تخادعه فتأخذ منه ولا تعطيه فقالت : « ولماذا لم تدعن لجذك فان كلام مثل هذا الشيخ الجليل يعتبر خارجا من افواه الملائكة »

فلما سمع كلامها انشرح صدره فابتسم وقال بكل سداجة : « كيف لم اذن ؟ لقد اذعنت وعاهدته وهل أستطيع غير ذلك ؟ . ولكننى عاهدته وقلبى فى شاغل بقطام وعهدا لعلمى ان ذلك العهد يحرمنى منها » . ثم عطف فقال : « ولكنى لما تذكرت حبك لى وغيرتك على هان الامر وقلت ان مايسر على مثلى يهون على خالتى لبابة ... بالله ... الا ساعدتنى على اقناع قطام بالرجوع عن عزمها على قتل الامام على ، انه والله برىء مما اتهموه به .. بالله ساعدننى واشفقى على فقد وقعت فى حيرة بل هى مصيبة لاينجنى منها سواك » . قال ذلك وجثا امامها وهم بيدها وقبلها وقد كادت العبرات تخنقه

فظهرت تلك العجوز المحتالة بالحنو وتبسمت وهى تجذب يدها من بين يديه لتمنعه من تقبيلها واجلسته وقالت : « طب نفسا يابنى ، انى قاعلة ما تريد وارجو أن يساعدنى الله على اقناعها ... »

فلما سمع سعيد قولها ابتسم والدمع ملء عينيه اعجابا بحنوها وفرحا بنبل بغيته التى لم يكن يتوقعها وفرح بمجيئه تلك الليلة ومقابلة لبابة قبل مقابلته قطام

اما لبابة فظفرت اليه وهى تحك ما وراء اذنها برأس سبابتها كأنها تفكر فيما تختلقه من الاسباب لا قناع قطام ، وهى فى الحقيقة تدبر حيلة للخداع سعيد ثم قالت : « طب نفسا ولا تبالي فانى أضمن لك الفوز اذا اطعتنى .. » فابتدريها قائلا : « انى طوع مشيئتك فى كل مائامرين ، هذا مالى وكل ما املكه بين يديك »

وكان سعيد يتكلم وللبابة مطرقة . ثم سكت هو وظلت هى مطرقة ، ثم استأنفت الحديث بفتة فقالت : « سبحان الله لقد مرت بى ايام وانا مستغربة مايندو لى من قطام على غير المعتاد فقد يكون الذى فاه به جذك فى مكة اثر فى قطام هنا ولا ادرى ما هو هذا التأثير »

فدهش سعيد مما سمعه وقال : « ماذا تعنين ؟ »

قالت : « اعنى انى آتست من قطام تغيرا غريبا بعد ذهابك ، فانها لم تعد تذكر الانتقام وقضت اياما عديدة كأنها فى حيرة أو كان امرا طرا عليها لا تتكلم الا قليلا فعسى ان يكون ماغيرك قدغيرها . وعلى كل حال كن فى راحة وسكنة وانا ادبر الامر ، فلا تذكر انك جئت الى ولا انك رايتنى قبل رؤيتها »
قال : « بارك الله فيك . والله ان قضيت لى هذه المهمة لا ادرى كيف

اكافئك . ولكنى اتقدم اليك الا تذكرى زيارتى هذه لاحد ولا سيما رفيقى
عبد الله »

قالت : « سمعا وطاعة فعليك اذن ان تأتى غدا لزيارتها فى منزلها وأنا
هناك ، ولا تزدد على السلام والكلام العادى . واحذر ان تذكر شيئا عما خضنا
فيه الا اذا هى خاطبتك به . . وهل تنوى اصطحاب رفيقك غدا »
قال : « سيأتى معى ولا بأس من الخوض فى الامر بين يديه لانه بمنزلة
أخى »

قالت : « فليكن ما تريد وفقنا الله لما فيه خيرك وراحتك »
فازداد سعيد اعجابا بغيرتها وحنوها فقال لها : « اسمحى لى ان اقبل
بك فانى لما فقدت جدى الذى كان بمنزلة أبى حسبت نفسى يتيما ولكنى
تحققت الآن من حنوك انى ما زلت مرموقا بعين العناية . ها انى قد القيت
الحمل على عاتقك فدبرى الامر كما يلوح لك » . قال ذلك وقبل يدها
مرارا ونهض ونهضت لوداعه وهى تقول له : « نم هنيئا وموعدا فى اللقاء
غدا فى بيت قطام »

خرج سعيد من عندها وقلبه يطفح سرورا لنجاته من شر عظيم . ولم يدر
ما يبتته له تلك المعجوز من اساليب الخداع . فلما توارد عنها عادت الى
غرفتها واعملت فكرتها الخبيثة فى حيلة تنطلى عليه بحيث يصدق عدول قطام
عن عزمها . ولولا خوفها من ان يشى هو بها ، وبقطام الى على اذا انكرت
عليه وصية جده لجاهرت بمقاومته ، ولكنها رأت من الفطنة والدهاء ان تجاريه
فى رايه ، وتحمل قطام على مشاركتها فى ذلك ، ثم تحتالا فى بقاء المؤامرة
مكثومة حتى ينفذ المتآمرون عهدهم فيقتل على . وما درت لبابة ان قطام
اشد دهاء منها وأعظم حيلة وانها ستزيد على ذلك وسيلة أخرى للفتك
بسعيد على اهون سبيل

ولم تعد لبابة تستطيع رقادا قبل اطلاق قطام على الامر ليهيئ الحيلة قبل
مجيء سعيد فنهضت لساعتها وسارت الى بيت قطام



لقاء قطام

أما سعيد فخرج والفرح ملء فؤاده حتى أتى منزله فرأى رفيقه نائما لفرط تعبهِ فسر لذلك سرورا عظيما ، ومضى الى فراشه ولكنه لم يستطع رقادا لشدة تأثره ، فقضى ساعات يتقلب على الفراش وقد طال ليله وهو يفكر في ساعة اللقاء غدا ولا يصدق أن يلقي قطام على مثل رأيه . فلما تصور عدولها عن قتل على كاد يطير من الفرح بما سيناله من الاقتران بها ثم يعترضه كلام جده وما كلفه به من السعي في الدفاع عن على وردع الساعي في قتله فيختلج قلبه في صدره لهول ذلك الامر . على أن هذا الامر لم يكن شيئا بالنظر الى ما يتوقعه من السعادة بالحصول على قطام

ولم تغمض عيناه حتى الصباح ، ولم يكد ينام حتى أفاق مدعورا وقد رأى شعاع الشمس يسطع على جدار غرفته فأسف لابطائه في الفراش والوقت غمين ، فنهض لساعته وخرج يبحث عن عبد الله فإذا هو قد لبس ثيابه ووقف يصلى فصلى معه وهو لا يفقه ما يقول

فلما فرغ من الصلاة قال له عبد الله : « لقد أبطأت في زقادك يا اخا امية »
قال : « انما أبطأت لهول ما لقيناه من التعب في الطريق »

فصدقه عبد الله وجلسا لتناول الطعام وسعيد غارق في تصوراتهِ وقد أدرك عبد الله ذلك فيه ولكنه حسبه من قبيل الشوق الى قطام فقال له :
« الا تنوى الذهاب الى قطام ؟ »

قال : « بلى أرى أن نسير اليها لعل الله يأخذ بيدنا ونرى منها انصياعا للحق فتعدل عن عهدنا »

فأراد عبد الله أن يختبر ثباته فقال : « هب انما لم تقبل فماذا تفعل . هل تبقى على عزمك أم ترجع عما أوصاك به جدك ؟ »
قال سعيد : « اننا نبدل جهدنا في اقناعها فإذا لم تقنع ظللنا على عزمنا فان وصية جدى مقدسة »

فسر عبد الله لثباته على عزمه وهو لا يعلم انه لم يفعل ذلك الا بعد ما املته به لبابة من اقناع قطام ، ولولا ذلك لتردد في الجواب كثيرا وربما أثار البقاء على عهد قطام على احترام وصية جده ، لأن غرامه بتلك الغانية الفتانة غلب على كل عواطفه

فلما رأى عبد الله عزمه استعجله في الذهاب الى فطام مخافة ان يطرا عليه ما يضعف عزيمته . وكان عبد الله أسر في نفسه اذا آنس فيه ترددا ان يشبه عن الذهاب اليها . فلما فرغا من الطعام نهضا ومشيا بقصدان بيت فطام ولم يكن بال سعيد خاليا من القلق ولكنه اطمأن الى ما منته به لبابة من الوعود

ووصلا الى المنزل ودخلا الحديقة فاختلج قلب سعيد اذ عادت اليه ذكرى لقياء فطام هناك وما تبادلوه من آيات الفرام . وفيما هما سائران بين النخيل رأيا لبانة بالباب تبسم . فلما رآها سعيد استبشر وتشدد فمشى ورفيقه وراءه حتى دنوا منها فحياها سعيد كأنه لم يكن قد رآها بعد رجوعه . فردت تحيه وسلمت على رفيقه ، فدخلتا حتى أقبلتا على فطام فاذا هي واقفة الى نافذة تطل على البحيرة وقد لبست جلبابا اسود فوقه خمار اسود فلما رأتها راحت خمارها واقبلت نحوهما ، فحياها سعيد وذكر اسم رفيقه لها وقال : « لقد اتيت ومعى صديقى وأخى عبد الله فإنه أنبسى ومساعدى »

فرحبت بهما ودعتهما للجلوس فجلسا وكلهم سكوت ، وبدأت العجوز بالكلام فقالت : « لقد اوحشنا ياسعيد بطول غيابك وقد أخبرنا ريحان أنك أينما يوم سفرك فلم تر قطام فيسفلنا عليك لسرعة ذهابك فعسى ان يكون الباعث خيرا »

فتنهذ سعيد وقال : « كلا انه لم يكن خيرا ياخاله لأنى ذهبت الى جدى أبى رحاب في مكة فقد ارسل أخى هذا عبد الله يدعونى اليه »

قالت : « وماذا عسى أن يكون سبب استدعائك ؟ »

قال : « دعائى لأراه بعد أن هرم وغلبه الضعف والمرض على امره ، فلما تحقق دنو اجله اراد أن يرانى قبل موته فسرت ولم أمكث الا ليلة حتى قضى نحيه »

فتظاهرت فطام باستغراب الخبر كأنها لم تسمعه من قبل وقالت : « هل مات جدك ؟ .. رحمة الله عليه وعزك الله وأبقاك » . وتنهدت كأنها تذكرت من فقدتهم وقالت : « ان موت الأهل شديد الوطأة »

وكان عبد الله يراقب حركات فطام ، وكان قدسمع بجمالها فلم يلم سعيدا على افتتانها بها وخاف أن تصر على عهدا فنخرج من نصيب سعيد ، فأحب أن يطرُق الموضوع ليرى مايدور منها ولكنه رأى انه لم يسبق له أن عرفها فقد تتجنب الحوض في الامر ، فنهض وخرج وخرجت لبابة في اثره اتفاما لحيلتها



فلما خلت فطام بسعيد سألته : « من هذا الشاب . وهل هو ممن يوثق »

قال بنغمة الحب المقتون : « انه رفيق صباى وموضع أسرارى ولا أخشى
باسا من اطلعه على كل شيء »

قالت : « وهل اطلعته على عهدنا ؟ »

قال : « نعم يا حبيبتي وهل ترين ما يمنع ذلك ؟ »

قالت : « كلا ، لا ارى ماتما ولكننى كنت أوتر أن لاتعلمه لخاطر خطر لى بعد
ذهابك الى مكة »

فاستبشر سعيد بهذا الاستهلال فقال : « وما الذى خطر لك ؟ »

قالت : « ساقصه عليك وآمل أن تطاوعنى عليه ولا تطالبنى بما سبق بيننا
من المهود »

قال : « قولى ما تشائين . فمشيئتك هى العهد الذى يقيدنى . فانى رهين
اشارتك »

قالت : « أتذكر لما جئت الينا يوم سفرك ولم تجدنى فى البيت ؟ »

قال : « كيف لا اذكر ذلك وقد كان له عندى اثر شديد »

قالت : « أتدرى اين ذهبت يومئذ ؟ »

قال : « كلا »

قالت : « خرجت فى ذلك اليوم الى اهلى ولم يكن غرضى الزيارة وحسب
ولكننى شعرت بقلق واضطراب ولم اذق رقادا تلك الليلة التى عاهدتك فيها
على قتل امير المؤمنين . فلما أصبحت قلت فى نفسى لعل سبب هذا القلق
أنى ارتكبت ذنبا بما سعيت فيه ظلما لقتل الامام . فلاح لى أن أمضى الى اهلى
وأبحث وادقق عن حقيقة ما وقع ، فعلمت بعد البحث أن الذنب فى قتل ابي
وأخى لم يكن ذنبه هو ، وتحققت انه برىء ، وانه نصح لهما مرارا قبل الواقعة
بأن يرجعا فأبيا ، ولما احتدم النزاع وعلم انهما فى خطر أوصى بالايصيهما أحد
بسوء . ولكن بعض الاغرار قتلها وهو لا يدرى ، فلما علم غضب على القاتل
وانتقم منه . فشعرت عندئذ انى قد اخطأت بما نويته واعتزمت أن احوالك عما
تعاهدنا عليه . فقضيت مدة غيابك وأنا فى حيرة لا ادرى كيف ابدأ باقناعك .
وحفظت ذلك سرا كتمته حتى عن خالتي لبابة »

ولم يتمالك سعيد عند سماعه ذلك عن النهوض فجأة ونادى عبد الله
ولبابة فجاءا ، فالتفت سعيد الى عبد الله وقال له : « تعال اسمع يا أخى
ما أعدده الله لنا من أسباب السعادة . فاننا لم نكلف أنفسنا عناء اقناع قطام .
بل هذه هى تريدنا على أن ننسى العهد الذى رويت لك خبره وتقلع عما عزمنا
عليه »

فتجاهلت قطام قوله وقالت : « ماذا تقول يا سعيد وما الذى جئتنا به
عساه أن يكون خيرا »

فعرضت لبابة للكلام وقالت : « يلوح لى انك جئتها بمثل ما جاءتك هى به »
قال : « نعم يا خالة واحمد الله على ذلك فانى جئت من مكة مقتنعا ببراءة
الامام على واخذت على نفسى عهدا امام جدى الا امس عليا بسوء ، وكنت
أختي الا توافقتنى قطام عليه فأصبح أشقى الناس ، فالحمد لله اذ قضى بما
فيه خيرنا جميعا » . وجلس يقص عليهم حديث جده وما أوصاه به فظهرت
امارات الشز والسرور على الجميع . ثم استطرد الى حديث المؤامرة فلما ذكر
ان أحد المتآمرين آلى على نفسه ليقتلن الامام عليا تظاهرت قطام بالغضب
وقالت : « ألم تعرف من هو الرجل ؟ »

قال : « لم أعرفه ولكننى علمت من سياق الحديث انه من فسطاط مصر »
قالت : « اما وقد علمت بعزم هذا الرجل فقد أصبح السكوت عنه مشاركة
له فى القتل ، فلا بد من رده أو قتله »

فابنسم سعيد لذلك الاتفاق الغريب وقال : « وقد فاتنى أن أذكر أن جدى
أوصانى بأن أسعى فى دفع السوء عن على »

فقالت : « وهذا ما أراه أنا أيضا لأن السكوت عنه جريمة ، ولكننى أرى أن
يبقى امر هذه المؤامرة سرا لا نطلع عليه احدا لئلا يسبقنا الى نيل الفخر
برده ، وحى لا يسرب الخبر الى المتآمر فيسرعجل أمره ويقتل عليا ونحن لم
نعرفه بعد ولم نبدا سعيينا لاجباط عمله . الا ترى هذا الراى يا عبد الله ؟ »

فدهس عبد الله من نوارد الخواط . أو علم بريارة سعيد لبابة لاكتشف له
سر الحيلة ولكنه أخذ الامر على ظاهره فقال : « هذا هو الراى الصواب ،
وها انذا تشارع مع اخى سعيد فى السعى لردع ذلك الرجل »

فالت : « وماذا تنويان عمله ؟ »

قال سعيد : « ارى أن نذهب الى الفسطاط ونبحث عن الرجل فاذا عرفناه
هان عليا رده »

فقالت قطام : « وما الفائدة من دهابكما وانما لاتعرفان الرجل ولا تعلمان
شيئا من أمره وكيف ينأتى لكما معرفة اسمه . هل ذهبتما الى الفسطاط
قبل الآن وهل تعرفان احدا هناك ؟ »

قال عبد الله : « انى أعرف الفسطاط ولكننى لم اقم بها طويلا ولا انرف
احدا من أهلها ولكننا نبذل جهدنا »



الاجتماعات السرية

فتقدمت لبابة والاهتمام باد عليها وكانه قد فتح عليها برأى سديد فقالت :
« اجلسوا وسأهديكم الى طريق يهون عليكم كل صعب »

فجلسوا جميعا فقالت : « لا تسخروا برأى عجوز مثلى فانى أعرف من
الأسرار ما لا تعرفون . اعلّموا أن فى مصر من مريدى الامام على احزابا جمة
اذعنوا لعمر بن العاص مكرهين ، وهم صابرون على ما أصابهم فى مقتل
ابن أبى بكر ، وهم ينوون الانتقاض اذا اتاحت الفرصة لذلك »

قال عبد الله : « أهذا ما تفاخريننا بمعرفته ؟ انه لا يجله أحد من المسلمين ،
وانى لأعلم ما هو أكثر منه »
قالت : « وما الذى تعلمه ؟ »

فابتسم عبد الله مستخفا وقال : « هناك أمور كثيرة علمتها من جدنا
أبى رحاب رحمه الله ، وقد أوصانى بالآطلاع عليها أحدا »

فتوقعت لبابة أن تطلع على ماورى على سر ، وهى لم تقل ما قالت
الا استدراجا له ، فهزت كتفها والتفتت الى قطام التفاتة ذات معنى ، ففهمت
قطام مرادها

فابتدرت عبد الله قائلة فى دلال : « اذا كنت قد وقعت على سر فاحفظه
ولا تبح به لأحد من الخوارج مثلنا »

فخجل عبد الله من توبيخها اللطيف ، ونظر الى سعيد فرآه ينظر اليه
كانه يتوقع منه أن يفضى السر لثلاث تسمى قطام الظن بهما ، فقال معتذرا :
« حاش لى يامولاتى . انى لا أعنى كتمان السر عنك بعد أن رأيتك مثلنا
حاسة للدفاع عن أمير المؤمنين بل لقد كنت أنت الداعية الى الدفاع عنه .
ولكننى قلت ما قلته عفوا ، ولكى تثقى من حسن نيتى سأبسط السر لك
ولمأتى لبابة » . قال ذلك والتفت يمنة ويسرة كأنه يحاذر أن يسمعه
رقيب ، أو عدو ، فلما أصفى الجميع قال : « علمت من جدى رحمه الله أن
فى الفسطاط جهورا كبيرا لا يزالون على دعوة الامام على ، وهم متحدون قلبا
وقالبا فى القيام بنصرته ، ولهم اجتماعات سرية يعقدونها للمفاوضة فى الوسائل
المؤدية الى ذلك » . ولما بلغ الى هذا الحد تعلم لسانه كان شيئا أوقفه عن

اتمام الحديث ، وارتبك وظهرت عليه العنة ، كأنما ندم على ما فرط منه وعول على الامساك عن تنمة الحديث . فأدركت لبابة المحتالة سبب توقفه فابتدرته قائلة وهى تضحك : « أتعلم به من سر عميق لم يطلع عليه أحد ، انى لا أراك زدت على قولى حرما واحدا . ألم اقل ان دجاة على باقون على دعوته ، فماذا زدت أنت على ذلك الا انهم يجتمعون سرا ؟ أم تراك ندمت على ثقتك بنا فبدأت بالحديث ثم قطعتة ؟ . وعلى كل حال لست الوملك على ذلك فانك لا تعرفنا قبل هذه الساعة »

فقطعت قطام حديثها قائلة : « أتقولين انك لا تلومينه بينما أراك عاتبه عليه ؟ . دعيه لئلا يظننا راغبين فى استطلاع سره لغرض لنا ونحن انما نريد بعض ما يريده عبد الله فلا حاجة لنا فى سره ، ولكننا نوصيه بأن يقوم بمؤازرة سعيد فيما أوصاه به جده ، وهذا يكفيننا » . ثم وجهت كلامها الى سعيد قائلة : « لقد سررنى من رفيقك محافظته على السر حتى عن هذه الحقرة التى بعد ان كانت اول الناقمين على اصبحت من اكبر المدافعين عنه ، وهب انه اراد افشاء ذلك السر فما نحن سامعون ما يقول ، اذ ربما وسوس لنا الشيطان فبحنا به للأعداء »

فوقع كلام قطام فى قلب سعيد موقع السهام ، وغلب عليه الحياء والتفت الى عبد الله وقال : « لا طاقة لى باحتمال هذا التائب يا عبد الله ، قل ما تعلمه سواء اسمعته قطام ام لم تسمعه . ولن ابرح هذا المكان قبل ان اسمع بقية الحديث »

فندم عبد الله على ما فرط منه واصبح لا يدري كيف يتخلص من حياته وارتبكه . ولما رأى الحاج سعيد هان عليه التصريح بما يعرفه ولم ير فى ذلك لوما عليه فقال : « اراكم تتهموننى بذنوب انا براء منه ، فانى لم أتوقف عن اتمام الحديث ضنا به على قطام بعد ان تحققت اخلاصها فى الدفاع عن على ، ولكننى صبرت ريثما استجمع كلام جدى بحرفه ، فاذا اذنت قطام تلوته عليكم حالا »

قال سعيد : « قل ما علمته ، واذا سدت قطام اذنيها عن سماعه فاننا اسمعه »

قال عبد الله : « اخبرنى ابو رحاب رحمه الله ان دعاة الامام على يجتمعون سرا فى معبد قديم خارج القسطنطينية فى مكان يعرف يعين شمس ، وهم يتفاوضون فيه سرا فى يوم الجمعة من كل اسبوع »

فسرت قطام ولبابة بالاطلاع على ذلك السر ، ولكن لبابة لدهائها ومكرها تظاهرت بالاستخفاف والانكار وقالت : « اهذا هو السر العظيم ؟ انه باطل لا يقبله العقل ! »

فاغتاز عبد الله من استخفافها وقال : « وما الدليل على بطلانه يا خالة ؟ »

قالت : « تقول ان دعاة على يجتمعون هناك كل يوم جمعة ونحن نعلم انهم يعدون بالآلاف فكيف يسعهم ذلك المبد ؟ . وهب أنه وسعهم فكيف يجتمع الآلاف منهم كل أسبوع ولا يدرى بهم عمرو بن العاص وعيونه مبثوثة في أطراف الفسطاط . فهل ذلك معقول ؟ »

فسر عبد الله لاستخفافها بكلامه وحسب افشاء السر. غير ذي اثر ، وودد الوقوف عند هذا الحد ، فلم يرض سعيد بذلك بل اخذ على نفسه تفسير مقاله وهو يحسب انه اتى جديدا فقال : « ان عبد الله لا يعنى باجتماع دعاة على انهم يجتمعون جميعا كبارا وصغارا ولكنه يريد ان رؤساء العشائر وكبارهم هم الذين يجتمعون فقط » . فضحكت لبابة وهمت بالرد عليه . فقطعت قطام كلامها قائلة : « يظهر يا خالة أنك أنما تريدن المزاج ، فقد طلبت من عبد الله افشاء سره ثم جعلت تجادلينه ، ونحن لايهمنا من الامر إلا الوصول الى الغاية المرجوة ، وهذا يكفى »



ثم وجهت كلامها الى سعيد قائلة : « دع لبابة وتخريفها واسع فيما انت ساع فيه . سر الى دعاة على حيث هم مجتمعون وهم يعينونك على البحث والتنقيب . ولا اوصيك الاوصية واحدة ذكرتها في بدء الحديث وهى ان تبقى هذا الامر مكتوما فيما بيننا عن كل انسان ، حتى نعرف الخائن الذى يريد قتل الامام على ، فاذا عرفناه فاما ان نرجعه عن غيه او نرى رأينا فيه على ما تقتضيه الحال . اما اذا اشعنا خبره الآن فانه يبالغ في التستر ، وربما اسرع في انفاذ سهمه فيقتل امير المؤمنين غيلة ويذهب سعيينا عينا . اما الآن فنحن على يقين من انه لا يقدم على ذلك الا في ١٧ رمضان ، ونحن لانزال بعيدين عنه . وزد على ذلك أنك اذا حفظت هذا الامر مكتوما وتفردت في البحث عنه كان الجزاء عظيما . ولا ارى فائدة من اطالة البحث . ولكي تتحقق من شدة رغبتى في الاسراع ، ابدل عهدي ابدالا يسرك فبدلا من ان يكون اقتراننا موقوفا على قتل الامام على فقد جعلته وقفا على انقاذه من القتل ، فاذا كنت تحبني ، وهذا ما لا أشك فيه ، فبادر الى العمل ، وهذان عبد الله ولبابة شاهدان على ما اقول »

وكان سعيد بعد ان تغير وجه المسألة يرجو ان يقترن بقطام قبل ذهابه في هذه المهمة . فلما سمع كلامها خجل من مراجعتها لثلا يقال انها اشد رغبة منه في الدفاع عن على ، فانطلت الحيلة عليه ولم يسعه الا اجابتها فقال : « وهذا ما اطلبه أنا أيضا لكى يتم عقد الزواج على يد الامام نفسه بحول الله »

وكان عبد الله يسمع هذا الحديث وقد خامره شك في كلام قطام ، وندم

لتسرع في افشاء السر فظل صامتا لئلا يقع فيما يزيد ندمه ، وشعر لساعته بما أوتيته تلك الفتاة من الدهاء . ولم ير خيرا من اظهار ثقته بها فأخذ يطرى غيرتها ويثنى على صدق مودتها فقال لها : « انى أعد اخى سعيدا من أسعد خلق الله لتوفيقه الى منك ، وانى ادعو الله تعالى ان ينجح مقاصدنا ، وسكت هنيهة ثم قال : « وقد أصبت في حرصك على كتمان الامر عن كل انسان ، بارك الله فيك » . والتفت الى لبابة فقال : « وانت يا خالة نرجو ان تزودينا دائما بدعواتك الصالحة وآرائك الصائبة »

فألت لبابة : « أما الراى ففي الاسراع فى الامر ، فعليكما بالسفر حالا الى مصر ، واطلب الى الله تعالى أن يوفقكما ويسهل طريقكما ، واذا اتيتما الفسطاط فاطلبا عين شمس فى يوم الجمعة ، ولن تعدنا من انصار امير المؤمنين من يرشدكما الى الباى »

وقضوا برهة فى أحاديث أخرى ، ثم انصرف عبد الله وسعيد ، وفى نفس أولهما شكوك لم يجسر على مكاشفة سعيد بها ، لما آنسه من اخلاصه لقطام وارتياحه الى وعودها ، ولكنه عول على انتهاز فرصة يستطيع بها التسلط على أفكاره



ولما خلت لبابة الى قطام بعد خروج سعيد وعبد الله قالت لها : « لقد تمت لنا كل المعدات وأن يوم الانتقام على يد غير هذا الجبان . ان عليا سيقتل لا محالة ولقد احسنت بتطمينه ومسايرته . واحسن ما رأيته من دهائك توصيته بالكتمان لأنه لو اطلع عليا على خبر المؤامرة لفشل أصحابها ونجا على من الموت »

فأجابت قطام قائلة : « ولكن ذلك وحده لا يضمن لنا الفوز ، وأنا لم التمس منه الكتمان لهذا الغرض فقط ، ولكنى أردت أن يبقى خبر المؤامرة مكتوما عن كل انسان لغرض آخر »

قالت : « وما ذلك فانى لم أفهم مرادك ؟ »

قالت : « اتكونين لبابة العجوز الماكرة ويخفى عليك مغزى كلامى ؟ ما الفائدة اذن من البحث عن مجتمع انصار على ؟ »

قالت : انى ما زلت اجهل ما تريد به ، فما مرادك ؟ »

قالت : « مرادى أن أبعث الى عمرو بن العاص بخبر تلك الجمعية ويوم اجتماعها ، ليقبض على رجالها ، وسيكون سعيد وعبد الله بينهم ، فاما ان

يقتلها أو يسجنهما ، فإذا قتلها ظل أمر المؤامرة مكتوما عن كل انسان .
وإذا سجنهما ظلا في السجن الى ما بعد ١٧ رمضان على الأقل فيكون قد نعد
السهم وانتقمت لأبي واخي ، ولا يهمني بعد ذلك امر »

فلما سمعت لبابة كلام قطام همت بها وقبلتها وهي تقول : « يورك فيك
يا بنية والله انك أبعد مني نظرا وأشد دهاء ، وإذا أحياك الله الى سبي فان
أبليس نفسه لن يقوى على مكرك ! » . قالت ذلك وضحكت . وظلت قطام
عابسة لم تعبا بضحكها ولكنها نادى ريحان خادمها فحضر وكان جالسا في
مكان بحيث يسمع ويرى ولا يراه أحد ، فلما وقف بين يديها قالت له : « الم
يقتل سيدك عظما ؟ »

قال : « كيف لا ، واني مطالب بدمهما ؟ »

قالت : « أتدرى لماذا دعوتك ؟ »

قال : « أحسك دعوتني لنبعثي بي الى عمرو بن العاص في الفسطاط
لاخبره بأمر مجامع العلويين »

قالت : « نعم اني دعوتك لمتل هذا ، يورك في سوادك . هذا وقت الحاجة
اليك . ولكن لا تذكر اسمي لعمرو ، أنا واثقة بفطنتك فلا تخيب املي
اذهب الى مجبر ابلغ الرسالة ، وجئني بمقتل هذين او سجنهما وانت حر
لوجه الله »

فقطب ريحان حاجبيه واجاب كأنه يعاتبها : « الا تعلمين يا مولاتي انك
تهينيني بهذا الكلام من حيث تريدن سروري . اتظنينني أوثر الحرية على
الاستعباد لك . لقد قلت قولا فاسمحي لي ان اقول مثله . انني ذاهب
لانفاذ مرامك فاذا انا فزت فيه رجوت ان تعدينني بالا تذكرى حريتي ائدا »
فضحكت قطام وظهرت الاعجاب بشهامة ريحان وقالت : « سر يا أسود .
انك والله خير من ألف أبيض »



أمام الفسطاط

الفسطاط مدينة عمرو بن العاص في مصر بناها سنة ٢٠ للهجرة بعد فتحه الاسكندرية . وسبب تسميتها بالفسطاط (الخيمة) انه لما فتح حصن بابل جب دير مار حرجس الآن او دير الصارى بقرب مصر القديمة واستقر الصلح بينه وبين القوقس ، نهض لفتح الاسكندرية وكانت خيامه منصوبة خارج الدير بين النيل وجبل المقطم ، فأمر بنقويضها للرحيل فجاءه مبيء بان في فسطاطه يمما معششا وتحت صفاره لاستطيع الطيران ، فقال عمرو . « لقد احنمت بجوارنا فأقروا الفسطاط حتى تطير فراخها » . فتركوا الفسطاط منصوبا حتى عادوا بعد فتح الاسكندرية فابتنوا الدور حوله . ولما اكملوا عمارة المدينة أطلق عليها اسم الفسطاط ، وهى اول مدينة بناها المسلمون في مصر واتخذوها عاصمة ملكهم ، حتى بنيت القاهرة في القرن الرابع للهجرة فنقلت الحكومة اليها

وكانت الفسطاط في العام الاربعين للهجرة ، وهو العام الذي جاءها فيه سيد ورفيقه عبد الله ، قد عمرت واقامت بها القبائل والافخاذ في خطط وحارات بنيت لهم . وكانت مستطيلة الشكل على ضفة النيل الشرقية طولها ميلان فيما يقرب من مصر العتيقة الآن . وأما مكان مصر العتيقة فقد كان يومئذ مجرى النيل ، وكان اذا جرى رست سفنه بباب دير النصارى حيث كنيسة المعلقة اليوم ، فكل ما بين الدير والنيل من اليبس وما اقيم عليه من البناء انما حدث بعد ذلك

وكان جامع عمرو والباقية آثاره الى اليوم مركز تلك المدينة ، وخوله انشئت الخطط والازقة . وكان اقربها الى الجامع المذكور دار عمرو ، او هما داران : الدار الكبرى والدار الصغرى . وكان المسلمون اولا ينزلون في الخيام فلما بنى عمرو داريه اهتم الناس ببناء المنازل . ولم يكن قبل الفسطاط هناك الا بعض الاديار للقط متفرقة بين النيل والمقطم . وبنوا الخطط او الطرق على اسماء القبائل التى تالفت منها حلة ابن العاص في ذلك الحين ومن نزع بعدهم ، وواجههم جميعا اهل الراية من قريش والانصار وخزيمة وغيرهم ، فبنوا لهم خطة سموها خطة اهل الراية ، ثم خطة مهرة ، وخطط لحم والليف والصدف من كندة وخولان ، فضلا عن خطط غير العرب مثل خطة الفارسيين الذين حضروا الفتح واصلهم من بقايا جند (باذان) عامل كسرى على اليمن قبل

الاسلام ، اسلموا في الشام . وكانت هناك خطط أخرى لاتحصى فضلا عن الطرق والازقة والحارات

فترى مما تقدم انه لم يكن يقيم بالفسطاط في اول أمرها غير المسلمين واما المسيحيون واليهود ممن كانوا هناك قبل الفتح فمن أثر البقاء برعاية المسلمين أقام في الاديار خارج الفسطاط ، وأكبرها دير النصارى (دير مار جرجس) وهو الحصن الذي حوصر فيه القوقس ورجاله لما جاءهم المسلمون ، وكان يسمى حصن بابل أو قصر الشمع . وربما أقام بعض القبط أو اليهود في الفسطاط لتجارة أو صناعة أو كتابة ، لأن عمرا عهد إلى القبط أول الأمر في أعمال حكومته وأبقى الدواوين تكتب بالقبطية ، وبقيت كذلك إلى اماره عبد الله بن عبد الملك بن مروان فأبدلت بها العربية

وكانت مدينة عين شمس (المطرية) شمالي الفسطاط خربة لم يبق من أبنيتها الشائخة ومعالمها الرفيعة الا بعض الجدران الغليظة أو الأعمدة الضخمة والمسلات من بقايا الهياكل الفرعونية وهي مهجورة لا يقيم بها أحد فاذا احتاج الناس إلى حجارة أو أعمدة يبنون بها دارا كبيرة أو حامعا جامعها .

انقاضها



وقد تركنا سعيدا وعبد الله وهما يتأهبان للرحيل في ذلك اليوم ، فاصبح على راحتيهما وخرجا من الكوفة يلتمسان الفسطاط ، وهما لا يعلمان ما أعدته لهما قطام من المكائد . وسارا يواصلان الليل بالنهار حتى أقبلا في فجر يوم جمعة على الفسطاط ، فاطلا عليها من سفح المقطم فاذا هي معتدة على ضفة النيل على مسافة طويلة وراءها يجري النيل وفيه السفن راسية تحمل الفلال والأحمال ، بعضها قادم من الصعيد والبعض الآخر صاعد من الشمال . وفي وسط المدينة جامع عمرو وحوله الابنية والدور . فوقها هنية يدبران الخطة التي يجب أن يسيرا عليها للقيام بمهمتهما

فقال عبد الله : « ها نحن أولاء امام الفسطاط وقد طلع فجر الجمعة الذي يجتمع فيه دعاة أمير المؤمنين في عين شمس على ما نعلم . فهل نظل هنا برهة ثم نسير توا إلى عين شمس ؟ »

فقال سعيد : « لا داعي إلى بقائنا هنا ، وقد يكون في بقائنا مظنة سوء ونحن على ما يعلم الناس من دعاة معاوية . وزد على ذلك أننا لا ندرى متى يعقد ذلك الاجتماع : في الصباح أم في المساء ؟ أم في وقت بينهما »

قال عبد الله : « لست على يقين من ساعة الاجتماع ، ولكنني اظنهم يجتمعون بعد صلاة العصر إلى المساء على أنى لا أرى بأسا من النزول إلى

الفسطاط حيث نضلى الصبح ونضع دواننا في مأوى تستريح فيه . ثم أخرج أنا للبحث عن ساعة الاجتماع ومكانه وأعود اليك فذهب معا » قال سعيد : « هذا هو الصواب »

ونزلا بنافتيهما حتى دخلا المدينة وهى ساعتئذ أهلة بالناس وقد أذن المؤذنون يدعون الناس الى صلاة الصبح فاتيا المسجد وأمامه ساحة كبرى تغف فيها الدواب تشد الى أوتاد أو نخيل . فربطوا الراحتين ودخلا المسجد للصلاة وكانت الشمس قد أضحيت وتقاطر المسلمون أفواجا فدخلوا في جملة الداخلين



لم يكد يستقر بهما الجلوس حتى رايا الناس في حركة وجلبة وقد فتح باب في بعض جوانب المسجد دخل منه رجال في أبهم السياط يزجرون الناس . فقال سعيد : « من هؤلاء ؟ » . « عبد الله : » هم الشرطة يفسحون الطريق للأمير » . ولم يكد عبد الله يتم كلامه حتى دخل رجل ربعة فسير القامة وأفر الهامة أدعج أبلج عليه ثياب موشاة كأنها العقيان تأتلق عليه حلة وعمامة وجبة ، فعرقا به عمرو بن العاص . وصعد المنبر والناس ينظرون فحمد الله ورضي على النبي (صلعم) ووعظ الناس وأمرهم ونهاهم ، وجعل يحضهم على الزكاة وصلة الأرحام ، ويأمر بالتوفير وينهى عن الفضول ، وكثرة العيال وإفاض المال في ذلك الى أن قال : « يا معشر الناس ، اياكم وخلاا أربعا فانها تدعو الى النصب بعد الراحة والى الضيق بعد السعة والى الذلة بعد العزة . اياكم وكثرة العيال ، وإخفاض الحال ، وتضييع المال ، والقليل بعد القال في غير ذلك ولا نوال . ثم انه لا بد من فراغ يؤول اليه المرء في توديع جسمه والتدبير لسانه وتخليته بين نفسه وبين شهواتها ، ومن صار الى ذلك فليأخذ بالقصد والنصيب الأقل ، ولا يضيع المرء في فراغه نصيب العلم من نفسه ، فيحور من الخير عاطلا وعن حلال الله وحرامه غافلا . يا معشر الناس انه تبدلت الجوزاء ، وذلت الشعرى ، وأقلت السماء وارتفع الوباء ، وقل الندى وطاب المرعى ، ووضعت الحوامل ، ودرجت السخائل ، وعلى الراعى لرعيته حسن النظر ، فحى لكم على بركة الله تعالى الى ريفكم فنالوا من خيرِهِ ولبنه وخرافه وصيده ، وأربعوا خيلكم وأسموها وصونوها وأكرموها فانها جنتكم من عدوكم وبها مغانمكم وأنفالكم . واستوصوا بمن جاورتموه من القبط خيرا ، واياكم والمومسات والموسولات فانهن يفسدن الدين ويقصرن الهمم . حدثني عمر أمير المؤمنين انه سئع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان الله سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها

خيرا فان لهم فيكم صهرا وذمة . فكفوا ايديكم ، وعفوا فروجكم ، وغضوا ابصاركم . ولا اعلمن ان رجلا اسمن جسمه واهزل فرسه . واعلموا اني معرض الخيل كاعراض الرجال ، فمن اهزل فرسه من غير علة حططته من فريضته قدر ذلك ، واعلموا انكم في رباط الى يوم القيامة لكثرة الأعداء حولكم ، وتشوف قلوبهم اليكم والى داركم معدن الزرع والمال والخمر الواسع والبركة النامية . وحدثني عمر امير المؤمنين انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كييفا فذلك الجند خير أجناد الارض) . فقال له أبو بكر رضى الله عنه : ا ولم يا رسول الله ؟ قال : (لأنهم وازواجهم في رباط الى يوم القيامة) . فاحدوا الله معرض الناس على ما اولاكم ، وتمتعوا في ريفكم ما طاب لكم ، فاذا يبس العود : وسخن الماء ، وكثر الدباب ، وحض اللبن وصوح البقل وانقطع الورد من النجر فحى الى فسطاطكم على بركة الله . ولا يقدمن أحد منكم ذو عيال الا ومعه تحفة لعياله على ما أطاق من سعته أو عسرتة . أقول قولى هذا واستحفظ الله عليكم »

وكان عمرو يخطب والناس يسمعون وقد خشعوا لما تكلمه من الأوامر والنواهي والوصايا . فقال سعيد لعبد الله همسا : « والله انه لنعم الأمير : وئلت يد تقتله . انى والله منذره بذلك متى دنا الأجل المضروب » . فلبه بوجه سعيد مخافة ان يلحظ أحد شيئا مما هما فيه

وخرج الناس بعد الصلاة ، وخرج عبد الله وسعيد ، واجتمعوا في ساحة المسجد خارجا ، وتعارفوا فعرف عبد الله رجلا من غفار كان له معه صداقة فدعاه وسعيدا الى منزله ليقما عنده فاعتذرا فالح عليهما فسارا معه لثلا يوجب ابتعادهما شبهة ، فأنزلهما في منزل له في خطة اسمها خطة خارجة بن حذافة فأمر الغفارى عبدا له بتسلم الراحلتين والسير بهما الى المرباط ، ودخل بالضيفين الى غرفة لم « يا فيها نافذة الا كوة في اعلاها فعجبا ، وهم عبد الله بالاستفهام عن ذلك وأوقفه التادب ، فلحظ الغفارى استغرابه فقال له : « لا تعجب لحال هذه الغرفة فان كذلك سائر أبنية الفسطاط »

فقال عبد الله : « انى والله يا اخا غفار لفى عجب عجاب مما ارى فما البذى دعا الى هذه الأقوال ؟ » . فقال الغفارى : « اعلمنا أن خارجة بن حذافة صاحب شرطة الأمير عمرو بن العاص هو أول من ابتنى غرفة في الفسطاط . فلما علم بذلك امير المؤمنين عمر بن الخطاب يومئذ كتب الى عمرو بن العاص يقول : (ادخل غرفة خارجة وانصب فيها سريرا وأقم عليه رجلا ليس بالطويل ولا بالقصير فان اطلع من كواها فاهدمها) . ففعل ذلك عمرو فلم يبلغ الكوى فأقرها فلم يجسر أحد أن يبنى غرفة بعد ذلك الا على هذا الوصف وهو أضمن للجباب »

ثم جاءهما الغفارى بالزاد فاكلا ، وما لبثا حتى خرجا يطلبان الخلوة للنظر فيما جاء من أجله ، ومشيا في المدينة يتظاهران بالتفرج على مشاهدتها فقال سعيد : « اننا في وقت الظهر وما العمل ؟ »

فقال عبد الله : « دعنى أسر وحدى الى عين شمس فانها على بضعة اميال من هنا حيث ترى الخرائب وامامها هاتان المسلتان ، وسأبحث لأهتدى الى مكان الاجتماع فاذا عثرت عليه جئتك على عجل . فأين الملتقى ؟ »

قال : « أبقي أنا في المسجد حتى تعود الى واحذر أن تطيل غيابك »

فسكت عبد الله ولبث برهة يفكر ثم قال : « اذا أبطأت في الرجوع اليك فإذهب الى عين شمس وانتظرني بقرب هاتين المسلتين القائمتين فأوافيك اليهما أو أبعث من يدعوك الينا »

فافترقا وقصد عبد الله الى عين شمس وقد جعل وجهته اليها المسلتين وكانتا ظاهرتين عن بعد . وعاد سعيد الى الجامع

وأقبل عبد الله على عين شمس فاذا هي مؤلفة من اطلال ليس فيها من الابنية الا الجدران والأعمدة ، فطاف بين خرائبها فلم يراحدا ولاسمع صوتا . وقضى في ذلك ساعتين يتردد بين تلك الجدران ثم يعود الى حيث بدأ فلم ير انرا للآدميين ، فظن نفسه قد أخطأ المكان او اساء فهم ما بلغه من امر ذلك الاجتماع حتى كاد يهم بالرجوع وقد خاب ما امله وخيل اليه أن دعاة على ابدلوا بمجتمعهم هناك مكانا آخر

فأسند ظهره الى جدار ووقف يفكر فيما يفعله وقد مالت الشمس الى المغرب فرأى رجلا قادما من القسطنطينية فتشاور عبد الله بمشاهدة ما هو محفور على تلك الآثار من الرسوم الهيروغليفية كأنه يعجب لغريب صنعها . وكان الرجل يظهر تارة ويختفى تارة أخرى في مرورة بين الأعمدة والخرائب وعبد الله يختلس النظر اليه . ثم نظر فاذا به قد اختفى



فعجب عبد الله لأمره وقال في نفسه : « لا بد أن يكون الرجل من اهل ذلك الاجتماع السرى وقد نزل في نفق أو نحوه » . فالتمس المكان الذى ظن انه اخفى فيه فوجد منحدرًا يظهر لأول وهلة أنه مسدود فنزل فيه وهو يخطو الهوينى حتى انتهى الى ظلمة دامية فوقف وأصاح بسمعه فسمع لفظا فاستبسر بالوصول الى المكان المطلوب ولكنه لم يكن يعرف مدخل تلك المغارة وخاف أن يراه القوم فيقتلوه

فوقف برهة يتردد بين أن يسير منملسا طريقه وبين أن يرجع لياثى سعيد . ثم بدا له أن يتحقق المجتمع أولا ثم يعود ، فخطا بضع خطوات وهو

لا يرى شيئا امامه فلطم رأسه السقف ، فحس طهره وداهمه العطاس لوطوبه الهواء فعطس عطسة دوى لها المكان وما شعر الا . قد ظهر نور ضعيف وتقدم بضعة رجال كلهم ملثمون ، عليهم اردية سوداء تريدعهم رهبة فقبصوا عليه وهو لا يبدى حراكا . ونزلوا به في الممر الى قاعة تحب الارض واسعة وكل جدرانها وسقفها مغطاة بنسيج اسود مما يجعل المنظر رهيبا : ولولا شمعات مضيئة في بعض جوانب المكان لكانت الظلمة لا تطاق لكشافتها . ونظر عبد الله الى ما حوله فرأى في وسط القاعة دكة مغطاة بملاءة سوداء ، لم يدرك ما تخنها ولكنه لم يستطع التامس وقد احسق به بضعة عشر رجلا الحققوا العبءات تحتها السرف زكاهم ملثمون . فخطبه واحد منهم يسأله عما يريد .

فقال : « انى كنت اشارككم فيما أنتم فيه »

قال : « وما أدراك ما نحن فيه ؟ »

قال : « علمت أنكم تدعون الناس الى نصره الامام على . اليس ذلك ما تدعون اليه ؟ »

قال : « وما شأنك في هذا ؟ »

قال : « شانى هو شأنكم . لا تسيئوا الظن بى انى قادم من الكوفة لهذا الامر »

فقال له رجل آخر : « كيف تكون أسويا وندى نصره الامام على ؟ »

فخيل الى عبد الله انه يستمع صوت صديقه الفغارى الذى اضاف له الصباح

فقال : « ألسنت أنت صديقى الفغارى . اصدقنى ولا تخف انى والله جئتكم بخبر مهم اذا أشركتمونى فى امركم اطلعكم عليه وتحققتم صدق قولى »

فقال الفغارى : « اذا كنت صادقاً فيما تقول تعال معى » . ومشى فتبعه الى الدكة فى وسط القاعة ورفع عنها الملاءة السوداء فاذا هناك مصحف فوقه سيف مسلول وقال له : « ضع يدك على هذا السيف واقسم بالله العظيم انك حليف للامام على تنصر نصيره وتحارب عدوه »

فوضع عبد الله يده على المصحف والسيف معا ، واقسم

ثم قاده الرجل الى دكة اخرى رفع غطاءها وتناول قارورة فيها مسحوق اسود كأنه الكحل فقال عبد الله : « وما هذه ؟ » قال : « هذه قارورة فيها بقية من رماد ابن أبى بكر الذى أحرقتموه ظلما ، فاذا كنت تطلب الهداية ونصرة الحق فعليك أن تكحل بهذا الرماد وتبكي ذلك القليل المظلوم وتعاهدنا على الاخذ بشاره . فهل تقبل وتظل على قسمك ؟ »

قال : « انى معكم فيما تريدون وقد صدقتكم القول »
فتقدم صاحبه ففتح القارورة وأدخل فيها شيئا علق عليه بعض الرماد
فأعطاه الى عبد الله فاكتمل به فهاجت عيناه وانسكب الدمع على الرغم منه
فشاركه الرفاق فى البكاء
ثم أراح الغفارى لثامه وقال : « نعم انى صديقك كما قلت ، ولكن اعلم
انك اذا كنت على غير ما تقول فانى عدوك اهدر دمك بجهد هذا السيف .
قل ما بدا لك »

فلما اطمأن عبد الله تذكر سعيدا فقال : « ان لى رفيقا اريد ان ادعوه
ليشهد ما نحن فيه ويشاركنا فى هذا الجهاد »
فقال له الغفارى : « انك لن تبرح هذا المكان حتى خروجنا جميعا فقل
ما تريد »

فاطاع وقال : « لا تعجبوا لانى اموى . فقد أصاب صاحبى الغفارى ،
فقد كنت من انصار معاوية وكنت مطالبا بدم عثمان ، ولكن طرا على طارئ
سأقص عليكم نبأه بعد ؛ اما الآن فأقول انى قادم من الكوفة وقد علمت ان أمير
المؤمنين عليا بن ابي طالب قد جمع رجاله هناك فاجتمع له اربعون ألف مقاتل ،
وكلهم مستعدون للنزال وبذل النفس والمال فى هذا السبيل »

فقال الغفارى : « ان رجالنا يعدون بالآلاف وكلهم وكل ما ملكت ايديهم
وقف على نصره الامام ابن عم الرسول »

وهم عبد الله باتمام الحديث فاعترضه احدهم قائلا : « عرفناك امويا من
الاعداء الأمام ، فما الذى حملك على نصرته مجازفا بحياتك ؟ »

فاخذ يقص عليهم حديث ابي رحاب ، ولم يكدهم بكلمتين حتى سمعوا
وقع حوافر الخيل فوق رؤوسهم وقد ارتج المكان فوقهم فانصتوا ووقع
الرعب فى قلوبهم ، وخيل اليهم انها دسيصة من عبد الله ، فهموا بقتله
ولكنهم ما لبثوا ان راوا المشاعل منبعثة من مدخل المعبر وقد انهالت الشرطة
عليهم فأرادوا الدفاع عن انفسهم فلم يفلحوا ، وتبدت الشرطة وثاقهم وساقوهم
فى ظلام الليل الى القسطنطينية



السجينة الائمة

مكث سعيد فى الجامع حتى دنا الغروب ولم يعد عبد الله فجار فى امره هل يذهب الى عين شمس أو ينتظر عودة عبد الله . ثم غربت الشمس فلم ير بدا من المسير الى عين شمس كما أوعز اليه عبد الله . فخرج من القسطة وجعل المسلتين وجهته والظلام يكاد يحجبهما عنه فمشى وقد أوجس خيفة من إبطاء عبد الله ولم يعد يرى المسلتين الا اذا برزتا فى الأفق . ثم اختفتا ولم يعد يراهما وخاف أن يضل الطريق . وفيما هو فى ذلك سمع ديبيا وقرقة كأن جندا قادما وراءه فتحنى عن الطريق فاذا بكوبة من الفرسان مرت به مسرعة نحو عين شمس فأوجس فى نفسه خيفة . والتفت الى يمينه فرأى بيتا قائما فى بستان . فبدا له أن يتوجه اليه يستفهم عن الطريق . فلما دنا منه سمع صوتا خارجا من بعض جوانب الممر استوقف انتباهه فوقف وأصاح بسمعه فسمع صوتا رخيا يمازجه بكاء ولم ير هناك نورا ولا رأى أحدا فى البستان ، فقصد باب البيت فاذا هو موصد ووضع له صوت الباكي فانصت فسمع صوت امرأة تبكى وتقول : « الا تخاف الله يا ظالم ؟ أما كفك ما واطأت عليه من قتل البريء حتى رميت الوفا من الناس فى خطر القتل الفظيع ؟ هل من نبيء هؤلاء الأبرياء بالوساية بهم فينقذهم من الموت ؟ »

فلما سمع سعيد تلك العبارات أشفعر بدنه ولم يعد يصبر على استطلاع سبب ذلك البكاء . فقرع الباب قرعا خفيفا فانقطع الصوت بغتة ، فصبر هنيهة وكرر القرع ويده ترتعش رهبة فلم يسمع شيئا ، فازداد شوقا الى استطلاع السر ، ولكنه خاف أن يقع فى مكيدة وهو غريب هناك ، فلبث برهة والهوا حس تتقاذفه وقد حدثته نفسه أن بين ما سمعه وبين ما يسعى فى البحث عنه علاقة كبرى . وكان الفرسان الذين مروا به قد بعدوا عنه ولم يعد يسمع من وقع حوافر أفراسهم غير الدوى البعيد . فأيقن أنهم فى طريقهم الى عين شمس ولم يفهم سبب ذهابهم اليها فى ذلك الليل . وبعد التأمل فيما سمعه ورآه أيقن أن فى الأمر سرا يهمه الاطلاع عليه

فهر الباب بيده هرا عنيفا كأنه يفتحه بالعنف فلم يفتح ولم يعد يستطيع صبورا فقال بصوت خافت : « هل فى المنزل أحد يفتح الباب . . انى غريب ضللت الطريق ! . . »

فأجابه الصوت من الداخل : « ليس في البيت سوى . . والباب مقفل
 لاسبيل الى فتحه »
 فازداد سعيد دهشة واستغرابا وقال : « من انت ايها المتكلم ؟ انى اراك
 في ضيق فهل من سبيل الى انقاذك ؟ »
 فأجابه الصوت : « يا حبيذا اذا استطعته انى حبيسة . من انت ؟ »
 قال : « قلت لك انى غريب ضللت الطريق ، أرينى وجهك أو ارشدنى الى
 وسيلة أفتح بها الباب »
 قالت : « عالج الأقفال بالعند ، لعلك تستطيع فتحها فتتقضى ، وربما
 انقذت الوفا من الناس معى »



ثارت الحمية في راسه واستل خنجره وجعل يعالج الأقفال وهى تسامده
 من الداخل حتى فتح الباب فبرزت منه فتاة محولة الشعر عليها رداء أهل
 القسطنطين ولما رأت سعيدا قالت : « من انت اصدقنى الخبر ؟ »
 قال : « اصدقينى انت ولا تخافى ، لقد سمعتك تندين الوفا من الناس
 فمن هم ؟ »
 فتغرسب فيه وتغرس فيها فلم يعرفها ولا عرفته
 ثم قالت له : « من قال لك انى ائدب الوفا ؟ »
 قال : « سمعتك باذننى . افسحى ولا تخافى »
 قالت : « وما يهمك من امر هؤلاء الألف ؟ »
 قال : « اخاف ان اكون منهم »
 قالت : « وما الذى جاء بك الى هنا ؟ »
 قال : « كنت ذاهبا الى عين شمس فتهت وجئت لاسأل اهل هذه الدار
 عن الطريق فسمعت بكاءك ، فما خطبك . قولى لقد نقد صبرى »
 قالت : « ابى اخاف العيون ، ولا اثق بأحد بعد ان غدر بى أبى فكيف اثق
 بالغرباء ؟ »
 قال : « رب غريب اقرب من القريب . قولى ولا تخافى »

وفيما هما في ذلك سمعا وقع الخوافر وصوت الضوضاء من ناحية عين
 شمس ، فدخلت الفتاة الغرفة وجرت سعيدا بثوبه ولم تغه بكلمة ، فدخل
 في اثرها وقد تولته الدهشة ولبت صامتا . ولم تمض برهة حتى دنت
 الضوضاء منهما وسمعا من بين الأصوات قائلا يقول : « لقد وقعتم في أيدينا ،
 يا الخائنون وعرفنا دسائسكم » . وسمعا لفظا كثيرا مختلطا فظلا صامتين

حتى مر الفرسان كلهم وهم يسوقون جماعة من المشاة موثقين
فلما تواروا عن البيت لطمت الفتاة وجهها وقالت : « لقد نالوا بغيتهم
قبضهم الله وقبضوا على الجماعة »
فقال : « واى جماعة . هل قبضوا على جماعة عين شمس ؟ »
قالت : « نعم انهم قبضوا عليهم واأسفاه »
فدق سعيد يدا بيد وخرج يرقب الفرسان كأنه يريد ان يتحقق طريقهم
فقالت له : « أخالك كنت سائرا اليهم »

قال : « نعم »
فقالت : « لقد نجاك الله من أيديهم وكانما أراد الله ان تضل الطريق لنجاتك »
فاضطرب سعيد واختلج قلبه في صدره وقال : « بالله عليك أفصحى
يا أخية فقد نفدت صبرى ، وقد علمت غرضى فأخبرينى عن حقيقة أمرى »
قالت : « لم اعد أستطيع البقاء هنا مخافة ان يفاجئنا قادم فتكون العاقبة
وخيمة علينا »

قال : « وهل تريدان ان نبعد عن هذا المكان ؟ »
قالت : « نعم هلم بنا ، فاذا خلونا تحادثنا ، وعساك ان تتلافى أمرا لا أزال
خائفة من وقوعه ، وهو شر عظيم » . قالت ذلك وخرجت فمشيت أمامه
وهو يتبعها حتى خرجا من البستان وأوغلا في الحقول ، وهو يسير في أثرها
الى حيث لا يدري ، وكلاهما صامت لا يفوه بكلمة ، حتى دنوا من بناء على
الجدران كأنه لا باب له فقالت له : « هذا دير للقبض فلندخله بحجة الزيارة
فنكون في مأمن ، ومشيت أمامه الى باب صغير في أسفل الحائط مصفح بالحديد ،
فقرعته فأطل عليها من نافذة في أعلى الحائط راهب في يده مصباح وقال :
« من يقرع الباب ؟ »

ولم تمض هنية حتى فتح الباب فدخلوا وقد احتيا راسيهما لضيقه
فاشرفا على ممر دخلا منه والراهب يسير بالمصباح أمامهما حتى انتهيا الى
الكنيسة ، فنظر الراهب اليهما في نور المصباح فعرف ان الفتاة من اهل
الفسطاط بل من أشراهم ، فسر لزيارتهم ورحب بهما وأدخلهما الى غرفة
مضاءة في الجانب الآخر من الكنيسة وسألهم : « هل تحتاجان الى شيء ؟ » .
فقالا : « كلا » . فتركهما وقفل راجعا



تأمل سعيد الفتاة على ضوء المصباح فوجدها شابة في مقتبل العمر جميلة
الطلعة وقد احمرت عيناها وذبلت اهدابها من البكاء ، فلم يزدها ذلك الا

حسنا ، وكانت قد ضفرت شعرها في أثناء الطريق وغطت رأسها بطرف ثوبها . فجلسا على وسادة فوق حصير وسعيد في كهفة على حديثها وقلبه يخفق توقعا للبا الغريب ، فابتدروها بالسؤال عن حقيقة أمرها ؟

ف نظرت اليه ولم تكذ تتأمله حتى قالت : « لملك أحد الغريسين اللذين وصلا الى الفسطاط صباح هذا اليوم ؟ »

قال : « نعم ، وما أدراك بذلك ؟ »

قالت : « رايتكما مع جارنا الغفاري ، وها أنذا أقص عليك خبري الغريب ، وأرجو منك أن تسرع في تلافى الخطر العظيم الذي سيدهم المسلمين قريبا » قال بلفظة : « قولي ، اني لهذا الامر اثبت الفسطاط ، فمضى أن اكون قد وقعت على ضالتي »

قالت : « اني اطلمت على سر لا اظن احدا عرفه قبلي ، الست على دعوة الامام علي ؟ »

قال : « بلى اني على دعوته ، وقد جئت في سبيل نجاته »

وهمت بالكلام ، ثم توقفت برهة واطرقت ، فلحظ سعيد ترددها وإدراك انها أساءت الظن به فقال لها : « لا تظني سرك مجهولا لدى واذا شئت قلت لك . وليطمئن قلبك أقول أنه يتعلق بالامام علي وفيه خطر على حياته »

فاطمات ولكنها تنهدت وقالت : « اعلم ياسيدي أن أبي يصنع السلاح ويبيعه في الفسطاط ، وقد زبيت وأنا اسمعه يتشيع للامام علي فانفوس حب هذا الامام في قلبي ، وما أنا في حاجة الى مدح أبي الحسن وهو ابن عم الرسول وصهره ، ولكنني ذكرت لك هذا لاطلعلك على التغيير العجيب الذي طرأ علينا فقد كنا ندعو ابدا لعلي بالنصر ، حتى كانت واقعة صفين منذ بضع سنين فلحظت فتورا في غير أبي ، ولكنني لم اعرف لذلك سببا . وقد كنت كثيرا ما اراه يختلي بجار لنا من بني مراد ، كان يعلم الناس القرآن ، وكنت احسبه من اهل التقوى . ولكنني وجدته وا أسفاه من اهل العدا . وما زالا يتساران في أمر هذا العدا ولا يجرؤان على التظاهر به لأن مصر في حوزة الامام علي وعاملها محمد بن أبي بكر . فلما جاءنا ابن العاص بخيله ورجله ، وحارب دعاة علي فقتل ابن أبي بكر قتلة لم يسبق لها مثيل في الاسلام ، استقام الأمر للأمويين ، فجاهر أبي بعداء علي ، وكان جارنا المرادي يزيد كرها له . فعلمت انهما تشيعا للخوارج ، فظلمت مع ذلك صابرة كاظمة اذ لا سبيل لي الى شيء اعمله وأنا فتاة ضعيفة كما ترى . وكان أبي يظنني على دعوته . ففي ذات يوم جاءنا ذلك المرادي يخطنني من أبي فقيل ، أما أنا فلم اجد خوفا من اكراهي على الزواج ، وصممت على الفرار اذا حملني أبي اليه كرها ، وما زلت امأطل في عقد القران الى الآن »

عبد الرحمن بن ملجم

كانت الفتاة في اثناء كلامها عن الزواج مطرقة حياء فلما بلغت هذا الحد رأت سعيدا مصغيا كأنه يتطلع الى اتمام الحديث فقالت : « ولا اطيع عليك قبل ان اصل الى جوهر الموضوع فاقول اني احتملت الامر بالصبر ثم علمت ان المرادى خرج الى مكة فظننته حاجا وتمنيت الا يعود ، ولكنني ما لبثت ان رأيته قد عاد »

قالت ذلك وتنهدت وسعيد ينتظر لسماع ما تقول وقد دهش لغرابة الحديث

فقالت : « عاد المرادى بمهمة جديدة ليتنى مت قبل ان اسمع نبأها ، فاذا لم اجد من يتحمل المشقة في تلافيها تلافيتها بنفسى . . . جاء هذا المرادى ثانيا يوم وصوله الى الفسطاط ، فخلا الى ابي كل الليل ، وانا لا اعلم ما دار عليه حديثهما ، ثم بلغني انه اوصى ابي بأن يصنع له سيفا ماضيا انفق عليه الف درهم ، وقضى مائة يوم يشحذه فلم أفهم معنى هذا الاستعداد ، ولا اهتممت به ، وبعد ان شحذه كلف ابي فسقاه السم . وقد علمت انه انفق على سقايته الف درهم ايضا . فويل لجسم يجرحه هذا السيف ولو جرحا خفيفا »

فعل سعيد ولم يعد يستطيع صبرا على التصريح باسم ذلك الرجل والافصح عن غرضه بمقايمة السيف ، وخامره الشك في انه ربما كان يعد لقتل الامام علي . وكان قد صبر نفسه حتى يسمع ذلك من فم الفتاة ولكنه مل الانتظار فسألها قائلا : « وما اسم هذا الرجل ؟ »

فقالت : « اسمه عبد الرحمن بن ملجم المرادى »

فلم يذكر انه يعرفه ، اما خولة فتنهدت وقالت : « فلما رأيت منه هذا الاستعداد المريب عمدت الى الحيلة ، فلما جاءنا في صباح امس يودع ابي وقد عزم على الكوفة ، قلت في نفسي : سيذهب الرجل وانا جاهلة السر ، فتظاهرت باعجابي بشجاعته واقدامه ، وأطريت غيرته على الاسلام ونحو ذلك ، وسألته ان يربني السيف لأتأمل فروده ، فجاء به واوصاني ان اتقى حده لان جرحه يميت ، فسللته بحذر ، فاذا هو يلعب لمانا تقشعر منه الابدان ، فارتعد جشمي ولكنني اظهرت الجلد وقلت : اراك انفقت مالا كثيرا

على صقله ، ما الفائدة من هذا اللمعان ؟
فضحك مستخفاً وقال : « اتجسبنينى انفقنت كل ذلك المال على صقله
فجسب ؟ »

قلت . « وماذا هناك ، انى لا ارى فيه غير اللمعان »
فقال : « لقد سقيته السم »

فتظاهرت بالدهشة وقلت : « ولاى شيء هذا ؟ » . وما زلت احاوره
واجادله حتى خدع فقال : « اعلمى يا خولة انى سأقتل بهذا السيف رجلا
يرعون انه اكبر رجل فى الاسلام ويقولون انه اقربهم الى الرسول » . قال
ذلك والشر باد فى عينيه واصفرار اللؤم يتخلل ما كان يحاوله من الابتسام .
اما انا فلما سمعته ارتعدت فرائصى واختلج قلبى واظنه قرا ذلك على وجهى .
كيف لا وقد ظهر لى انه يريد قتل الامام على . ولكننى اردت التثبت فقلت :
« ومن هو ذلك الرجل ؟ » . فقال : « الا تعلمين من هو ؟ الا تعرفين سبب
كل هذا الانقسام ؟ فاذا كنت لم تفهمى بعد فاقول لك انه على بن ابي طالب
الذى يدعوه اشياعه امير المؤمنين » . قال ذلك واحمرت عيناه وتجلى القدر
فى وجهه وقال : « احذرى ان تبوحى بذلك لاحد ، والا اصابك جرح من هذا
السيف » . قال ذلك وهو يمزج الجد بالهزل . اما انا فتحققت انه يقتلنى
ولا يبالى ، فالذى يجرؤ على قتل امير المؤمنين كيف لا يقتل فتاة مثلى . فلم
استطع جوابا وخفت اذا انا نطقنت ان ينكشف امرى ، فسكنت وقد عولت
فى سرى على السعى لابلأغ امير المؤمنين ذلك على عجل ، لان موعد القتل
قريب واظنه فى ١٧ رمضان ، لانى كثيرا ما كنت اسمعه يذكر هذا التاريخ
ويعرض بذكر الكوفة ، ولم اكن افهم مراده وقتئذ . واما الآن فقد تاكدت
انه هازم على قتل الامام على فى ١٧ رمضان ، ونحن الآن فى اواسط شعبان
واخاف ان ينال هذا الرجل بغيته قبل ان يبلغ الخبر عليا . آه يا ليتنى طير
لاحل الخبر اليه »



نهض سعيد عندما سمع كلام خولة ، وجعل يخطر فى الفرفة ذهابا وايابا
والحمية ملء راسه ، وندم على تركه الكوفة قبل ان يطلع الامام عليا ، ولكنه
تذكر انه لم يكن يعرف اسم المجرم الذى يريد اغتيال حياته ، فلم تكن نعمة
فائدة من اعلامه ، اما الآن فانه يذهب اليه بالخبر اليقين

وكان مع شدة اضطرابه بعد ان سمع حديث خولة لايفعل عما يتجلى فى
وجهها من ملامح الجمال وما فى حديثها من صدق اللهجة ، وقد اعجبه منها
بنوع خاص غيرتها على الامام على ، فشعر بميل اليها . ولكنه تذكر عهده

لقطام وما يظنه من حبها له فرأى الا يطلق لنفسه العنان في حب سواها .
على أنه ما لبث ان عاد الى التفكير في عبد الله ومصيره وسبب وجود خولة في
ذلك البيت المنفرد . فقال لها : « لا أدري يامولاتي ما الذي ساقني الى منزلك
حتى حظيت برؤيتك وسمعت هذا الحديث الذي جئت الفسطاط من
اجله . ولا أخفى عليك اني كنت عالما بعزم بعضهم على الفتك بالامام ، ولكنني
لم أكن اعلم اسم ذلك المجرم ، فجئت الفسطاط ومعى رفيق من ذوى قرابتي
كان قد سبقني في صباح هذا اليوم الى مجتمع العلويين في عين شمس ، على
ان يعود الى بخبرهم ، فلما ابدا سرت في امره وأنا لا أعرف الطريق فضلت
في الظلام حتى احدثت اليك الحسن حظي . ولكنني في قلق على رفيقي فانه
يلوح لى ان الفرسان الذين شاهدناهم الليلة كانوا قادمين من عين شمس ،
وربما قبضوا على انصار على هناك . . الا تظنين ذلك ؟ »

فقال خولة : « لو صبرت حتى تنمة حديثي لكفيت نفسك مؤونة الظن ،
ويلوح لى انك تود الاطلاع على سبب وجودي منفردة في ذلك البيت المغلق ،
فاعلم اني لما سمعت حديث المرادى سكوت وكظمت غيظي ، فخرج الرجل
واظنه شخص الى الكوفة ، ولبثت انا في حيرة لا أدري ماذا اعمل ، فقضيت
امسى في الهواجس والظنون ، وكلما تصورت عليا مقتولا بسيف هذا الغادر
يقشعر بدني . وكان ابى يخرج الى حانوته في الصباح ولا يعود الا في المساء ،
وعندنا في المنزل عبد رباني منذ حدثتي وهو يحبني ويكرمني ، وكنت قلما
أكلمه ، فخطر لى ان انتهز فرصة غياب ابى وأكلم العبد عساه ان يطلعني على
نبا جديد ، او لعلى افهم شيئا آخر . لأن حديث ابن ملجم اتعبني وأقلق
راحتي ، وليس لدى من أشكو اليه امرى ، او أكشفه سرى . فخرجت من
حجرتي لأدعو العبد فلم أجده ، فناديت به باسمه فأبطأ ولم يجب ، فنظرت من
الدار الى الطريق فرأيت واقفا مع عبد آخر غريب وهما يتهامسان . فلما
رأني خجل وأسرع الى ، فدخلت غرفتي ودخل هو في اثرى وعلى وجهه آثار
الاضطراب كأنه سمع خبرا غريبا يريد أن يقصه على . فقلت : (ابن كنت
وقد دعوتك فلم تجب ؟) . قال : (كنت مع عبد قادم من الكوفة في مهمة
سرية الى الامير عمرو) . فقلت : (وهل اطلعك على خبرها ؟) . فأراد أن
يبرهن على ثقته بى فقال : (انه اطلعني على سر لا اظن أحدا يعرفه في كل
الفسطاط سوى الامير وبعض شرطته) . ثم أخبرني ان ذلك العبد الذى كان
معه جاء الى الامير عمرو بأن انصارا على يجتمعون سرا في عين شمس يوم
الجمعة ، وأن عمرا أرسل جندا للقبض عليهم او قتلهم في ساعة الاجتماع .
فلما سمعت ذلك لم اتمالك عن البكاء لشدة الغيظ ، ورايت فرضا على أن
أبلغ المجتمعين ذلك الخبر ليحذروا . ولكنني لم أكن أعرف أحدا اثق به في
إنفاذ هذه المهمة فعولت على الذهاب بنفسى ساعة الاجتماع . فأصبحت اليوم
وأنا انتظر خروج ابى الى حانوته ، لأنكر وأسير الى عين شمس ، فلم يخرج

ورأيت مضطربا كأن العبد أخبره بالحديث ، وبأنه أطلعني عليه ، فخاف أبى أن أروح به لأحد قبل القبض على المجتمعين . فلأزمنى حتى الظهر ، ثم دعاني الى الخروج من القسطنطينية ، فأتينا هذا البيت وهو بيت لشريك لنا في الفلاحة وليس فيه أحد ، فلم أظهر استغرابى ولم أقل شيئا لأنى كنت عالمة بأن أبى سيكون فى جملة الداهيين الى عين شمس فلا بد له من أن يتركنى ، فاذا تركنى خرجت وأنا على مقربة من المكان . وما علمت ما أضمره لى فانه لم تكذ الشمس تميل الى الغروب حتى خرج متظاهرا بأن امرأ ما يدعو الى الذهاب ، وادعى انه أقفل الباب على خوفا من الغرباء أو أبناء السبيل ، وهو يعلم انى لا أستطيع النداء والاستنجاد لأنى اذا تظاهرت بنصرة الامام كنت من المفضوب عليهم ، فظلت هناك حتى جئت انت ورايتنى فى هذه الحال . فلاشك انهم قبضوا على زميلك فى جملة من قبضوا عليهم من الانصار »

قال سعيد : « هل ترين بأسا عليه ؟ »

قالت : « اظنهم يسجنونه ليستجوبوه ، ثم اذا رأوا قتله قتلوه ، وكذلك يفعلون برفاقه . ولكن لأبأس عليه بأذن الله وسنتدبر أمره . على انى أخاف اذا عاد أبى ولم يرنى فى البيت ان تزيد ثقته على ، فأرى ان أذهب الى منزلنا فى القسطنطينية ، وأنظاها بأنى خفت من البقاء فى البيت وحدى ففتحت الباب بأسلوب ما واتجاهل كل ماحدث ، فعماذا أنت صانع ؟ »

قال : « أود ان اسرع الى الكوفة لأرى ابن ملجم فأقتعه بالعدول عن جريمته ، أو أخبر الامام عليا »

فبادرته قائلة : « وكيف تقنعه وهو لا يقنع ، بل قد يسرع فى القتل ؟ ليس أفضل من ان تطلع الامام عليا على الأمر وهو يرى ما يراه »

قال : « وكيف أفعل برفيقي هل اتركه فى السجن ؟ »

قالت « أخاف اذا تأخرت هنا أن تفوت الفرصة والمسافة من هنا الى الكوفة بعيدة ، وانى لأعجب منك كيف كنت عالما بخبر هذه المؤامرة ولم تخبر بها عليا وانت فى الكوفة ؟ »

فتنهده وقال : « كفى السلام فقد وقع ما وقع ، وكنت أظن الكتمان يبعد المصيبة ، وفانى أن أخبرك بأن المؤامرة ليست على مقتل الامام على فقط ، بل هى كذلك على مقتل عمرو ومعاوية أيضا . وقص عليها الخبر موجزا



استغربت خولة الخير وقالت : « مالنا ولهذين ؟ اننا نريد الدفاع عن الامام على الآن ، ولكننى لم أفهم كيف انتقل خبر قدومكما الى هنا وانت تقول انه كان سرا مكتوما لم يطلع عليه أحد »

فكاد سعيد يسيء الظن بقطام ، ولكن الحب اعمى بصيرته فانتحل سببا آخر وقال : « لا ادرى » . وخطر له ان يقص حديثه مع قطام ثم امسك عن ذلك حفظا لعهدا ، ولا عجب فهو سليم التية لا يعرف الدهاء ، ولهذا لم يطلق لعواطفه الحرية في حب خولة ، مع ما آتسه فيها من جمال وكمال وتغان في نصرة الحق

على انه ادرك خطاه في كتمان خبر المؤامرة عن على الى ذلك الحين ، ولكنه حمله على اهمال من قطام لا على سوء قصدها ، ومع ذلك فقد رأى الامر سهل التلاقي ولا يزال ثمة باب مفتوح لانقاذ على بابلاغة خبر المؤامرة ، وهذا يدعو الى السفر السريع ، وهو لا يعلم ما آل اليه حال عبد الله فقال لها : « انى عازم على الكوفة في اقرب وقت ، فما الذى افعله برفيقى وانا لا ادرى احنى هو أم ميت ؟ »

قالت : « غدا نعرف الحقيقة ، دعنى اذهب الآن الى منزلنا بالفسطاط ، وامكث أنت هنا الى الصباح »

قال : « كيف استطيع البقاء هنا وحدى ولا صبر لى على استطلاع خبر عبد الله ، فأرى ان ادخل الفسطاط واتردد الى المسجد ، اذ لا يعرفنى احد هناك ، فاما ان اسمع خبرا ممن يفد على المسجد من المصلين او تبعثى الى بالخبر »

قالت : « لك الخيار في ذلك » . ونهضت فنهض وخرجا فرافقها الى قرب منزلها وودعها وعاد يلتمس بيت الغفارى للبيت وهو لا يدري ان الرجل في عداد المقبوض عليهم ، وقد أصبح بيته موضع شبهة ولم تكن خولة تعلم ذلك ايضا

وكان الجند بعد القبض على المجتمعين قد ساقوهم في الأغلال الى السجن ، وكان عمرو ينتظرهم في داره فلم يصبر الى الصباح وأمر باستقدامهم اليه واحدا واحدا ، فرأى بينهم جماعة ممن لم يكن يخطر له انهم على غير دعوة بنى أمية خصوصا الغفارى . ولما وصل الى عبد الله عرف انه من بنى أمية وعرف قرابته من أبى رحاب ، ولكنه تجاهل ذلك ، وأمر بأن يسجن كل منهم في حجرة على حدة ، وبعث جندا يفتشون منازلهم ويقبضون على من فيها من الرجال لعلهم يطلعون على شيء جديد ، ولم تمض ساعة حتى دهم الجند منازل العلويين وأخذوا ما فيها



لما ذهب سعيد الى بيت الغفارى سأل عن صاحبه فقالوا له : انه خرج منذ الظهر ولم يعد . فلم يخطر له انه في عداد المقبوض عليهم ، فدخل

الحجرة التي وضع فيها ثيابه وحاول أن ينام ، ولم يكد يلقى رأسه على سريره حتى تراكت عليه همومه فأخذ يفكر في عبد الله وماذا عسى أن يكون أصابه ، وخاف أن هو أبطأ في الذهاب إلى الكوفة أن ينفذ ابن ملجم جريمته فيذهب سعيهم عبثا

وفيما هو في هذه الهواجس وقد طار نومه سمع لغطا في الدار ، ثم علت الضوضاء وضج الناس فوقف وتسمع فإذا برجال عمرو قد دخلوا المنزل واوغلوا في النهب وآذوا كل من تعرض لهم فأيقن أنهم آتون إلى حجبرته ، وسيفتكون به ، فتقلد حسامه والتفت يمينا وشمالا لعله يجد مخرجاً ينجو منه فسمع صوتا يناديه من وراء الحجرة فاستأنس بالصوت وعرف أنه صوت خولة ، ولم يكن له سبيل إلى رؤيتها غير نافذة عالية يشرف منها إذا صعد على مرقاة ، فاحتال في الصعود إليها وأطل وكان الظلام حالكا ولكنه رأى شيئا وسمع صوت خولة تقول له : « انهم سيفتكون بكل من في المنزل ، فاليك هذا الخمار والجلباب فالبسهما وافتح الباب وأخرج ، وسيظنونك امرأة فلا يتعرضون لك » . فمد يده وتناول الخمار والجلباب فارتداهما وهو يرتعش مخافة أن تفاجئه الشرطة قبل خروجه

فلم يكن الا كلمح البصر حتى فتح باب الغرفة وخرج بزي امرأة فرأى الضوضاء على أشدها ، ولم يتعرض له أحدهم في إبان النهب ، فمشى إلى الشارع وراء البيت فرأى خولة واقفة فلم يتمالك عن الإعجاب بشهامتها والاقرار بفضلها برغم دهشته وبغته . ثم رآها تمشي أمامه فاقتفى خطواتها حتى وصلا إلى مكان منفرد فوقفت وقالت له : « الحمد لله على سلامتك وسلامة الامام علي » . فلم يفهم مرادها فابتدرته قائلة : « لا تعجب لقولي فان حياة الامام علي تتوقف على حياتك اذ ليس هنا من يعلم الخطر الذي يهدده سواك . نعم اني انا اعرفه ايضا ولكنني لا اراني استطيع الذهاب ولا آمن على السر أحدا »

فقال : « أما انا فلا مطمع لي في الحياة الا بانقاذ الامام من القتل وأنت صاحبة الفضل ، ولكن كيف عرفت بالخطر المحدق بي حتى جئت بهذه الحيلة »

قالت : « علمت من أبي ان عمرا أمر بنهب منازل العلويين والقبض على من فيها من الرجال ، واخبرني أيضا ان الفخاري كان من المقبوض عليهم ، وقد علمت انك مقيم بمنزله فجئت اليك بهذه الحيلة . فالحمد لله على سلامتك »

فشعر سعيد بفضل خولة وأحس بميل إليها ولكن حبه لقطام مازال غالبا على قلبه لا يترك له سيلا إلى سواها

وبعد التأمل برهة قال : « وما العمل الآن ؟ اني عازم على الكوفة عاجلا ، ولكنني لا أدري ما ألم بعبد الله ولا ما يؤول إليه حاله . هل علمت شيئا عنه ؟ » فتشاغلت خولة عن الجواب باصلاح ثوبها كأنها تحاول اخفاء ما تعلمه ،

فظنها لم تسمع كلامه فأعاد السؤال . فقالت : « لا يعلم المستقبل الا الله ؟ » فلم يعجبه جوابها فقال : « افصحى عما تعلمينه ياخولة » قالت : « ان عمرا امر بقتل العلويين في فجر هذا الصباح ولكن من يدري ماذا حدث ؟ »

فاختلج قلب سعيد ايما اختلاج ، وشعر كأنما صب عليه الماء الساخن ، وقال : « ماذا تقولين ؟ هل يقتلون عبد الله ؟ كيف يكون هذا ؟ » فقالت : « دع الامر لله واعذرني . انى لا استطيع البقاء معك طويلا لئلا يظن ابى لغيايى فلا انجو من القتل . واما انت فحياتك في خطر عظيم ، فاخرج من القسطنطينية حالا »

فابتدرها قائلا : « كيف أخرج وأترك عبد الله يقتل ؟ انه ابن عمى وأعز من اخى . كيف العمل ؟ »

فقالت له : « لآخرة في الواقع ، فان شرا واحدا هون من شرين ، والوقت ضيق لا مجال فيه للسعى أو البحث عن سبيل لاتقاذ حياة عبد الله اذا قدر الله قتله ، ونحن الآن في منتصف الليل وسينفذ القتل عند الفجر » . قالت ذلك وسكنت هنيهة

فابتدرها سعيد قائلا : « ما قولك في ان اقابل ابن العاص ، وأنبئه بعزم بعض الناس على قتله واحذره من الوقوع في الخطر ؟ الا تظنينه يعفو عن قتل عبد الله مكافأة على هذا الجميل ؟ »

قالت : « ربما عفا ، ولكنه لدهائه ولقسوته قديظن في قولك السوء فيقبض عليك ويؤجل قتل عبد الله حتى ١٧ رمضان ، فاذا لم يظهر صدقك قتلكما معا . فهل انت واثق من مجيء المتآمر على قتل عمرو في ميعاده ، حتى لاتكون النتيجة زجك بنفسك في التهلكة ؟ اترك هذا الامر لى فلغلي اهتدى الى وسيلة اذهب بها الى عمرو واطلعه على هذا السر . فاذا رأى ان يقبض على فليفعل والله الامر . اما انت فسر الى الكوفة قبل فوات الفرصة لأن الوقت قصير ، ووقتي الآن اقصر منه . والان دعنى اذهب الى أبى قبل ان يعلم بغيايى فيعرقل مسعاى ، واقصد انت الى الدير الذى كنا فيه في اول هذا الليل وسأتيك بالخبر . ولاتنس ان تنزع النقاب والازار وادخل بثوب الرجال فرئيس الدير يعرفك فلا يسىء بك الظن » . وانصرفت مسرعة الى منزلها وهو يود لو أنها لاتفارقه



مشى سعيد وهو مضطرب قلق لايدرى الى اين يسير فاذا به قد خرج من القسطنطينية ووصل الى حافة ترعة ظنها لأول وهلة نهر النيل . ثم رأى ضيقها

فعلم انها خليج . وكان الظلام حالكا فوقف برهة يفكر في عبد الله ومصره والخطر المحقق به فازداد قلقا

وظل واقفا مشردا ذهن وحانت منه التفاتة فرأى بالقرب منه نخلة فجلس على حجر تحتها واستند ظهره اليها وجعل يسبح في بحر خياله ومصابئه . فتذكر قطام وعودها وما من له معها من الاحداث . وكان الجو هادئا لا يكدره الا نقيق الضفادع على شاطئ الخليج فتشام وخيل اليه ان عبد الله قد مات ، فرجف وجلا وقال في نفسه : « ابقى انا هنا وعبد الله في الخطر الشديد ؟ ماذا تكون حاله مع عمرو ؟ . ابقته أم يستبقيه ؟ وماذا اعمل : هل ابقى في الفسطاط لانقذه من القتل ؟ أم اسير الى الكوفة لانقاذ الامام علي ؟ ولكن ما الفائدة من بقائي هنا وابن العاص قد أمر بقتل عبد الله في صباح الغد ؟ لا بد من المبادرة الى انقاذه » . قال ذلك ومشي محاذيا الخليج جنوبا وهو ينظر اليه ، فتذكر انه خليج امير المؤمنين وقد حفره عمرو بن العاص لما فتح مصر منذ عشرين عاما لارسال المؤونة فيه الى الحجاز تلافيا لما كانوا يخافونه من القحط هناك . وكان قد حفره باشارة الخليفة عمر بن الخطاب لما كانت الخلافة في المدينة ، فتذكر حال الاسلام في ذلك العهد وما كان فيه من اجتماع الكلمة وما فتخته سيوف المسلمين من البلاد الواسعة في الشام ومصر والعراق في بضع عشرة سنة . وكيف تحولت تلك السيوف بعد مقتل الخليفة عثمان الى الفتنة فانقسم المسلمون فيما بينهم ، وشغلوا عن تثبيت ملكهم بالحروب الاهلية حتى أصبحوا يقتلون خلفاءهم ويتهمونهم تهما ما أنزل الله بها من سلطان . وأصبح ما آلت اليه الفتنة تأمرهم على قتل امرائهم ، ولا سيما الامام علي وهو ابن عم الرسول وخيرة قواد المسلمين ، ولا ذنب له غير العمل على تأييد الكتاب . فلما تصور تلك الحال انقبضت نفسه وحزن حتى كادت تخنقه العبرات وهو لا يدري أيكي عبد الله أم يبكي الاسلام أم يبكي الامام عليا أم يبكي سوء حظه الذي قاده الى الفسطاط فوقع فيما هو فيه ؟

وكانما اعترتة هزة من الحماسة فوقف على الخليج وجعل يناديه قائلا « ايها الخليج ، اليس امير المؤمنين عمر بن الخطاب ، هو الذي اشار بحفرك قل لي بمائك الذي يجري فيك هل علم ابن الخطاب لما اذن بذلك ان دولة الاسلام سيقضى عليها بالانقسام حتى يحمل عامتهم على خليفتهم ليقتلوه . ثم يختلفوا على الخلافة ليقسموها ، ثم يختصموا على اقتسامها ؟ . هل خطر لابن العاص يوم نزل وادى النيل وحاصر هذا الحصن المنيع حصن بابل انه سيجرد سيفه على المسلمين ويقتل ابن أبي بكر حرقا بالنار ، ثم ينقم على ابن عم الرسول فيخرج الخلافة من يده بالخييلة ؟ . أين هو عمر جامع كلمة المسلمين ؟ . كانت المدينة مقر الخلافة في عهده فاصبحت منقسمة على نفسها يدعيها غير اهلها . . رباها ما هذه الحال ؟ ياليتنى مت قبل هذا . هنيئا لك يا ابا رحاب ان مقامك ساكنة في التراب وروحك تنتظر لقاء ربها يوم الحساب

اما انا فاني تائه بعدك تتنازعني عوامل لا ادري مصدرها ولا أعلم مصيرها ،
البقى هنا لأرى مصير اخي عبد الله ؟ ام اسرع الى الكوفة لأبني الامام بما
تأمروا به عليه ؟ . ولكن ما الفائدة من بقائي ؟ هل يعفو عمرو عن عبد الله
فيبقى حيا فاراه ؟ ما اظنه يفعل ، وما اظن اننى أستطيع الدفاع عنه ؟ »

ثم تذكر خولة فقال : « آه ياخولة ، يخيل الى انك ملك كريم ارسلك الله
لترشدني الى سواء السبيل . . فهل يتم السعد على يدك وتنقذين عبد الله
من القتل ؟ »

وفيما هو في ذلك يفتش الهويني على ضفة الخليج ، سمع لفظا وحركة عن
بعد ، فأجفل وتقدم نحو الصوت وهو يحرق بنظره ، فعلم انه بجانب فم
الخليج عند اتصاله بالنيل ، ورأى في النيل سفنا كبيرة وسمع دويا عميقا كان
لصوصا يهمسون فيما بينهم ويحاذرون أن يسمعه أحد . وكان ما زال
لبلباس النساء فخاف أن يراه أحد فينكشف امره ، فانزوى وراء جيزة كبيرة
يقرب الشاطئ ، ثم تسلق أحد فروعها واختبأ بين الأغصان والاوراق مبالغة
في الحذر حتى اذا استقر على غصن غليظ جعل يتفرس فيما يراه فاذا هناك
بضعة وعشرون رجلا يحيطون بآخرين في مثل عددهم كأنهم أسرى مغلولون
يساقون الى قارب كبير ، وسمع بعضهم يقول : « الى أين أنتم ذاهبون بنا في
هذا البحر ؟ لعلكم تريدون اغراقنا ؟ » . فشجبه أحدهم قائلا : « وما علينا
اذا اغرقناكم ، وانتم عصابة شريرة تأمرتم على نصره رجل قتل الخليفة عثمان ؟ »
فصاح آخر : « اهذه اعمال ابن العاص ، يقتل الرجال غيلة ؟ . اما كفاه انه
طلب الخلافة لصاحبه بالحيله حتى يقتل نساء الحق غرقا ؟ . . اما تخافون
الله ؟ الا تخافون يوم القيامة ؟ »

فصاح به آخر وقال : « لاتخف اننا امرنا بنقلكم الى جزيرة الروضة تيقور
فيها اياما » . ثم علت الضوضاء فعلم سعيد انهم أنصار على الذين قبض
عليهم تلك الليلة في عين شمس . فظن أن ابن العاص اشار بقتلهم غرقا في
النيل ، فارتعدت فرائصه حتى كاد ان يقع ، وحدثته نفسه ان ينزل لنصرتهم ،
ولكن الخوف غلب عليه فانه أعزل وهم عصابة كبيرة بالسلاح ، فلبث برهة
كأنها سنة وهو يرتجف غضبا ، وتسمع لعله يسمع صوت عبد الله أو يراه
فلم يسمع شيئا ولم ير شيئا ، وما هي الا دقائق معدودة حتى احتوى القارب
القوم ثم أداروا الدفة وهو ينظر اليهم وقد ندم على سكوته وود لو انه أظهر
نفسه لعله يستطيع نجدة أولئك المظلومين أو يقتل . ثم تذكر أن في بقائه حيا
نفعا للامام على ، فمكث برهة كأنه في حلم يتردد بين الندم والأسف حتى
توارت السفينة عن بصره فأيقن أن عبد الله ملاق حثفه وسيذهب ومن معه
طعاما للأسماك

واشتد اضطراب سعيد وهو أجسه ، ثم بكى ونزل من الشجرة وهو يندب

عبد الله ويوبخ نفسه لضعفه وتردده قائلاً : « أرى عبد الله يساق الى القتل ولا انصره ؟ يا اللجين ويا للخيانة ! . وكيف اتخلى عن رجل ذهب ضحية جبه لي ، فانه لولاي لم يات الى هنا ولا رأى ما رآه من الشقاء . . فما الفائدة من حياتي الآن اني لا أستحق البقاء ولا بد من ان القى نفسى في هذا الماء لعلى القى صديقى عبد الله » . قال ذلك وهم بأن يلقي نفسه في النيل فشعر بقوة خفية اوقفته بغتة ، وفكر في الامام على وما يحدث به من الخطر فقال : « اذا قتلت نفسى فانما اقتل عليها معى . نعم اقتله لأنى اذا لم اذهب الى الكوفة وأنبئه بعزم ابن ملجم ذهب قتيلاً بذلك السيف المسموم . آه ياخولة أين وعدك بانقاذ عبد الله ؟ . . ولكن ما ذنبك وانت لاتعلمين انهم سيسرعون في القائه في اليم قبل الصباح . . هذا دهاء ابن العاص ومكره . ولكنه سوف ينال جزاءه من اولئك المتأمرين . . ليتنى انبأته بالمؤامرة وجعلتها فدية لعبد الله . ولكن قضى الامر ولا خيرة في الواقع »

ثم سكت وجعل ينظر فيما حوله وقلبه لا يطاوعه على التطلع الى اتجاه القارب . فأراد أن يعود الى المكان الذى أتى منه فرأى شبحاً مسرعاً نحوه فخاف وتهاى للقتال اذ رآه يقترب منه . فلما اقترب الشبح اذا هو امرأة فعجب لقدومها وحدها في ذلك الليل ولكنه ما كاد يتفرس في قيافتها حتى علم انها خولة ، فخفق قلبه وغلب الحجل عليه لما رآه من جراتها واقدامها ليلاً وهى فتاة لا يحملها على القدوم الا السعى في انقاذ عبد الله . فحدثته نفسه أن يختبئ خجلاً ، ولكن المفاجأة اذهلته فدنا منها وناداه . فلما عرفت صوته صاحت : « أين عبد الله ؟ »

فأراد أن يجيبها فاختنق صوته وسبقته العبرات

فدنت منه وهى تقول : « سعيد ، هل رأيت أحداً جاء الى هنا ؟ وما الذى جاء بك انت ؟ »

قال : « رأيت الشرطة يحملون الاسرى في قارب »

قالت : « وأين هم ؟ أين ذهبوا بهم ؟ . . هل رأيت عبد الله معهم ؟ »

قال : « أخذوهم في القارب ، ولا ادري اذا كان عبد الله معهم ام لا ، لأنى لم اسمع صوته ولا رأيته »

- فدقت بدا بيد وقالت : « لابد من أن يكون معهم . آه ما الحيلة الآن ؟ ما كنت أظن ابن العاص يعجل بقتلهم هكذا . . ولماذا لم تحاول الدفاع عنهم ؟ »

فقال والاعتذار والحجل يتنازعانه : « لم أكن أعلم ان عبد الله معهم ، وهبى انى علمت فكيف أستطيع انقاذه وأنا اعزل وهم جماعة مسلحون ؟ »

فصمت خولة ثم قالت : « حسنا فعلت فابقيت على نفسك لاتنقاد الامام على ، لان حياته موكولة الى الاسراع في رجوعك »

فقال بلهفة : « وانت ما الذى جاء بك وكيف عرفت أمرهم ؟ »
 قالت : « علمت ذلك من عبدنا ، وكنت قد أعددت حيلة أدخل بها على عمرو
 لاستمهله في أمر عبد الله باطلاعه على سر المؤامرة ، فعلمت أنه بعث بهم هذه
 الليلة لاقائهم في النيل حذر الفتنة أن هو قتلهم جهارا ، وهو يعلم كثرة
 انصارهم في القسطنطينية . فأسرعت لعلى استطيع انقاذ عبد الله ولكن لم
 يسعنى القدر . . . واأسفاه عليك يا عبد الله . آه من أهل الظلم . ان ابن العاص
 غلب عليا بحيلته فأخرج الخلافة من يده لسذاجة أبى موسى الأشعري ولكنه
 لن ينجو بنفسه من غائلة المؤامرة »

ثم دنت من سعيد وقالت : « ان فقد عبد الله مصيبة علينا لأنه شوم
 وسيذهب ضحية مروءته ، على اننا نرجو أن نعتاض عن فقدته بانقاذ الامام على
 من خطر القتل ، فاركب الى الكوفة على عجل وتم المهمة التي حثت من أجلها .
 فها قد عرفت اسم المتآمر ، وأنه سار الى الكوفة فأسرع ما استطعت قبل
 فوات الفرصة »

وكان سعيد مع شدة تأثره مما رآه تلك الليلة من الاحوال لا يفغل عما أبدته
 خولة من الحمية والشجاعة فازداد حبا لها وأعجابا بشهامتها ، وفيما هو يفكر
 في ذلك ابتدرته قائلة : « اعلم يا سعيد اني خرجت الليلة من بيت أبى مجازفة
 بحياتي وأنا احسبك في الدير كما تواعدنا ، وكنت عازمة على الذهاب لاحك
 على السفر ثم اعود الى أبى وأنتحل له سببا لخروجه . أما وقد التقينا هنا
 فاني أستودعك الله وأرجو منك أن تسرع في الذهاب ، وسارسل اليك جلا مع
 عبدنا ليسير في ركابك الى الكوفة »

فأعجب سعيد بحسن تدبيرها ورباطة جأشها ، ورأى نفسه ضعيفا بين
 يديها ولم يستطع مخالفتها فقال : « سيتبين لنا الخيط الأبيض من الخيط
 الأسود قريبا وها أنذا ذاهب الى جبل المقطم ، فهل يوافيني عبدك وجلك
 الى هناك ؟ »

قالت : « انه سيوافيك حتما . سر بحراسة الله واحذر ان تفوتك
 الفرصة . ان ابن ملجم قد سبقتك الى هناك . . هل علمت ذلك ؟ » . ومدت
 يدها اليه فصافحها ويده ترتعش وقد نسي نفسه لحظة ، ثم ما هو
 بسبيله ، فأخذ يودعها وقلبه يضطرب حبا لها ، واعتزم . وبين
 نفسه اذا نجح في مهمته ان يطلق لقلبه العنان في التقرب من خولة . قال لها :
 « أمل ان تذكريني وتدعى لى بالتوفيق »

قالت : « اذهب فاني معك بقلبي وان لم ابرح القسطنطينية ، وأرجو أن نلتقى
 يوم ينجو الامام من أيدي الظالمين وينال ما يستحقه من الاستئثار بالخلافة »
 ثم ودعته وألحت عليه في الاسراع في السفر ، وأكدت له أن عبدنا سيلاقيه
 ومعه الجمل وراء المقطم ، ثم توجهت الى القسطنطينية

فلما تركته وحده أدار وجهه الى النبل حيث كان القارب ، وتأوه وتحسر
 قال : « أستودعك الله ايها الصديق الحميم ، أستودعك الله ايها الأخ الحبيب ،
 هيباً لك ذهابك ضحية في سبيل نصره أمير المؤمنين فستلقى ربك باسمي
 مفترخاً ، فادع لي أن ألقاه أنا أيضاً منتصراً على القوم الظالمين »
 قال ذلك واتجه نحو جبل المقطم ، ولم يدركه حتى أنبلج الصبح ، فلقى
 العبد قد سبقه الى هناك ومعه الجمل وسائر معدات السفر



فلنتركه سائقاً ظعنه يطوى البید طياً ، ولنعُد الى قطام بالكوفة وما كان
 من دهائها ومكرها بعد سفره . وكانت قد أرسلت عبيدها الى الفسطاط
 للوشاية بسعيد وعبد الله ثم خلّت بلبابة فقالت لها : « لقد تمت لنا الحيلة في
 قتل هذين الغرورين فانهما مقتولان لا محالة . وبقي علينا أن نعلم من هو
 المتآمر على قتل علي ، فاذا عرفناه شجعناه على قتله وساعدناه »

فضحكت لبابة وقالت : « انه لأمر سهل ، فان عبيدك ربحان ماهر ذاهية
 اخذ عن سيدته ، ولا نظنه الا عائدا اليها بالخبر اليقين ، وأما تحريض المتآمر
 على القتل فهو أسهل ، ولا سيما اذا رأى هذا الوجه الجميل فيفتن به لا محالة ،
 فما عليك حينئذ الا أن تعديه بالزواج وتجعل قتل علي مهراً لك فما قولك؟ »

فقالت قطام : « بورك فيك يا خالة ، اما وعده بالزواج فأمر سهل علي .
 ولا نظننا نحتاج في البحث عن ذلك الرجل الى مشقة فانه اذا دنا الميعاد
 المضروب لا يد قادم الى الكوفة ، واذا جاءها فلا بد من أن يطلع أحداً من أهلي
 على عزمه لعلهم اتنا على دعوته . فاذا عرفناه هان علي كل عسر »

ولم يهل شهر رمضان حتى تحدث أهل الكوفة بتوقع حادث فظيع يخشى
 منه على حياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وكان الناس يتداولون الخبر
 همساً ولا يعبرونه اهتماماً لعدم نهوض الدليل من شاهد أو عارف للقاتل
 المنتظر ، فضلاً عن علم العقلاء أن أمثال تلك الاتعاعات تروج في مثل ما كان
 فيه الامام علي يومئذ . ولم يفت الامام وحاشيته شيء من تلك الاتعاعة ،
 ولكنهم لم يعاؤا بها وأخذها أهله وأصحابه على أنها اشاعات ينشرها ذوو
 الأغراض . هذا مع العلم أنك قلما ترى حادثاً فظيماً لم تتقدمه الاشاعات
 المنبئة بقرب وقوعه . ومهما يكن من الأمر فان أهل الكوفة كانوا يتحدثون
 ببلاء يتوقعون نزوله بأمر المؤمنين ولكن أكثرهم كانوا لا يكثرثون

ومضت أيام من شهر رمضان ، فتلفتت قطام لعرف من هو المتآمر على
 قتل الامام على بتنصره أو تحرضه . فلما اقترب نصف الشهر ولم يأت
 أحد ولا سمعت بأحد ظنبت المتآمرين قد رجعوا عن عزيمتهم تهيباً وورفاً .

واستبطلات عودة عبدها ريجان ، وكانت في انتظار قدومه لعلها تسمع منه شيئاً عن المؤامرة ، ولكي تسأله عما آلت اليه حال سعيد وعبد الله . على أنها لم تكن تشك في وقوعهما في الفخ

ولما كان الخامس عشر من رمضان وقطام في بيتها ومعها لبابة سمعتا قرعا بالباب ، فنهضت لبابة فسمعت جمجمة جل عرفت أنه جل ريجان فأسرعت الى الباب ففتحته ودخل ريجان فقبل يدها وهو ما زال بلباس السفر ودخل توا الى غرفة سيدته . فلما رآته ابتسمت له ابتسامة عوضت عليه كل شقائه . فتقدم لتقبل يدها وهو مشرق الوجه اشارة الى نجاح مسعاه . فقالت : « اني اقرأ آيات البشر على وجهك رغم سواده ، فاقصص على تفصيل ما قمت به من آيات الدهاء والمهارة »

فقال وهو ينفذ الغبار عن لحيته ووجهه : « ركبنا الى الفسطاط فوصلت اليها يوم الخميس قبل وصول سعيد وعبد الله بيوم ، فسرت توا الى الأمير عمرو بن العاص ، وقصصت عليه خبر القاديين وان في الفسطاط جماعة من أنصار على يجتمعون في عين شمس كل جمعة . فأمر رئيس شرطته أن يتأهب لمداهمتهم ، وخفت أن يهاجوا المكان قبل وصول سعيد وعبد الله ولكنهما وقعا في الفخ ، فانهما ذهبا الى الجمعية وقبضت الشرطة عليهما جميعا ، ولكنني لم أر سعيدا في جملة الأسرى »

فابتدته قطام قائلة : « هل قبضوا على كثير من الأنصار ؟ »

قال : « قبضوا على نحو عشرين وعبد الله معهم »

قالت : « وسعيد ؟ »

قال : « لم أره ، واظنه تأخر عن الاجتماع فلم يشهده فنجنا بنفسه »

قالت : « وماذا فعلوا بالأسرى ؟ »

قال : « ساقوهم الى النبل وأماتوهم غرقا في الليلة التي قبضوا عليهم فيها »

فاشرق وجه قطام ، ثم انقبض بغتة ولبابة تنظر اليها كأنها تلتذ بالتأمل في ملاحظها . فلما رأتها انقبضت همت بها وقالت : « ما بالك ، ما الذي كدرك ؟ »

قالت : « ان سعيدا ما زال جيا فأخاف أن يمر قل مساعينا »

قالت لبابة : « لا خوف منه لأنه كما تعلمين سلس القياد تنطلي عليه الحيلة بسهولة . واما عبد الله رفيقه فقد رايت فيه دهاء وكرا فالحمد لله على نجائنا منه »

قالت : « صدقت ولكن سر المؤامرة عند سعيد فأخاف ان يجيء ويطلع عليا عليها فيحتاط لنفسه فيذهب سعينا هباء منثورا »

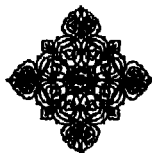
فأطرقت لبابة برهة ثم التفتت الى ريحان وقالت : « هل عرفت الرجل المتأمر على قتل علي ؟ »

قال : « علمت أنه من بنى مراد واسمه عبد الرحمن بن ملجم »
فبفتت لبابة وصاحت : « ابن ملجم . . ؟ لقد هان الأمر ! »
قالت قطام : « وهل تعرفينه ؟ »

قالت : « أعرفه جيدا ، وهو جرىء لا يصلح لمثل هذا العمل أحد سواه ، فإذا كان هو الرجل فقد نلنا المرام فإنه مغرم بالحسان ويتفانى في سبيل مرضاتهن » . ثم أدنت فمها من أذن قطام وقالت : « لا شك أنه اذا رآك وقع في هোক » . ثم التفتت قطام الى ريحان وقالت : « هل رأيته قبل مجيئك ؟ »
قال : « لا ولكننى سمعت أنه قدم الكوفة يوم وصولى الى الفسطاط . وقد كنت اظنه زاركم لأن حزبنا فى الفسطاط يعلمون كرهنا لعلى : وسعينا فى اخراج الأمر من يده »

فقالت : « بالله سر الى عشيرتى وابحث عن الرجل واثنتى به ، وحاذران يدرك أنك قادم من قبلى »

وخرج ريحان فتبعته لبابة الى حديقة البيت فوقفت به فى ظل نخلة وهمست فى أذنه قائلة : « اذا لقيت الرجل فقل له ان خالتك لبابة هنا وهى تريد ان تراك لأمر ذى شأن ، واستعبطه واذكر له انى مقيمة بمنزل سيدتك قطام ، واحتل فى حديثك لتفهمه ما عليه سيدتك من الحسن والجمال وانى قد امهد له للزواج بها . وانت فطن لبق تحسن تصريف الأمور » . فهرول ريحان ذاهبا



لبابة وابن ملجم

عادت لبابة الى قطام مسرورة مبتسمة تقول : « لا ريب اننا فرنا بمرامنا،
وقلبي يحدثني بان عليا سيقتل ويشفى غليلنا منه على أهون سبيل »
اما قطام فظلت صامتة مقطبة الحاجبين كأنها تفكر في أمر ذي بال . فسألتها
لبابة : « ما بالك يا قطام ما الذي حدث فأوجب هذا الاهتمام ؟ »
قالت : « انى خائفة يا خالة »
قالت : « ما الذى يخيفك ؟ »

قالت : « انى خائفة من سعيد فقد قال لنا ريحان انهم لم يقبضوا عليه
فى الفسطاط ، ولا يبعد أنه عرف اسم ابن ملجم والميعاد المضروب لتنفيذ
المؤامرة ، فيأتى بالخبر الى على ، وتذهب مساعينا وجهدنا عبثا »
فقلت لبابة : « وما الراى يا بنية ؟ »

فقلت : « لا بد لنا من تدبير الأمر بالحكمة وتدارك الأمر قبل وقوعه »
قالت : « فما الراى ؟ »

قالت : « أرى أن نسعى فى منعه من الذهاب الى على . فقد يتراءى له
أن يسير اليه حال وصوله الى الكوفة »

قالت : « هذا سهل فانا نبعث ريحان لينتظره فى مكان خارج الكوفة
لا بد له من المرور فيه ، فاما أن يؤخره عن دخول الكوفة واما أن يدعوهم اليها
بحجة اشتياقك الشديد اليه ! ولا أشك انه اذا سمع بشوقك نسي كل شيء
وطار اليك . ومتى جاءنا استبقيناه اما طائعا أو مكرها . ما قولك ؟ »

قالت : « أرى رأيك ، ولكننا الآن فى الخامس عشر من رمضان ولم يبق الا
يوم واحد على الموعد المضروب ، فلا بد من المبادرة بارسال من يوقفه خارج
الكوفة او يستقدمه اليها ، وريحان خرج فى مهمة الى اهلى وقد يبطىء »

قالت لبابة : « دعى هذا الى . ها انذا ذاهبة فى أثر ريحان فأبعثه الى
خارج الكوفة ، وأبحث عن ابن ملجم بنفسى وذلك سهل على لائى اعرفه » .
قالت ذلك وتبرقعت وتناولت عكازها وخرجت تمشو عدو الشباب

وخلت قطام الى نفسها وتأملت ما هى فيه من الصعاب وراجعت فى
مخيلتها ما دبرته من الحيل فى سبيل قتل الامام على ، فرأت انها أحسنت

بارسال ريحان ، فانه اذا نجح في تأخير سعيد ، ونجحت لبابة في استقدام ابن ملجم ، وفازت هي باغرائه وتشجيعه ، نالت بغيتها وانتقمت لابيها وأخيها . ولما تصورت وقوع ذلك ارتاحت نفسها ، وهون عليها حبها للانتقام وما جبلت عليه من السكر ، تأنيب الضمير على جريمتها . ثم عملت ذهنها فوجدت أنه ينقصها احتياط واحد لا بد من تداركه . وذلك ان سعيدا قد لا يلتقى بريحان لاختلاف في الطريق أو ربما التقى به ولم يصغ الى قوله وقصد فوراً الى الامام على فاطمه على سر المؤامرة . فلما تصورت ذلك خفق قلبها واضطربت ونهضت وجعلت تمشي في غرفتها ذهابا وايابا وتخرج منها الى الغرفة الأخرى وهي تترقب عودة لبابة ليتداولوا في الأمر معا وندمت على ارسالها قبل أن تفتن لهذا الأمر

وزاد قلقها فخرجت الى حديقة النخيل وكانت الشمس قد تكبدت السماء وانحصرت الظلال واتفق وقوع شهر رمضان في تلك السنة (٤٠ هـ) في ابان الشتاء لانه يبدأ في العاشر من يناير وكان اليوم صحوا يحسن الخروج فيه الى الخلاء في ساعة الظهر للاستدفاء بأشعة الشمس . فمشيت بين النخيل مبتعدة عن السور الذي يلي الطريق الى ما يلي البحيرة وهي لا تكثر لها حولها من صرير أو تغريد أو تقيق فقد انصرفت الى ادراك غرضها



قضت في الحديقة ساعة وحدها حتى ملت الشمس وحرارتها وهمت بأن تدخل المنزل ، وفيما هي عائدة سمعت أناسا يتكلمون عن بعد ، فوقفت على أرومة نخلة كانوا قد قطعوها للوفود منذ عامين والتفتت فرأت شبحين لم تلبث أن عرفت أنهما لبابة وعبد الرحمن بن ملجم . فانصرفت الى اتقان الحيلة فدخلت البيت على عجل وكانت قد رأت لبابة تكلم عبد الرحمن وتشير اليها باصبعها . وعمدت الى النقاب فأرسلته على رأسها وجلست على وسادة تعودت الجلوس عليها اذا استقبلت الزائرين من الغرباء . ولبثت صامتة تنتظر دخول لبابة ، وما لبثت أن سمعت صوت ضحكها قبل سماع خفق نعالها . وبعد قليل دخلت لبابة وحدها فاستقبلتها قطام استقبال المشتاق ودعمتها الى الجلوس

فقالت : « لا اجلس قبل ان ادعو رفيقا لي صحبتته لزيارتك »

فبالت : « أهلا بك وبرفاقك اجمعين . فليدخل »

فصاحت لبابة للحال : « أدخل يا عبد الرحمن »

وما أتمت كلامها حتى وقف في الباب رجل طويل القامة نحيف البدن ، خفيف اللحية اشمطها ، براق العينين يكاد الشرر يتطاير منهما ، وعليه

العباءة والقفطان والعمامة وآثار السفر لا تزال بادية على نواتيء وجهه ، وبخاصة انفه فقد كان شديد الاحرار . فخلع عبد الرحمن نعله خارج الباب وحى ودخل . فردت قطام التحية وهى تهم بالوقوف وأشارت اليه ان يجلس ، فجلس الأربعماء مستعرضاً سيفه على فخذه ، فبدأته قطام بالكلام قائلة : « الى من ينتسب ضيفنا ؟ »

قال : « الى بنى مراد »

قالت : « والنعم والبركة »

فقالت لبابة : « انه عبد الرحمن بن ملجم ، من القراء المشهورين ، قرا على معاذ بن جبل . ولعلك سمعت به »

قالت : « انت تعلمين حالى يا خالة ، بل انت ادرى منى بما هو شغلى الشاغل من الاحزان والمصائب ، فلم يبق لى عقل اذكر به شيئاً غير مقتل اخى وأبى . والسعى فى الانتقام من اهل العدوان .. » قالت ذلك واجهشت بالبكاء

وكان عبد الرحمن ينظر اليها من طرف خفى ، فافتتن بها ايما افتتان ، وكان قد سمع بجمالها فود ان يحوزها . ولما لقيته لبابة لم تذكر له شيئاً مما عرفوه عن عزمه ، ولكنها قالت له : « علمت بمجيئك الكوفة ، واعلم انك تحب الحسان ، وعندى واحدة منهن ليس اجل منها فى العراق » . فجا ولما رآها تحقق ما سمعه فشغف بها ، ومن عجب امر هذا الرجل انه ما عظم ما ندب نفسه له من قتل أمير المؤمنين وقرب اليوم الموقوت لم يشغل ذلك عن مغازلة الحسان . فلما سمع كلام قطام ورأى بكاءها قال : « وما الذى يحزن مولاتى ؟ الا تستطيع تفريج كربتها ؟ »

فقالت لبابة : « لا يخفى عليك ما اصابها على اثر وقعة النهروان ، فقد قتل فيها أبوها وأخوها رحهما الله ، وهى لا تفتأ تذكر تلك المصيبة وذلك اليوم وتبكي ذينك الفقيدين ، ولكننى أريد أن اشغلها عن هذه الاحزان بكفاء لها »

ففهم عبد الرحمن تلميحتها فقال : « انى والله اكون اسعد الناس حظاً اذا اذا تم لى ذلك الذى أتمناه »

فتجاهلت قطام وقالت : « وما الذى تتمناه يا سيدى ؟ »

قال : « لقد جئتكم خاطباً وانت فى احزانك عساى ان تستطيع تفريجها ، فاطلبى منى ما تشائين مما تقر به عينك »

فتنهدت قطام ثم قالت : « انى لأعجب من تسرعك فى الطلب ونحن لم نلتق قبل الآن »

فقطعت لبابة كلامها قائلة : « نعم انكما لم تلتقيا قبل الآن . ولكن لبابة

تعر فكما جيدا ، واذا اذنت مولاتى بكلمة فأقول انكما انما خلقتما لتعيشا معا
فسكتت قطام فقال ابن ملجم : « ومع ذلك فاطلبى ما تشائين يكن لك »
فظلت قطام ساكنة برهة تتظاهر بالحياء والتردد اتماما للحيلة . ثم التفتت
الى لبابة تقول لها : « انى استحيى أن أقول » . فقالت لبابة : « انا
أقول . اجعل مهرها ثلاثة آلاف دينار وعيدا وقينة »
ولم تتم لبابة قولها حتى صاحت قطام : « لا . لا . لا يرضينى ذلك ولا مطعم
لى فى المال كما تعلمين »

فقال عبد الرحمن : « اطلبى ما تريدن »
فتظاهرت بالتمنع وصبرت هنيهة كأنها تستخف بما اقترحه عليها من
الطلب ثم قالت : « أن مهرى هو قتل على بن أبى طالب قاتل أبى وأخى »
فابتسم عبد الرحمن ، ونظر اليها ويده على قبضة سيفه وقال : « ان ذلك
وما قالته هذه الخالة سيكونان لك . ثلاثة آلاف دينار وقتل ابن أبى طالب
والعبد والقينة . فان مثلك لا يعز فى سبيل نيلها مهر . واعلمى انى انما
جئت الكوفة لهذه الغاية . أنظرى الى هذا السيف (وجرده فلمع نصله
لمعانا شديدا) انى اشتريته بالف وسممته بالف لاقتل عليا بن أبى طالب »
فابتسمت وقالت : « ولكننى أرجوان يكون ذلك عاجلا لثلاثت فوج الفرصة »
فقال : « ان موعدنا قريب لم يبق منه الا يوم وليلة سأقتله فى صباح يوم
١٧ من هذا الشهر أى بعد غد ، فاطمئنى »
قالت : « وكيف عينت اليوم والساعة ، الا يستحسن أن يكون ذلك غدا »
قال : « ان لذلك سببا سأذكره لك فيما بعد ، فاننى مقيد بهذا الموعد فى
انفاذ مهمتى »

فسكتت قطام وهى تتجاهل ما علمته من أمر المؤامرة
وكانت لبابة عالمة بغياب ريحان ، ولا بد من زاد يتناوله الضيف ، فدعت
عندها فى اثناء قدومها فجاء وأعد لهم طعاما تناولوه
وما صدقت قطام أن خلت بلبابة لحظة حتى أشارت اليها انها تحب الانفراد
بها لأمر ذى بال ، فاحتالت هذه على عبد الرحمن حتى استأذن فى الخروج الى
السوق فى حاجة له ، وخلت قطام بلبابة



وكانت لبابة قد أدركت ريحان فى الطريق قبل عثوره على عبد الرحمن ،
فأمرته أن يسرع ليلقى سعيذا خارج الكوفة وزودته بنصائحها لتضمن نجاح
مهمته . فسار أولا الى ساحة كبيرة فى وسط الكوفة تجتمع فيها القوافل .
من كل حذب وصوب . ولابد للقدام الى الكوفة من المرور بها أو النزول فيها

وسمع عن بعد هدير الجمال وصهيل الخيل فلما وصل رأى الساحة غاصة بالدواب وبينها الناس في هرج بين راكب وراجل ، ورأى الاحمال ملقاة هنا وهناك ، فجعل يتفرس في الوجوه لعله يرى سعيدا أو احدا من خدمه ، فلم ير احدا . وذهب الى بيت سعيد يسأل عنه فقيل له انه لم يأت بعد فخرج الى الطريق خارج الكوفة وهو ينظر الى الافق لعله يرى هجانا أو فارسا . فمشى ساعتين ولم ير احدا حتى وصل الى شجرة كبيرة يستظل بها المسافرون للراحة قبل دخولهم المدينة ولا بد لمن كان قادما من الشام أو مصر من المرور بها . فجلس هناك وعيناه تحدقان في الافق وذهنه يعمل لفتق حيلة تنطلي على سعيد فيستبقيه أو يسير به الى بيت قطام . فغربت الشمس ولم يأت احد ، وكان القمر بدرا فلم تكد تغرب الشمس حتى طلع البدر وانعكست الظلال من الشرق نحو الغرب . فاتكأ على حجر وعيناه ترقبان

وقضى أوائل الليل على هذه الحال ، وكلما رأى شبعا ظنه سعيدا ، فاشتد به البزد وهو يصبر ويتجلد . وحدثته نفسه أن يرجع ف يخاف أن يجيء سعيد في غيابه فيذهب سعيه هباء منثورا ، فالتف بثوبه حتى اذا انتصف الليل غلبه النعاس وهو يتجلد ولكنه لم يقو على سلطان النوم فأغمضت عيناه ، ولكنه لم ينم طويلا حتى استيقظ بغتة أسفا على رقاده خشية أن يكون سعيدا قد مر ولم يره . فوقف يفكر في الامر ، حتى دنا الصباح فلم يأت احد فخيّل اليه أن سعيدا مر في أثناء نومه ، فعاد الى الكوفة بأسرع من لمح البصر يبحث في ساحتها وسار الى بيت سعيد فتحقق انه لم يأت بعد فرجع الى الشجرة وقضى معظم النهار تحتها أو حولها كانه على جر الفضا . وهو مع ذلك صابر لا يتذمر ولا يتضجر حتى غابت الشمس وظلّ القمر . فقال في نفسه : « لم يبق الا هذه الليلة فاذا لم يصل الرجل لم يبق ثمة حاجة الى بقاى اذ يكون قد نفذ السهم وقتل على » . وتمنى الا يأتى سعيد فيتخلص هو من الاحتيال عليه لأخذه الى قطام ، وقد قرب أجل الموعد المضروب

ولما دنا العشاء رأى جلين قادمين عن بعد وعليهما راكبان فاختلج قلبه واصطكت ركبته وزاده البرد ارتعاشا . فلما اقتربا وقف وتقدم نحوهما فاذا هما سعيد وبلال عبد خولة ، وكانا ملثمين فعرف سعيدا من قيافته وأما بلال فلم يعرفه

وكان سعيد قد قضى مسافة الطريق في قلق على الامام ، فما كاد يطل على الكوفة حتى قرر أن يسير توا الى منزل على . فلما وصل الى الشجرة ترجل وترجل عبده ليستريحا قليلا ثم يستأنفان المسير . فاستقبله ريحان وسلم عليه ، فلما رآه سعيد استأنس به ورد السلام وقال له : « ما الذى جاء بك يا ريحان ؟ »

قال : « ان سيدتى مضطربة البال لطول غيابك » . وأشار اليه ان يدنو

منه ليبت اليه ما أوّمن عليه من السر . فدنا منه على انفراد وشغل بلال بأمر الجمعين

فقال ريجان : « ان سيدتي قطام تقرئك السلام وتذكر لك انك اطلت الغيبة عليها أنت وسيدى عبد الله »

فتنهذ سعيد وقال : « لا تذكر عبد الله فقد تركناه في مصر » . قال ذلك وهو لا يريد ان يطارح العبد الحديث في مثل هذه الشؤون أنفة وترفعاً ، فسكت ريجان وهو يعلم ان عبد الله أغرق في حلة من أغرقهم عمرو بن العاص في النيل ، ثم قال : « وماذا أقول الآن لسيدتي أقدم أنت للمبيت عندنا الليلة ، فانها قد أعدت لك كل شيء »

فلبت سعيد برهة تتنازعه عوامل الشوق الى قطام وبواعث العجلة الى على ، فرأى ان ميعاد القتل قد دنا فاذا بات الليلة في منزل قطام فانه قد يتمتع برؤيتها وبشنف سماعه بحلو حديثها ولكنه يصبح في الغد وقد قتل على ، لأن المجرم لا يتأخر عن فعلته الى ما بعد صباح السابع عشر من الشهر . ثم بدا له ان يزورها للتو زيارة قصيرة ثم ينطلق من بعدها الى على ، والتفت الى بلال فرآه مهتما باعداد العشاء فتداه باسمه فأقبل . فلما سمع ريجان اسم بلال اختلج قلبه في صدره ، وتفرس فيه فعرف انه عبد خولة ، وكان قد لقيه في الفسطاط وباح له بمهمته ولم يكن يخطر له يومئذ انه سيأتى مع سعيد . فارتبك في أمره وحاول اخفاء نفسه لئلا يراه بلال فيعرفه . أما بلال فلما دعاه سعيد أسرع الى ما بين يديه فقال سعيد : « الا ترى ان نسير توا الى الكوفة ؟ » قال بلال : « الامر لمولاي ولكننى أعددت لك الطعام . الا ترى ان تتناول منه شيئاً ونستريح هنيهة ثم نذهب الى حيث نشاء »

قال : « ولكن بعض أهلى بعثوا يدعوننى الى العشاء »

والتفت بلال الى ناحية وقوف ريجان فرآه قد تقهقر الى جذع الشجرة يستتر بظلها فلم يره ، وكان سعيد في أثناء الطريق قد استأنس ببلال واطلمه على خبر المؤامرة . فاغتنم بلال فرصة انفراده به وقال : « الا ترى يا مولاي ان تم مهمتنا التى جئنا لها من الفسطاط قبل كل شيء فانى اخاف ان يكون ذهابنا الى اهلك سبباً في التأخير ، وهم ربما لا يعلمون الغرض الذى يدعوننا الى الاسراع ، وربما حدث لك بعد العشاء ما يعيقك . اما اذا أنفدنا مهمتنا واطلعنا الامام على ماخباه له اهل البقي فاننا نمضى بعدئذ حيث نشاء ، هذا ما اراد والامر لك . على انى قد أعددت لك الطعام الآن فاذا شئت اكلت ثم فعلت ما يترأى لك »

فارتاح سعيد لهذا الراى ، ولكنه اراد ان يخبر بلالا باطلاع ريجان على سر الامر فقال له : « ولا اخفى عليك ان هذا الهمام (وأشار الى ريجان) من حلة الساعين فيما نحن فيه »

فقال بلال : « اذن فهو يعدرنا اذا رأى اننا نؤثر ان نذهب اولا الى منزل الإمام . هلم الآن الى طعامك وأنا أهيب الجمليين معه ثم نذهب جميعا بعد انتهائك من الطعام »



سار بلال الى حيث جلس ريحان وراء الشجرة . وكان هذا يحاول أن يختبئ ، وحدثته نفسه بأن يرجع الى الكوفة لئلا يراه بلال فينكشف امره . ولكنه ما لبث ان رأى بلالا قد دنا منه وكلمه فاجابه بصوت منخفض وهو يتشاغل باصلاح نعليه وشملته لا يرفع نظره اليه . فاستغرب بلال ذلك فتقدم للمه ، قال : « تعال يا اخي تقعد ريثما يتناول مولاي طعامه ثم نسير معا »

فسكت ريحان ولم يجب ، وتظاهر بأنه اضاع عصاه وأخذ في البحث عنها وبلال يتبعه ويعجب لما يبدو منه . فلما بعد ريحان عن ظل الشجرة بانته سحنته فتذكر بلال انه يعرفه ، ثم فطن الى انه هو الذي أسر اليه خبر مهمته في الفسطاط . فأدرك ان في الامر خديعة ، ولا سيما لما رآه يحاول اخفاء وجهه . فتقدم اليه وامسكه بيده وقال : « تعال يا صاحبي تقعد هنا الى أن ينهض مولانا فنسير معا » . فاجذب ريحان يده من يده مغضبا ، فتبعه بلال وهو يقول : « يظهر أنك لم تعرفني يا صاح ألا تذكر أننا التقينا في الفسطاط » فصاح به ريحان : « وأي فسطاط ؟ . اني لا اعرف الفسطاط ولا اعرفك ؛ وليتني لم اعرفك فقد أضعت عصاي بسببك »

فسمع سعيد صياحه وكان قد جلس الى الطعام ، فنظر اليهما من بعيد ، فرآهما يتحاوران فوق ونادى عبد قظام قائلا : « لاتغضب يا ريحان ان بلالا على دعوتنا »

فسكت ريحان ، واضطر الى أن يجيء لئلا يثير الشبهة ، ولكنه بقي مصرا على انه لم يذهب الى مصر

فلما دنا من سعيد له : « ما بالك تخاصم بلالا ؟ »

قال : « اني لا اخاصمه ، ولكنني أضعت عصاي ، وفيما أنا أبحث عنها جاءني بحديث لا أعرف له أصلا »

قال سعيد : « وما ذلك يا بلال ؟ وما الذي قلته له ؟ »

قال : « لم أقل له شيئا ، ولكنني تذكرت اني رأيته في الفسطاط منذ بضعة عشر يوما ، فأنكر وتنصل »

فقال سعيد : « يحق له ان ينكر عليك ذلك لأنه لم يبرح الكوفة منذ أشهر » فاعاد بلال النظر الى ريحان وتفرس في وجهه وقال : « بل انا على يقين مما

أقول ، وقد لقيته هناك غير مرة وقد يعذر على انكاره ، لأن وجوده هناك عاد بشر العواقب على سيدى ورفيقه »

فبغت سعيد وكانت اللقمة في فمه فلم يعد يستطيع ازديادها ، وكاد يغص بريقه ووقف للحال وقال : « ماذا تقول يا بلال ؟ اظنك تخطئ في القول . ان ربحان عبد قظام بنت شحنة ، وقد تركته هنا يوم سفرى وأنا واثق بأنه لم يبرح الكوفة ، فلعلك رايت في الفسطاط عبدا آخر يشبهه »

فلما سمع ربحان اعتذار سعيد عنه اطمأن وقال بهدوء : « يلوح لى انه خطأ ، لان البشر يتشابهون ، ولكنه سأل الله جاءني مغضبا وأنا أبحث عن عصاى فأغاظنى فأسمعته كلاما مؤلما وها أنذا الآن أطلب منه غفران ما فرط منى » . والتفت الى بلال وابتسم حتى يجيز عليه حيلته

أما بلال فكان فى أثناء ذلك يتفرس فى ربحان فلا يزداد إلا اعتقادا بأنه هو الرجل الذى قابله فى الفسطاط وحدث أن نادته سيدته خولة وهو يكلمه فذهب اليها وقص عليها خبره كما مر ، فلما آنس منه ذلك اللين ظل يتفرس فيه وهو صامت . فلما أتم ربحان كلامه قال له بلال : « ربما كنت مخطئا فى ظنى ولكنى أسألك سوألا أرجو أن تجيبنى عليه »

قال : « قل ما بدالك »

قال : « الا تذكر انك رايت وجهى ؟ »

فتفرس فيه ربحان وهو يظنه يقول ذلك بسذاجة ، ثم قال : « لا يا أخى ، لا اذكر انى رأيتك قبل الآن »

فقال : « يا للعجب ولكننى واثق بانى لقيتك وكلمتك ، فرايت هذا الوجه وسمعت هذا الصوت . فالظاهر انك زرت الفسطاط قبل اليوم »

قال : « نعم انى صرت اليها منذ بضعة أعوام »

فضحك بلال وقال : « ولكنك قلت الآن انك لاتعرفها »

فارتبك ربحان وعمد الى المغالطة فقال : « دعنا من هذه الاوهام ولا تشغلنا بما لا طائل تحته »

وكان سعيد فى أثناء ذلك يسمع كلامهما مصدقا ما يسمع

أما بلال فخاف أن يؤدى سكوته الى ذهاب سعيد مع ربحان . فقال لربحان : « اذا كان الحال كما تقول فعليك أن تساعدنا فى انفاذ المهمة التى جئنا من أجلها . دعنا نذهب الى منزل الامام الآن »

قال : « انى أشد رغبة منك فى هذا ، ولكن الليل طويل ، ويحسن ان يذهب مولاى معى الى سيدتى قظام لتراه ثم يذهب بعد ذلك حيث يشاء »

قال : « فليذهب هو معك وأذهب أنا الى منزل الامام أقوم مقامه »

فضاق ربحان به ذرعا وظهرت البقعة على وجهه فلم ير له مخرجا من المازق

غير التظاهر بالغضب فقال : « ولماذا هذا اللف والدوران ؟ هل بلغ بك الامر الى اساءة الظن بنا ونحن أولى منك بهذا الامر ؟ »
فتحقق بلال حينئذ أن ظنه في محله فقال : « نعم انى اسيء الظن وبسيدتك ايضا »

فخاف ربحان أن يفضى الامر الى افتضاح حاله فتظاهر بالغضب وقال لسعيد : « انى لأعجب من فحة هذا الاحق ومن سكوت مولاي عليه ، وها انذا اترككما فافعلما ما تشاءان »

قال ذلك واخذ يعدو نحو الكوفة ، وظل سعيد وبلال صامتين كان على راسيهما الطير



مضى ربحان وهما ينظران اليه لا يفوهان بكلمة . فلما تواري قال سعيد : « ما الذى أراه يا بلال ؟ انى أحسب نفسى في حلم ؟ ما الذى تقوله عن هذا العبد ، أوائق أنت أنك رأيته في الفسطاط ؟ »

قال : « نعم بامولاي ، وقد زادنى ايمانا بذلك تناقض اقواله ، وغضبه بعد ما اقترحته عليك »

قال سعيد : « ما الذى يدعوه الى انكار ذهابه الى الفسطاط ؟ »

قال : « يدعوه الى هذا ما ارتكبه من الخيانة هناك . تبأ له من نذل يا ليتنى قضيت عليه ، قبل فراره . انه وشى بكما رالى عمرو بن العاص »

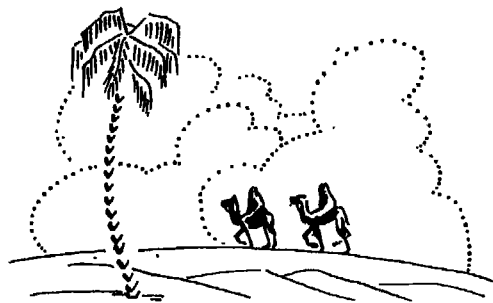
فبغت سعيد وبدات الغشاوة تنحسر عن عينيه ، وتذكر ما قصته عليه خولة من حديث عبدها مع عبد آخر وشى بهما الى ابن العاص . وانه استغرب يومئذ أن يصل خبر قدومهما الى الفسطاط وهما انما قدما اليها سرا لا يعلم بهما احد غير قطام ولبابة وهذا العبد . فوضح له ان ربحان لا يأتى الفسطاط الا بايعاز من سيدته ، وتذكر ما كان يراه في ابن عمه عبد الله من الشك في قول قطام ، فندم على استسلامه لها وعض على سبائته ، وظل واقفا لا يبدى حراكا ، وبلال واقف بين يديه صامتا . ثم التفت الى بلال وقال : « ألا بارك الله في خولة ، انها والله ملاك بعثه الله من السماء لكشف تلك الخديعة . ولكن وا أسفاه ، فقد نفذت حيلة قطام في عبد الله فمات غريقا . على انها لن تنفذ في الامام على بعد أن افتضح أمرها قبل دنو الاجل المضروب والحمد لله » . ثم صمت وتذكر حبه القديم لقطام وما أكنه لها من الاخلاص ، وما بذلته هى من الخداع ، فعظم الامر عليه وأمسيت عواطفه تتراوح بين ما انغرس في قلبه من الحب وبين ما انكشف له من المكر السيء ، فلم يملك نفسه عن البكاء . وخجل أن يذرف الدمع أمام بلال ، فأوما اليه ان يهيبى الجمال ، وأدار وجهه الى

الغلاء ومشى وأطلق لنفسه عنان البكاء . ولاسيما وقد تمثل له ما اصاب ابن عمه عبد الله من البلاء بسببه ، فجعل يندب ويندب سوء حظه ويقول :

« تبا لك يا قظام . اصحيح انك بعثت عبدك اللوشاية بنا الى ابن العاص ليقتلنا ؟ أين عهدك وأين وعودك ؟ . أين ما سمعته منك من التوبة عن قتل الامام علي ؟ . وا اسفاه عليك يا أخى عبد الله ، انك ذهبت ضحية غفلتي ودهاء هذه المرأة . آه يا قظام ! . . هل يخلق الله قلوبا تقسو الى هذا الحد ؟ (قتل الانسان ما اكفره) . اتسمحين بقتل محب تفانى في سبيل هواك ؟ وتقتلين بريئا حلتته غيرته على السعى في انقاذ أمير المؤمنين ؟ . وتسعين بعد ذلك الى قتل أمير المؤمنين وانت تنظرين . آه لو كان إمامي متسع من الوقت لاسرعت الى الانتقام منك قبل الذهاب الى الامام »

ثم وقف فجأة وانتبه كأنه أفاق من رقاد ، ونظر الى ما حوله فاذا هو في ليلة مقمرة صفا هواؤها ورق نسيما ، فجعل يعيد في ذهنه ما مر به من الأحوال ، وتذكر حبه قظام فغلب عليه طيب عنصره فقال في نفسه : « لعل قظام بريئة ، وربما كان ريحان صادقا وبلال مخطئا » . فسرى عنه بعض الشيء ، ثم أدرك انه انما يخادع نفسه في التماس العذر لها ، وقد تثبت عليها الجريمة . ثم التفت فرأى بلالا قد اعد الجمليين وهم بالقدوم اليه فمسح دموعه وتقدم اليه وهو يقول في نفسه : « لقد نفذت حيلها في أخى عبد الله ، ولكنها لن تنفذ في الامام علي . ها انذا ذاهب الآن الى بيته وسأستعين به على قتلها وقتل العجوز المحتالة وذلك العبد الشرير »

وركب جله ، وركب بلال في أثره ، وسارا يقصدان منزل الامام على



مقتل الإمام علي وأحراق قاتله

كان منزل الإمام علي بجانب المسجد ، وبينهما باب السدة يدخل منه الإمام للصلاة . وكان للمنزل دار واسعة فيها المقاعد والمجالس لمن يفد عليه من الولاة وأهل الأمصار . وبجانب المنزل ساحة واسعة فيها مرابط للخيل ومواقف للجماعات لاتبرح غاصّة بجماهير الناس من دعاة الإمام ، وكلهم متفانون في نصرته معترفون بإمامته لا يرون أحدا أولى بها منه . وكان أهل العراق وغيرهم قد اجتمعوا تلك السنة على نصرته فباعه منهم أربعون الفاعلى الموت . ولعله كان ينتظر اتمام صيام رمضان ليحمل على معاوية بذلك الجند العظيم ، غير أنه بمثل ما مر به من حيلة « صفين » وغيرها بعد أن رأى ما قاده الى ذلك من تأييد سلطان معاوية

وكان الداهل الى مجلس الإمام حينذاك يرى رؤساء القبائل يترددون عليه ولا حديث لهم الا ما كان من اجتماع كلمتهم وما يتوقعونه من النصر ويرجونه من احقاق الحق وكبح جاح الطامحين الى الخلافة من غير أهل البيت

ذلك كان شأن الكوفة في شهر الصيام المبارك . اما على فلم يكن يشغله عن فروض الصوم والصلاة شغل ، فاذا دنت الساعة وأذن المؤذنون تهافت الناس في صحن المسجد الى سماع ماعهدوا في كلامه من البلاغة وشدة الغيرة على الاسلام والمسلمين . فاذا صعد المنبر رايت الناس سكوتا كان على رؤوسهم الطير اعجابا بما يسمعون من درر الفاظه وبديع حكمه وبلغ آياته ، وهم يعجبون لما قام في انفس المعارضين ممن تخلفوا عن بيعته ، وبخاصة الخوارج الذين اختلقوا لمعاداته اسبابا ما انزل الله بها من سلطان

وكان اذا فرغ من صلاة المغرب ذهب الى داره ومعه جماعة من الامراء يتقدمهم اولاده وسائر اهله ، فيجلسون الى الاسمطة للافطار ، والقراء يتلون القرآن في جوانب الدار ، والكل يسبحون ويهللون حتى يخليل اليك انهم في يوم الحساب ، وما فيهم من يخاف عقابا لما يعتقدونه من صدق دعوتهم وقيامهم بالحق المبين

وكان الإمام اذا فرغ الناس من الافطار وجلسوا للاحادث اقلهم كلاما . وربما مكث ساعة أو بضع ساعات لا ينس بينت شفة كأنه يفكر في أمر ذي بال ، وربما كان تفكيره فيما يخشاه من سفك الدماء اذا حمل بزجاله على

الشام ، ونفوس الناس ودیعة عنده یضن بها أن تذهب ضیاعا ولا یضن بها أصحابها فی سبیل نصرته

كان ذلك شأنه فی اواسط رمضان ، وعلى الاخص فی ليلة السابع عشر منه ، وهی الليلة التي بات فیها ابن ملجم یترقب انبلاج الصبح ليقوم بفعلته للفتك بابن أبی طالب . وفی تلك الليلة أسرع سعید وعبدہ الى دار الامام لينبأه بعزم ذلك الرجل

وما ظنك بابن ملجم فی تلك الليلة . . هل تظنه بات رابط الجأش مطمئن القلب ؟ . وهل عرف الكرى جفناه ؟ . لا نخاله قضی ليلته الا قلقا مضطربا لهول ماعول عليه من الامر الجسيم . واى شيء أقطع من أن يسفك دما بريئا ، دم رجل جمع الى كرامة الخلافة شرف النسب ، وأحرز من العلم ما لم يحرزہ أحد من المسلمين فی ذلك العهد ؟ . اليس هو ابن عم الرسول وخليفته وصهره ؟ . اليس هو ذلك العالم التقى العادل المخلص الغيور على الاسلام والمسلمين ؟ لا نخال ابن ملجم قضی ليلته الا على شوك القتاد لم یغمض له جفن وقد طال ليله . وربما حدثته نفسه بالرجوع عن عزمه فيغلب عليه عهده لرفقائه ووعدہ لخطيبه قظام بنت شحنة ، ولا سيما بعد أن اشركت معه فی الجرم ابن عم لها يقال له « وردان » حرزته على الاخذ بناصره . ولقى هو رجلا من « أشجع » يقال له « شبيب » استحثه على ركوب ذلك المركب الحسن معه . فتواعد الثلاثة على العمل معا فی فجر الغد . فهل تظنه بعد تلك العهود والمواثيق یصغى لنداء ضميره ان كان له ضمير ؟

على انك لو سبرت غور قلبه فی تلك الليلة وهو ینقلب على فراشه وسيفه المسموم الى جنبه ، لرايته یناجی نفسه ويدفع تبکيت ضميره بحجة انه عمد الى ذلك دفعا لفتنة كان سببها تنازع على ومعاوية وعمرو على السلطة ، والفتنة شر من القتل

وكان نفس الامام على حدثته فی هذا الاوان بخطر يتوقعه على حياته وكان مذ اهل رمضان یتعشى ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند جعفر ، لا یزید على ثلاث لقمات ، ثم یقول : « أحب أن یأتینى امر الله وأنا خیص » . وأما فی تلك الليلة فانهم تعشوا جميعا فی منزل الامام وهو جالس لا یأكل الا قليلا وأولاده بین یدیه ینظرون اليه ویعجبون لحاله

وكان حاجبه « قنبر » رجلا كهلا من اهل الحبشة اذا نام الامام بات هو عند بابہ ، وكان فی تلك الليلة أشد الجميع قلقا لم یتناول الافطار ولا هذا له بال . أكل الناس وهو جالس القرفصاء عند الباب وعیناه شاخصتان الى

الفضاء يتوقع قدوم قادم وهو لا يكلم أحدا ولا انتبه أحد لحاله ، ولو سألهم أحدهم عن علة قلقه لباح له بما أطلع عليه من الأسرار التي ظن أنه كشفها وهم يبحثون عنها عثا

وبعد صلاة العشاء أرفض المجلس ، فذهب كل الى منزله وناموا جميعا الا « قنبر » فإنه لبث ساهرا وقد أخذ الاضطراب والقلق منه مأخذا عظيما . وما سهر للحراسة وهو يعلم ان الامام لا يريد حرسا يحرسه . ولكنه جلس يفكر في أمر اذهب رقاذه والقاء في حيرة

□

أما سعيد وبلال فانهما دخلا الكوفة وأسرا الى دار الامام على وكان القمر بدرا أو حوالى البدر ، وقد تكبد السماء فأرسل أشعته على ابنية الكوفة ، وقد انقشعت الغيوم عن السماء على غير المعتاد في ذلك الفصل . فلما دخلا الكوفة رأياها ساكنة هادئة لانقضاء ميقات السهر . وقد نام الناس وهم يتوقعون أذان السحر لينهضوا للسحور

سار سعيد وهو يستحث جله وقلبه يرقص طربا لنجاح مهمة لاطلاعه على حيلة قطام قبل فوات الوقت . فلما دنا من المسجد ترجل وقال لبلال : « خذ الجمل وسر به الى ساحة الكوفة وامكث حتى آتيك »

فعمل بما أمره به ، ومشى سعيد وركبته تصطكان من الاضطراب ، حتى أقبل على دار الامام فرأى السكون مخيما عليها ، فوقف يفكر كيف يدخل الدار وأهلها نيام ، فتردد خشية أن يظن به السوء لقدومه في ذلك الوقت، ولم يكن قد دخل الدار من قبل ولا لقي الامام عليا لقاء أهل الولاء . ولكنه لم ير بدا من الاقدام قمشي مترددا حتى دنا من باب الدار فرأى شبيحا جالسا لم يعرفه ، ولكنه سر به لعلنه أنه لا يبعد أن يكون من رجال علي فيسهل رسالته ، على أنه لم يكده يقبل عليه حتى وقف الشبح بغتة واعترضه سائلا : « من القادم ؟ »

فقال سعيد وهو يتلجلج : « انى رسول الى الامام على ، ومن انت ؟ »

قال : « انا قنبر حاجب الامام . ومن انت ؟ »

قال : « انى سعيد الاموى ، أريد مقابلة الامام على »

فصاح قنبر قائلا : « انت سعيد ؟ تعال معى »

فسر سعيد لاجابة طلبه ثوبا ، ومشى في اثر قنبر حتى دخلا باب الدار وتوجها الى حجرة فيها مصباح ، فدخلا قنبر أولا وابقظ رجلين نائمين هناك ، فلم يكده يدخل الحجرة حتى اطبق عليه الرجلان وقيدا يديه ورجليه

وهو واقف لا يبدى حراكا من هول المفاجأة ، ولما عاد اليه وعيه قال لقنبر :
« ماذا تصنعون بى ، وما هذه الوقاحة ؟ أين الامام على ؟ »

فاجابه قائلا : « لقد خاب فالك ايها الوغد اللئيم ، انك لن ترى عليا حتى
ترى الموت قبله »

فكاد سعيد ان يجن ، ولم يدرك الباعث على عملهم فصاح بهم : « ما لكم
تفعلون بى هكذا وقد جئتمكم فى رسالة لانتقد الامام عليا من القتل »
قال قنبر : « اخسأ ولا تكثر الكلام ، انك اموى وما اتيت الا لتقتال الامام ،
ولكن دون وصولك اليه خطر القتاد »

فقال : « وكيف أريد به شرا ، وقد جئت لانتقاذه من القتل ؟ »
فأمسك قنبر بتلابيبه ويداه ترتعدان اضطرابا وقال له « انتظن حيلتك
تتطلى علينا ؟ أما كفى بنى أمية ما فعلوه ، حتى جئتم تقتلون الامام فى عقر
داره ؟ »

فبهت سعيد ، وجد الدم فى عروقه وقال : « ما بالكم تسيئون بى الظن
وانتم لم تروا منى خيرا ولا شرا ، ألا تسمعون قولى ثم ترون رأيكم ؟ »
فقال قنبر : « وماذا تريدنا ان نسمع وانت اموى اخذ عليك العهد لتقتل
الامام على مهرا لفتاة خطبتها »

فذهل سعيد واراد ان يدفع عن نفسه فرأى قنبر قد اخرج من جيبه
رقا دفعه اليه وجذبه بيده الى المصباح وقال له : « اقرا اليس هذا خطك ؟ »
فلما وقع نظر سعيد على الرق رآه العهد الذى كتبه لقطاع يوم خطبها ،
فايقن ان قطاع هو التى ارسلت هذا الرق الى دار الامام لتوقع به . ورآها
لفرط حيلتها قد محت اسمها عنه ووضعت اسم فتاة اخرى فصمت ولم
يجب . فاتخذ قنبر سكوته حجة عليه فصاح : « اجب ، قل . اليس هذا
خطك ؟ »

فارتبك سعيد فى امره ولكنه ظل يؤمل ان ينجو اتكالا على النبأ الذى جاء
به عن مكيدة ابن ملجم فأجاب : « هب انه خطي ولكننى جئتمكم بخبر المكيدة
التى كادها بعض الناس للامام . الا تمهلونى ريثما أخبركم »
فلم يصبر قنبر على سماع كلامه وصاح قائلا : « واى مكيدة اعظم من
ان تتعهد بقتل الامام . أمكث هنا الليلة ، وسنرى فى امرك غدا » . قال هذا
وأوصد الباب دونه

فلما خلا سعيد الى نفسه فى تلك الحجرة ظن نفسه فى حلم ، وجعل يفكر
فى امره وفى دهاء قطاع . وكيف اوصلت هذه الورقة الى هذا الرجل لاتمام
حيلتها : ولكنه لم يكتث لما عامله به قنبر ، وصمم على مقابلة الامام فى
الصباح الباكر واطلعه على سر الأمر

وأما وصول الصك الى قنبر ، فانما سمعت فيه لبابة المحتالة بإشارة قطام بعد أن تداولتا في أتمام الحيلة مخافة أن يطلع سعيد على مكيدتها قبل وصوله اليها ، أو أن يذهب الى منزل الامام قبل المرور بها . فأخرجت ذلك العهد وغيرت فيه الفاظا رفعت بها الشبهة عنها ، وكلفت لبابة فأتت منزل قنبر في صباح ذلك اليوم بدعوى أنها دلالة تبيع الأقمشة وألقت الى قنبر حديثا لفقته بحيث تلبس الشبهة سعيدا فلا يصفى احد الى كلامه . وكان انصار على قد سمعوا اشاعة اعتزام بعض الناس قتل الامام . فلما رأى قنبر الصك وعلم أن صاحبه أموى ربه في بيت عثمان وقام بنصرته لم يبق عنده شك في اجرامه ، ولا سيما بعد أن رآه قادما قدوم اللص بعد منتصف الليل . فلما قبض عليه حبسه الى صباح الفد ليرى الامام رايه فيه بعد أن يعود من صلاة السحر

أما بلال فانه مكث بالجملين في ساحة الكوفة ينتظر قدوم سعيد . فلما أبطأ عليه قلق ، ولكنه لم يظن سوءا لما يعلمه من سلامة نية سعيد . وفيما هو جالس يفكر في ذلك سمع أذان السحر وكان يعلم أن عليا يخرج في تلك الساعة للصلاة فهرول الى المسجد فدخله فرأى فيه قبة مضروبة علم أنها قبة بعض النساء ممن يجلسن لسماع الصلاة . فوقف يجيل نظرة لعله يرى سعيدا . فاذا برجال دخلوا وفيهم رجل ملثم وقد التفت بعباءة يخفي تحتها سيفا فتفرس فيه عن بعد فرأى على جبهته أثر السجود فعلم أنه ابن ملجم ، فارتعدت فرائضه وحدثته نفسه أن يصبح به ولكنه خاف على نفسه ولم يكن يشك في أن عليا قد اطلع على سر المؤامرة فلا يلبث أن يدخل المسجد ويأمر بالقبض عليه ، ثم رأى ابن ملجم وقد توجه معه رجل آخر هو شبيب نحو تلك القبة فكلما من فيها ، وكان فيها قطام بنت شحنة ، ثم مشى ابن ملجم حتى اقترب من السدة وبلال يرقبه ويتوقع سماع الأمر بالقبض عليه حالما يدخل على

وبعد هنيئة ، فتح باب السدة ، ودخل منها الامام على وهو يمشي الهوينى وعمامته على راسه تغطي صلته وكان ذا بطن ولحية كثيرة الشعر ضخمة العضل وفي يده درة (سوط) كان يوقظ بها الناس للصلاة كل صباح ، فمشى الامام وابن النباح المؤذن بين يديه والحسن ابنه خلفه . فلما دخل انصت الناس وبلال ينظر اليه موقنا أنه سينادي من يقبض على ابن ملجم ، فاذا به قد وقف ونادى : « أيها الناس الصلاة الصلاة »

والفت بلال الى ابن ملجم فاذا هو لا يزال واقفا لكن رفيقه (شبيب) تقدم مسرعا وسيفه بيده فضرب به الامام عليا فأصاب عضادة الباب وسقط السيف من يده فأجفل بلال وهم بأن يسرع الى على يخبره بأمر ابن ملجم

فاذا بابن ملجم قد أقبل على على بأسرع من لح البصر والسيف يبرق في يده وضربه على جبهته وهو يقول : « الحكم لله يا على وليس لك ولاصحابك »

فصاح على : « فزت ورب الكعبة » . ثم قال : « لا يفوتكم الرجل » فتكاثف الناس على ابن ملجم فدفعهم بسيفه ففرجوا عنه فهجم عليه المفيرة ابن شعبة وتلقاه بقطيفة فرماها عليه واحتمله وضرب به الأرض وقعد على صدره وانتزع السيف منه . وأما شبيب فافلت في الغلس وخرج من المسجد هاربا

وانفرط عقد الناس ونظر بلال الى القبة المضروبة فرأى امرأة خرجت من تحتها واذا هى قطام أسرعت وفرت في غمار الناس . فذهل لما رآه ولكنه أمل الا تكون الضربة قاضية ، ثم تذكر ان سيف ابن ملجم مسموم فيئس من نجاة الامام ، وجعل يتفرس في الناس لعله يرى سعيذا فلم يقف له على اثر فتقدم فيمن تقدم الى السدة حيث كان على مطروحا فسمعه يقول : « احضروا الرجل » . فأحضروه اليه

فقال له على : « اى عدو الله . . الم احسن اليك ؟ ! »

قال : « بلى »

فقال : « فما حلك على هذا ؟ »

قال : « شحذت سيفى هذا اربعين صباحا ، وسألت الله ان يقتل به شر خلقه » !

فقال على : « لا أراك الا مقتولا به ، ولا أراك الا شر خلق الله » . ثم التفت الى من حوله . وقال : « النفس بالنفس ان هلكت فاقتلوه كما قتلنى ، وان بقيت رأيت فيه رأى . يا بنى عبد المطلب لا الفيتكم تخوضون دماء المسلمين تقولون قد قتل أمير المؤمنين . الا لا يقتل الا قاتلى . انظر يا حسن ان انا مت من ضربنى هذه فاضربه ضربة بضربة ، ولا تمثلن بالرجل فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور) . »

قال ذلك وابن ملجم موثق ، وكانت أم كلثوم ابنة على واقفة بجانب أبيها فقالت لابن ملجم : « اى عدو الله لا بأس على أبى والله مخزيك » . فالتفت اليها ابن ملجم وقال : « على من تبكين ؟ والله ان سيفى اشتريته بألف وسميته بألف ولو كانت هذه الضربة بأهل مصر ما بقى منهم أحد »

ثم تقدم جندب بن عبد الله الى على وقال : « ان فقدناك ولا نفقدك فنبايع الحسن »

قال على : « ما أمركم ولا انهاكم ، انتم أبصر »

ولما علم الناس أن سيف ابن ملجم مسموم ايقنوا دنو أجل الامام ، وخافوا الفتنة فيمن يخلفه ، ولكنهم بعد أن سأله جندب بن عبد الله ما سأله عن يخلفه فأجابته بأنه لا يأمرهم ولا ينهاهم ، لم يسعهم الا تأجيل النظر في الأمر ، ثم نقلوه الى داره ماشيا وهو يتوكأ على ولديه الحسن والحسين والدم يفيض جبينه وكان السم لم يفعل فعله بعد

أما ابن ملجم فكان لثامه قد وقع عن وجهه وبانت سخنته ، وكان اسمر ابلج في جبهته اثر السجود ؛ فساقوه الى السجن ولو لم يوص أمير المؤمنين بالألا يقتلوه الا اذا مات هو من الضربة لقطعوه اربا اربا . ولكنهم اضطروا امتثالاً لأمر الامام الى أن يسوقوه الى السجن ريثما تظهر عاقبة الجرح

أما بلال فسار في أثر الجمع الى منزل الامام على ، وقد راعه ما رآه من هول تلك الساعة ، ومما زاد في أسفه وضاعف حزنه ما أصابه من الفشل بحبوط مسعاه ومسعى سيدته ، لأنه انما كان يود نجاة الامام من تلك المؤامرة اكراما لمولاه خولة ، ولا سيما بعد أن صحب سعيدا وسمع منه في أثناء الطريق ما حدثه به جده ابو رحاب عن فضائل الامام على التي ينذر اجتماعها في رجل

على أنه كان مع ذلك في شافل عما كان فيه الناس من الاضطراب والاهتمام والانهماك بأمر الامام وجرحه بالتفكير في سعيد وحاله ، وقد عجب لفشله في مهمته مع علمه أنه انما أسرع بعد طول مشقة السفر وسعى في منتصف الليل لينبئ القوم بالخطر الداهم ، فمشى وهو يتفرس في الناس واحدا واحدا لعله يرى سعيدا بينهم فلم يقف له على أثر . على أنه ما لبث أن رأى الجمع دخلوا المنزل وأدخلوا الامام محمولا الى حجرته ، وتفرق الباقيون في صحن الدار جماعات ، وحديثهم يدور حول الحادث ، وما عسى أن يصيب الاسلام بعده مما لم يكن في الحسبان ، وما فيهم الا من يقول : « ليتنى أشفى غليلي بضرب عنق ذلك الباغي »

وفيما هو ينظر في وجوه الناس لعله يرى سعيدا ، اذا بقنبر حاجب الامام على قد خرج من الغرفة والدمع ملء عينيه وهو يقول : « اقتلوني أيها المسلمون ، اقتلوني اني جنيت على أمير المؤمنين »

فنهض الناس والتفوا عليه وهم لا يفقهون حديثه ، فاذا به قد اخترق الجمع ومشى الى الحجرة التي كان سعيد مسجوناً فيها وفتحتها وأخرج سعيدا منها وهو ما زال في اغلاله

ولم يكن سعيد قد درى بما أصاب الامام عليا . فلما أخرجه قنبر على تلك الصورة ورأى الجمع متكاثفا ظنهم يريدون به سوءا . فقال : « أروني الامام عليا فاطلعه على دسيسة دبرها له أهل البغي ولا تظنوا بي سوءا »

فعلا صوت قنبر بالبكاء وقال : « لقد نفذ السهم يا سعيد ، انهم فتكوا بأمر المؤمنين »

فصاح سعيد : « ومن فتك به ؟ »

قال : « ابن ملجم ، ضربه ضربة قاتلة قتله الله »

فصاح سعيد : « ويلاه ، واحسرتاه ، كيف يقتله وقد قطعت البرارى والقفار سعيا في تلافى المصاب ؟ ألم أقل لك ذلك يا قنبر ؟ »

قال : « انك لم تفصح القتال ، وقد نفذ السهم وجرح الإهم جرحا لا اظنه ينجو منه ، ولو أصغيت اليك لنجا أمير المؤمنين ، لقد وقع القضاء ولا مرد لقضاء الله »

ولم يتم قنبر كلامه حتى بكى سعيد وبكى الناس ، وعلا الصياح وهم مبهوتين ينظرون الى قنبر يتوقعون منه تفصيلا لما أجمل

أما هو فاشتغل بحل قيود سعيد وهو يقول : « قاتل الله تلك المعجوز المختالة ، انها أغرتني بك وقد نجحت حيلتها »

فهم سعيد بأن يقص حديثه على اثر ما رأى من رغبة القوم في ذلك فاذا ببعض الناس يقول : « ان الامام في عافية وهو يحدث ابنه الحسن والحسين »

فتحول الجمع الى غرفته كالسيل ، وانتهاز لبال تلك الفرصة فدنا من سعيد كأنه يستفهمه سبب فشله في مهمته . فقص عليه الخبر باختصار ، ووعده باتمام الحديث في فرصة أخرى . وسار مع الجمع الى غرفة الامام فلم يستطع الدخول اليها لتزاحم الأقدام . فأطل من نافذة فرأى عليا متوسدا فراشه وهو معصوب الرأس بمنديل يغطي الجرح وكانوا قد غسلوا الدم عن وجهه ولكن آثاره بقيت ظاهرة على لحيته

فتذكر سعيدا جده ابا رحاب وما أوصاه به فأجهش بالبكاء ، على أنه ما لبث أن سمع عليا يتكلم فوجه اليه انتباهه فرآه يخاطب ولديه الحسن والحسين وهما جاثيان عند رأسه وقد اشتد بهما الحزن ، ولكنهما يتجلدان بتجلد الرجال ، وهما ينصتان وأعينهما شاخصة في وجه الامام الجريح ، والناس سكوت وكلهم آذان يسمعون ما يتلوه الامام من الآيات البينات وهي آخر خطبة القاها . فاذا هو يقول :

« أوصيكم بتقوى الله ، ولا تبغيا الدنيا وان بعثكما ، ولا تبكيا على شيء زوى عنكما . وقولا الحق ، وارحما اليتيم ، وأعيينا الضائع واصنعا للأخرى . وكونا للظالم خصيما وللمظلوم ناصرا ، واعملا بما في كتاب الله ، ولا تأخذكما في الله لومة لائم »

ثم نظر الى محمد بن الحنفية فقال : « هل حفظت ما أوصيت به اخويك ؟ »

قال : « نعم »

قال : « فاني أوصيك بمثله ، وأوصيك بتوقير أخويك لعظيم حقهما عليك ، ولا تقطع أمرا دونهما » . ثم قال لهما : « أوصيكما به فانه أخوكما وابن إبيكما ، وقد علمتما أن إباكما يحبه » . وقال للحسن : « أوصيك أي بني بتقوى الله وإقامة الصلاة لوقتها وإيتاء الزكاة عند محلها ، وحسن الوضوء فانه لا صلاة الا بظهور ، وأوصيك بغفر الذنب ، وكظم الغيظ ، وصلة الحرم ، والحلم عن الجاهل ، والتفقه في الدين ، والتثبت في الامر ، والتعهد للقرآن ، وحسن الجوار ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واجتناب الفواحش »



وما أتم وصيته حتى أجهد وتعب من الكلام وما كان العهد به أن يتعب من الوعظ والخطب ساعات متوالية . ثم أمر بتلك الوصية فكتبت ودفعت الى الحسن ، ولم ينطق الامام بعد ذلك الا بقوله : « لا اله الا الله » . حتى مات (١) فعلا الضجيج وزاد العويل والبكاء . ثم غسله الحسن والحسين وعبد الله ابن جعفر وكفن بثلاثة أثواب ودفن

ولما رأى سعيد وقوع المصاب تذكر قطام وخبثها وقال في نفسه : « والله لم يقتله الا هي ولولاها لم يقتل امير المؤمنين »

وفيما هو يفكر في ذلك ويكي جاء قنبر فقبض على يده وجره فسار في أثره وهو لا يدري ما يريد منه . وسار بلال في أثرهما حتى دخلا سجن ابن ملجم وكان مغلولا هناك . فلما دخلوا عليه هم سعيد بالكلام فقال قنبر : « تمهل لنرى ما يقول هذا اللعين » . فلما رآهم ابن ملجم قادمين عليه ظل جالسا ولم يعبأ بهم ، ولكنه خاطب قنبر قائلا : « أظنك جئت تدعوني الى النطع ، لأن صاحبكم مات »

قال : « الى ذلك جئت ، ولكنني أسألك عن هذا الرجل هل تعرفه ؟ » (وأشار الى سعيد) فقال : « كلا »

وكان قنبر قد أراد أن يتحقق براءة سعيد ، وقد شك في اشتراكه مع

(١) هذا ما رواه ابن الأثير من أمر مقتل الامام . وذكر صاحب تاريخ الخميس أنه توفي صبيحة يوم ١٧ رمضان مثل صبيحة بدر . وقيل ليلة الجمعة ثلاث عشرة ليلة من سنة أربعين (عن أبي عمر وابن عبد البر) . وفي الصفوة قال الطاء بالسري : ضربه عبدالرحمن بن ملجم بالكوفة يوم الجمعة ثلاث عشرة بقين من رمضان ، وقيل ليلة احدى وعشرين منه سنة أربعين ، فبقى الجمعة والسبت ومات ليلة الأحد ، وقيل يوم الأحد . وغسله ابنه وعبد الله ابن جعفر ، وصلى عليه الحسن ، ودفن في السحر . وقالوا غير ذلك مما ليس هنا مكان تحقيقه . وذكروا أنه دفن في مسجد الكوفة وقبل حل الى المدينة ودفن عند فاطمة ، وقيل غير ذلك

ابن ملجم في المؤامرة . فقال له : « ألم يكن لهذا الأموى يد معك في القتل ؟ »
فتبسم ابن ملجم وقال : « إنه أضعف من أن يقدم على ذلك . انى
لاعرفه »

فقال بلال : « هل تعرف قطام بنت شحنة ؟ »

قال : « اعرفها وهى خطيبتى ودم ابن أبى طالب مهرها »
فصاح فيه قنبر : « أخسأ يا لثيم أنك ملاق حتفك قريباً ، قم الى الموت »
أما سعيد فلما سمع قوله ان قطام خطيبته اشتد حنقه وغيظه من تلك
المرأة ، وقال في نفسه : « انى والله سأخذ بالثأر منها يدي »

وكان الحسن هو الذى أمر باحضار ابن ملجم ليقته عملاً بوصية أبيه ،
فلما حضر بين يديه ، نظر الى ما حوله فرأى الناس ينظرون اليه بأعين
تلتهب حنقاً وكل يود ان يقتله بيده ، فلم يعبا بما رأى ، ولم يصبر حتى
يكلمه احد منهم فنظر الى الحسن وقال : « هل لك في خصلة ، والله قد
أعطيت الله عهداً الا أعاهد عهداً الا وفيت به ، وانى عاهدت الله عند الحطيم
ان أقتل علياً ومعاوية أو أموت دونهما ، فان شئت خليت بيني وبينه .
فلك عهد الله على ان لم أقتله ثم بقيت ان آتيك حتى أضع يدي في يده »

فقال له الحسن : « لا والله حتى تعانين النار »

وكان الناس قد جاءوا بالنفط والبوارى والنار وقالوا : « نحرقه » .
فقال عبد الله بن جعفر والحسين بن على ومحمد بن الحنفية : « دعونا نشف
ما فى أنفسنا منه ، فقطع عبد الله بن جعفر يديه ورجليه ، فلم يجزع ولم
يتكلم ثم كحل عينيه بمسماز محمى فلم يجزع ، وجعل يقول : « أنك لتكحل
عينى عمك بمكحول محمص » . وجعل يقرأ : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » .
حتى اتى على آخر السورة وان عينيه لتسيلان على خديه ، ثم أمر به فعملج
على لسانه لقطعه فجزع فقليل له : « قطعنا يديك ورجليك وسملنا عينيك
يا عدو الله فلم تجزع فلما صرنا الى لسانك جزعت » . قال : « ما ذاك من
جزع الا انى أكره ان أكون فى الدنيا فواقلا أذكر الله » . فقطعوا لسانه ثم
جعلوه فى قوصرة فأحرقوه بالنار

ولما اشتهم سعيد رائحة القتر المتصاعد من بقايا ابن ملجم شفى بعض
غيظه ، ولكن قوله : « ان قطام خطيبتى وان قتل على مهر لها » . بقى
يرن فى أذنيه ، وازداد تعجباً من دهاء تلك المرأة واستغرب ان يكون فى النساء
واحدة فى مثل ذلك الدهاء ، وتذكر ما حدث له معها من الوعود وما ارتكبته
فى سبيل الانتقام لأبيها وأخيها من الجرائم ، وكم قتل بسببها من الرجال
وعبد الله ابن عمه فى جلته . فاتقد غيظاً وظل برهة غارقاً فى هواجسه
لا ينتبه لما يدور حوله من الأحاديث ولا يفقه شيئاً من انهماك الناس فى مبايعة

الحسن . ولم ينتبه حتى ناداه بلال فلباه فقال : « هلم بنا يا مولاي من هنا
إن لي كلاما أقوله لك »

قال : « هيا بنا » ومشيا ولم ينتبه لهما أحد لاشتغال الناس بالمبايعة
وعادا توا الى ساحة الكوفة حيث تركا الجميلين ، وسارا من هناك الى منزل
سعيد ، وكانا في اثناء الطريق يلتقيان بأهل الكوفة سرعين زرافات ووجدانا
الى منزل الامام على أثر ما سمعوه عن مقتله ، وهما لا يكلمان احدا

ولم يكن سعيد قد دخل منزله منذ ذهابه الى القسطنطين فلم يجد فيه
احدا لأن الخدم ساروا في جملة السائرين الى منزل الامام . وكان التعب قد
أخذ منه مأخذا عظيما لهول ما قاساه بعد سفره الطويل . فدخل الدار من
باب خاص به وترك بلالا يهتم بالجميلين . وبدل ثيابه وهو يفكر فيما رآه من
الأهوال وما يتوقعه بعد موت الامام على من تغير المال

ثم توسد وسادة يلتمس الراحة وهو يفكر فيما يتوقع سماعه من بلال
ولكن التعب تغلب عليه وغلب عليه النعاس فنام . ودخل بلال عليه فراه
نائما فتوسد مقعدا في غرفة اخرى ، وأخذ يتهيا لمكاشفة سعيد بما يجول
في خاطره من الشؤون حتى نام



ظل سعيد وبلال نائمين حتى الغروب فأفاق سعيد على صوت الخدم وهم
يفتحون الباب بعد عودتهم ، وقد بغتوا لما رأوا سيدهم هناك على غير انتظار
أما هو فعذرهم لغيابهم ودعا بلالا فوقف بين يديه فدعاه للجلوس فاستأذن
في اغلاق الباب دونهما ، فأمر خادما فأضاء له مصباحا وضعه على ممرجة
وخرج ، فأغلق بلال باب الغرفة وجلس الى سعيد والاهتمام باد على وجهه
فقال سعيد : « قل يا بلال ما بدا لك »

قال : « أياذن لي سيدي في أن أسأله ما الذي دعا الى فشل مهمته ؟ »
فتنهذ سعيد وقال : « ان السبب قديم يا بلال لم أكن لاقصه عليك لو لم
أتس منك ما أنسته من الغيرة والمروءة »

قال بلال : « ولم يكن من شأنى أن أسألك عنه لو لم الحظ من خلال
الأحداث ما يشف عن بعض السر ، ولعلنى اذا اطلعت على حقيقة الحال أن
أتيك بخبر جديد »

قال لا أخفى عليك أن السبب في فشلى امرأة اظنك سمعت اسمها في هذا
الصباح من فم ابن ملجم »

قال : « اظنها قطام بنت شحنة »

قال : « نعم ، قبحها الله من داهية محتالة . فانها كانت سببا في قتل ابن عمي وقتل الامام وابن ملجم . ولا يخفى عليك ان قتل الامام لا يقتصر شره على قتل النفس ولكننا نخاف منه الفتنة . ولا ريب في انها ارادت ايضا ان تقتلني بوسيلة دبرتها » . وقص عليه حديثه مع قطام مختصرا من اول معرفته بها الى تلك الساعة

فلما فرع سعيد من كلامه عض بلال على انامله وتحرق ثم تنهد وسكت فقال سعيد : « ما بالك يا بلال ، وما الذي يدعوك الى التنهد ؟ »

قال : « يدعوني اليه ندعى على ما فاتني من القبض على هذه المرأة في صباح هذا اليوم لانى رايتها في قبتها بالمسجد وقد مر بها ابن ملجم ورفيقه فكلماها قبل اقدامهما على تلك الفعلة الشنعاء ، ولكننى كنت اظن عليا والهفى عليه قد علم منك بما ينويه ابن ملجم فلا يترك له فرصة لارتكاب ذلك المنكر . وقد رأت بنت شحنة خارجة من المسجد بعد ان تحققت نيل بغيتها بقتل الامام ، فياليتنى قبضت عليها . ولكن ما قدر كان . وقد قتل الامام وقتل قاتله والامر في ذلك لله . على اننى اذا عشت فسأنتقم لك وللإسلام من هذه الفاجرة . ومن غريب الاتفاق ان ابن ملجم هذا كان قد خطب سيدتى خولة من ابوها ولكنها لم تكن تحبه ولم ترض به »

ولم يكن بلال عارفا باطلاع سعيد على هذا الخبر من خولة فلم يشأ سعيد ان يعترف له به فظل صامتا ليسمع بقية الحديث فقال بلال : « ولا شك ان سيدتى خولة ستفرح اذا سمعت بمقتل هذا العاقد لنجاتها من شركه »

قال سعيد : « وما الذى يحملها على قبوله اذا لم تكن ترغب فيه ؟ » قال : « ان اباه هو الذى اطعمه بها ووعد به بزفافها اليه ، اما هى فانها كانت قد عزمته على رفضه مهما تكن العاقبة »

تذكر سعيد حديث خولة ، وتمثلت له صورتها ملكا كريما وما هى عليه من الحمية والأنفة والمروءة ، وما شعر به من الميل اليها يوم لقيها في القساطر ايام كان لا يزال مخدوعا بمواعيد قطام ومشغولا بأمر الامام على ، فلم يترك قلبه يومئذ مجالا للحب ، فلما سمع ذكرها الآن تجددت ذكراها واحب ان يسمع حديثا عنها فقال : « وهل أنت واثق من انها كانت مصممة على رفضه ولو أغضبت اباه ؟ »

قال : « نعم انى واثق بما أقول وقد لحظت شيئا آخر . . » . وسكت وهو يتسهم

قال : « وما هو ؟ » . قال : « ألم تلحظه أنت ؟ » قال : « كلا وما هو ؟ . قل » . قال : « لحظت أنك وقعت من نفسها موقعا

عظيما ، ولحظت أيضا أنك لم تجهل ذلك »

قال : « كيف عرفت انى لم أكن أجهله »

قال عرفته مما رأيت من خروجها اليك غير مرة ليلا ، التماسا لنجاتك وهي تستجهلنى ولا تنتبه الى . ولكنك كنت فى شأغل يومئذ بلهفتك على انقاذ الامام على من كيد الحاقدين »

فعجب سعيد لما ظهر له من اطلاع بلال على سره ، وتذكر أنه شعر بشيء منه يوم كان فى الفسطاط وأن اشتغاله بأمر الامام وخوفه عليه مع تعلقه بقطام وعهودها حال بينه وبين تمكين حبل المودة مع خولة . فلما سمع ما سمعه من بلال ساعته أن يحب أن يستطلع جلية الخبر فقال له : « أفصح عما فى نفسك انى لم أفهم مرادك »

فقال بلال : « أن مرادى واضح مما ذكرته لك ، وها أنذا أفشى لك سرا هو أن مولاتى خولة حين أمرتنى بأن أسير فى ركابك ، أوصتنى بأن أنتظر حتى تكشف دسيسة ابن ملجم وننقذ الامام عليا ثم أطلعك على رغبتها فى عودك الى الفسطاط لأنها تكون قد نجت من خطبة ابن ملجم وتكون أنت قد فرغت من مهمتك ، ولا أدري ما تنويه فى رجوعك ؟ »

ففهم سعيد ما وراء ذلك فقال له : « أما رجوعى الى الفسطاط فلا يخلو من مجازفة لما فى ذلك من الخطر على لائى انما جئت منها فرارا من القتل . فاذا عدت فانما أعرض نفسى لما هو شر من القتل ، وابن العاص لا يعفو عنى ، ناهيك بكروى لبلد فقدت فيه ابن عمى . وسكت هنيهة وتنهى ثم قال : « وهل أنت واثق من ميلها الى ؟ فانى والحق يقال رأيت فى خولة من الحمية وعزة النفس مع التفانى فى نصرة الامام ما جعل لها فى نفسى مقاما رفيعا . ولا اكتمك ما خالج قلبى يومئذ من الميل اليها ولكننى كنت بحالق القلب بقطام اخراها الله فانها خدعتنى »

فابتدرة بلال قائلا : « لا تذكر هذه الخائنة يا مولاي ، انى والله أكره أن اسمع ذكرها ، لائى أشعر بقصورى وجهلى اللذين سببا نجاتها ، وهى والحق يقال أصل هذا الشر العظيم . . . ففى سبيل انتقامها لأبيها وأخيها ارتكبت أعظم اثم حدث فى الاسلام فقتلت ابن عم الرسول (صلعم) ولكننى سوف اذيقها حتفها واسفك دمها ولو بذلت فى هذا حياتى » . قال ذلك وهو يحرق أسنانه حنقا وأسفا

فقال سعيد : « وما ظنك بها الآن . أباقية هى فى الكوفة ؟ »

قال : « لا أظنها تبقى بعد ما ارتكبته فيها ، وقد افتضح امرها وعلم الخاص . والعام أنها شريكة فى القتل »

قال : « وأين تراها تذهب ؟ »

قال : « لا أدري ، وسأبحث في ذلك صباح الغد ، أما الآن فلنعد الى ما كنا فيه فانك اذا لم ترجع معي الى الفسطاط أحسبني مقصرا فيما عهد الي فيه . وخولة بامولاي يندر مثلها بين البنات جالا وتعقلا وانفة ، ولولا أبوها وتشيعه لمعاوية لانت بما لم ياته أعظم الرجال . ولكنه كثير التشيع لابن ابي سفيان وكثيرا ما كانا يختلفان امامي ويختصمان على أمور أستدل منها على ذلك »



واحس سعيد بعاطفته تتجدد ، وشاقه حديث خولة وثاقت نفسه اليها ، ولكنه استثقل الذهاب الى الفسطاط مخافة الوقوع في قبضة عمرو بن العاص . ثم تذكر ان المتأمرين كانوا قد اجعوا على قتله وقتل معاوية في مثل ذلك اليوم ، فقال : « ألم أخبرك ان اثنين آخرين تأمرا على قتل ابن العاص ومعاوية ايضا »

قال : « بلى أخبرتنى ولكننى لا أخاف على ابن العاص الوقوع في الشرك » قال : « وما الذى ينجيه منه وهو لا يدري ما يعمرون ، فاذا فنكوا به سهل على الدخول الى الفسطاط ويكون ذلك أسهل ايضا اذا قتل معاوية في الشام »

قال بلال : « ان البحث عن ذلك يحتاج الى وقت ، ولا بد لنا من التريص حتى تأتينا الأخبار أو ان نذهب نحن للبحث عنه »

قال سعيد : « لا صبر لى على الانتظار ، ولا اظنك تصبر عليه . فأرى ان تسير أنت على عجل الى الفسطاط تستطلع جلية الخبر ، وتعود باليقين . واذا جعلت طريقك على الشام جئت بالخبرين معا »

قال : « أمرك يا سيدى . وأنت ماذا تفعل ؟ »

قال : « انقى هنا للبحث عن تلك الخائنة قطام ، فانى اتوق للانتقام منها فاذا لم اوفق الى ذلك عشت منفص العيش طول عمري . انها قتلت ابن عمى وأمير المؤمنين وكادت تقتلنى ! »

قال : « بالله دع امرها لى ، فانى أريد أن أشفى غليلي منها ومن عبدها الزنيم ربحان لا أراحه الله ، ولكننى أرى سفرى الى الفسطاط ادعى الى العجلة »

فأعجب سعيد بحماسة بلال ، وزاد ميلا اليه وشوقا الى خولة . واخذ يبعد الى ذهنه ما أنسه فيها من اللال الحميدة والغيرة عليه ، وكيف كان التقاؤه بها سببا في نجاته من القتل ليلة ذلك الاجتماع . فضلا عما رآه فيها

من الغيرة على أمير المؤمنين . ولكنه لم يكذب بذكر عاقبة ذلك السعى وحيوط ما دبره حتى اشتعل غيظا ، ولكنه لم ير حيلة فيما مضى فقال : « لقد قضى الأمر يا بلال ولم تبق لنا حيلة فيما مضى ، فإذهب أنت الى الفسطاط وعرج في طريقك على الشام ثم عد الى بالخبر اليقين عن عمرو ومعاوية . وأما أنا فاني باق هنا أبحث عن قطام وعجوزها وعبيدها ، فإذا عدت فوافني الى هذا المنزل »

قال : « وخولة ؟ ماذا أقول لها ؟ »

قال : « اذكر لها ان شوقى اليها لا يوصف ، وان ما عندي اضعاف ما عندها ، ولها منى عهد الله ان لن ينالها سوى »

قال : « أما رضاها فانا الضمين لك به » . وسكت بلال وقد أبرقت أسرته سرورا بما سمعه . ثم قطب وجهه بغتة وقال : « ولكن هب أن ابن العاص ما زال حيا وأبوها كما تعلم شديد التشيع له فلا أظنه يرضى بك زوجا لها ، فما الحيلة ؟ »

قال : « هذا راجع الى اختيارها ، ومتى عدت الى بالخبر نتدبر الأمر في حينه ، أما الآن فلا نضيع الوقت . امض الى الفسطاط على عجل وعد الى بالخبر اليقين وعلى الله الاتكال »

فأخذ بلال يستعد للرحيل ، وسعيد صامت يفكر فيما هو فيه . وأصبح الحصول على خولة شغله الشاغل ، ولكن فشله في انقاذ الامام أثار فيه حُب الانتقام من قطام . فصمم على الفتك بها اما بيده واما بمساعدة الحسن بعد تبوؤه عرش الخلافة



نجاة عمرو بن العاص

فلنترك سعيدا وبلالا على حالهما ، ولنعد الى خولة في الفسطاط . فقد تركناها عائدة في ذلك الليل الى منزلها على طريق عين شمس . وكان ابوها قد حبسها فيه . فلما أخرجها سعيد منه وسارا معا الى الدير ثم خرجت هي وحدها لم تر خيرا من أن تتظاهر بالبكاء والخوف فهرعت الى منزل أبيها باكية وكان هو لا يزال غائبا يتداول مع عمرو بن العاص في شأن الذين قبض عليهم في ذلك اليوم . فلما فرغ من أمرهم وحرّض ابن العاص على انقراضهم سار الى محبس ابنته فرأى الباب مفتوحا وليس هناك أحد . فاستغرب الأمر وعاد توا الى منزله فرأى خولة جالسة في غرفتها تبكي . فتجاهل سبب بكائها وقال : « ما بالك يا خولة ؟ »

قالت : « كيف تتركني وحدي في ذلك البيت ألم تخف على من ابناء السبيل ؟ »

قال : « ألم ترى اني أقفلت الباب واوصدته خوفا عليك من ذلك ؟ »
قالت : « كيف تفعل بي هذا ؟ أعاصية أنا أمرك ؟ » . واستغرفت في البكاء فتحرّكت فيه عاطفة الأبوة ، وظنها تقول ذلك عن سداجة فقال لها :
« وكيف خرجت ؟ »

قالت : « لما رايت نفسي حبيسة هناك خفت على حياتي فجعلت أناديك واستغيث بك ، ثم سمعت قرعة وضجيجا ووقع حوافر كثيرة فازداد خوفي فصحت واستجرت ، فقيض الله لي رجلا فتح الباب بالعنف فخرجت وهرولت الى البيت وانا أرتعد من شدة الاضطراب »

فطيب خاطرها ولامها على خوفها ، ولكنه سر لظنه أن حيلته قد انطلت عليها ، وما زال يهون عليها حتى تظاهرت بالرضا فتركها وخرج وهو يظنها عازمة على الرقاد . ثم سمعت لفظ الناس في المدينة فانتبهت الى أن الجند لا يلبثون أن يفتحوا بيت الفقاري ، فاذا راوا سعيدا هناك قبضوا عليه فخرجت لانتقاذه كما تقدم . وقبل خروجها اوصت عبدها بأن يوصد الباب ، واذا سال ابوها عنها يقول له انها نامت وأقفلت الباب عليها لسدة ما اعمرها من الخوف في ذلك المساء . فبات ابوها تلك الليلة وهو يحسبها نائمة ، أما هو . فبعد انتقاذه سعيدا عادت الى غرفتها مضطربة فلم تستطع رقادا ،

وجعلت تفكر في وسيلة تنقذ بها عبد الله ، ولم تمكث قليلا حتى سمعت لفظا في دار ابيها ، وفهمت من خلال اللفظ ان ابن العاص عول على اغراق اسراه في النيل ، وسمعت اباها يضحك سرورا لهذا القرار ، فأسفت أسفا شديدا، ولبثت برهة تفكر فيما تفعل، حتى حدثتها نفسها لفرط انفعالها ، بأن تخرج في أثر الخارجين لعلها تستطيع انقاذ عبد الله . فغافلت اباها وكان قد ذهب الى فراشه وخرجت وأوصدت الباب وولعها * وبلال نائم امام عتبة ، وسارت في اتجاه ضفة النيل حيث ظنت انهم ساقوا الأسرى وهي عزلاء دفعتها حاستها الى الخروج هكذا . فالتقت هناك بسعيد وقار ما دار بينها وبينه ووعدته بارسال عبدها ليصحبه الى الكوفة كما تقدم . ثم عادت وحدها

فلما أشرفت على المنزل رآته هادئا وأهله نيام ، فانسلت الى الدار فرأت عبده بلالا نائما فأيقظته فهب من رقادته مذعورا وكانت تعلم شدة تعلقه بها وتغانيه في مرضاتها ، فدعته الى غرفتها فتبعها فلما خلت به قالت :

« أتدري لماذا دعوتك ؟ »

قال : « كلا يا مولاتي ولكنني رهين اشارتك »

قالت : « اتطيعني يا بلال ؟ »

قال : « كيف لا وأنا عبدك وطوع أمرك ؟ »

قالت أريد أن أعهد اليك في أمر خطير فهل تقوم به ولو أدى الى الموت ؟ »

قال : « ان الموت هين في سبيل مرضاتك . مري يا سيدتي بما تشائين فانني في خدمتك »

قالت : « اسمعت بما حدث اليوم في عين شمس وما فعل ابن العاص بالمجتمعين هناك ؟ »

قال : « نعم وقد ارتكب أميرنا فيه أمرا جسيما وقتل كثيرين »

قالت : « أما سرك ما فعله ابن العاص بأولئك العلويين ؟ »

قال : « اذا كان سرك فانه يسرني »

قالت : « وما ظنك بي ؟ »

قال : « لا اظنك راضية عن هذا العمل ، لعلمي انك على غير دعوة الأمويين ، وان يكن سيدى ابوك متفانيا في سبيل التشيع لهم »

قالت : « وكيف عرفت ذلك ؟ »

قال : « أنت تحسبيني ساذجا وقد قضيت في خدمتك اعواما طويلا واطلعت على مكنونات قلبك وأنت لا تعلمين . وأما الآن فقد دفعتنى الى التصريح بأنى اعلم غرضك ولم يفتنى شيء مما تقاسينه في سبيل الدفاع

عن الامام على ولا سيما امس ، وانت لا تعلمين شيئا الا انى احرس هذا الباب الموصل واكنتم خروجك منه عن ابيك »

فاستغربت خولة قوله ولكنها سرت به وقالت : « وما قولك فيما حدث امس ؟ »

قال : « اتحسبنينى غافلا عما قاسيته فى سبيل انقاذ ذلك الشاب الغريب الليلة ، وقد كان فى جملة من خيف عليهم الوقوع فى شرك ابن العاص فانقذته بهمتك ؟ »

فتحقت انه كان يراقب حركاتها وسكناتها. فتהל قلبها سرورا فقالت : « اما والحال على ما ارى فاخبرك ان ذلك الشاب مسافر الآن الى الكوفة ، واريد منك ان تذهب اليه بالجملين الى سفح المقطم ، فاذا التقيت به هناك فسر فى ركابه الى الكوفة واحذر ان يدري بك احد او ان تذكر ذلك لاحد » ولم تتم كلامها حتى خرج مسرعا بهم باعداد الجملين ، فاسترجعته وقالت : « فف يا بلال بورك فيك واسمع كلمة اخرى اقولها لك »

فعاد وقال : « لبيك يا مولاتى قولى ما تشائين »

قالت : « انك ذاهب مع هذا الشاب الى الكوفة لانقاذ الامام على من القتل ، وستعلم تفصيل ذلك منه . واما الآن فيكفينى ان اوصيك به خيرا ، واذا انتهيتما من تلك المهمة فارجع به الينا ، فانى اكره ابن ملجم الذى يريده ابنى خطيبا لى . هل فهمت ؟ »

فضحك بلال وهز رأسه ولسان حاله يقول : « فهمت »

فقالت : « سر فى حراسة الله ، وكنت اود ان ازيدك بيانا ، ولكن الوقت ضيق فاذهب وعد سالما باذن الله ، واحذر ان تبوح لاحد بما سمعته او رأيته »

فخرج وهو يلتفت اليها كانه عاتب على ما ظهر من ضعف ثقتها بامانتها ، ولكنه كان فرحا بما كلفته به ، فاعد الجملين وخرج الى سفح المقطم وصحب سعيدا كما تقدم



ولما خرج بلال عادت خولة الى غرفتها ، وغلقت الباب واستلقت على فراشها وقد تعبت مما قاسته فى ذلك اليوم من المشاق ، وكان قد هم بها النعاس لولا ما شغل ذهنها من عظام الامور ، وما تخلل ذلك من شعورها بالميل الى سعيد ، ولولا الحياء واهتمامها بانقاذ الامام لصرحت به . وذلك لما آتست فيه من الرغبة فى انقاذ الامام على ، مع ما فى قلبها من النور السديد.

من ابن ملجم حتى كرهت أباهما من أجله ومن أجل تشييعه للأمويين
 قضت بقية ليلها لم يغمض لها جفن ، وهي تفكر في سعيد ، وقلوبها
 يخفق ميلا إليه وخوفا من فشله في مهمته . فجعلت تقدر الوقت اللازم
 لسفره الى الكوفة فرأت أنه اذا أسرع لا يفوته الوصول اليها قبل الأجل
 المضروب للقتل . وكان يعترض مجرى افكارها خوفها مما قد يطرا عليه في
 الطريق فيعيق وصوله فترتعد فرائصها فرقا على حياة الامام . وفي قتله
 ضربتان كبيرتان : الاولى موته ، والاخرى عودة ابن ملجم اليها . ولكنها كانت
 تتعزى بأن ابن ملجم اذا ظفر بقتل الامام لا ينجو من القتل . ثم تحول ذهنها
 الى ابيها وخروج عبدها بالجميل ، واعدت اعدارا تنتحلها في سبب خروجه
 فلم تجد خيرا من أن تدعى فراه الى حيث لا تعلم
 وكان ابوها قد اخفق في أثناء الليل وهي غائبة فجاء غرفتها ليراها فوجد
 الباب موصدا فسأل العبد عن ذلك فقال : « ان سيدتي استولى عليها الخوف
 على غير المعتاد فأوصدت الباب وأوصتني بأن أنام خارجا »
 فقال ابوها في نفسه : « مسكينة خولة ان رعبها من ذلك الحبس لا يزال
 مؤثرا فيها » . وعاد الى فراشه وهو مصدق ما قاله العبد
 وفي الصباح جاء الغرفة فرأى الباب لا يزال موصدا ولكن بلالا ليس امامه
 فقرعه فنهضت خولة وفتحته وهي تتظاهر بالذبول لطول استغراقها في
 النوم . فأمسكها بيده الواحدة ووضع الاخرى على كتفها وهو يقول :
 « لعلك لا تزالين خائفة يا بنية ؟ »
 قالت : « كلا يا سيدي اني تحت جناحك في امن وطمأنينة »
 فقال : « بورك فيك تعالى تناول الطعام » . ثم نادى بلالا فلم يجبه أحد
 فقال : « اين بلال ؟ »
 فقالت : « لا أدري لعله ذهب الى السوق »
 فانتظر هنيئة فلم يجيء ، فأرسل خادما في اثره فلم يقف له على خير
 ثم علم بضياح الجميلين ولما انقضى معظم النهار ولم يعد بلال ولا الجمelan أشكل
 عليه أمره ، فقالت خولة : « يظهر أنه اخذ الجميلين وفر » . فبعث اناسا في
 اثره الى ضواحي المدينة فلم يأتهم أحد منهم بخبره ، فصدق أنه فر



اما خولة فلما تحققت انطلاء الحيلة على ابيها عادت الى هواجسها وتذكرت
 المهمة التي ذهب فيها سعيد ، وأخذت تفكر في أمره وهي خائفة ان يتأخر في
 الطريق عن الوقت المضروب لقتل الامام فيذهب سعيها هباء منثورا ، ولكنها

كانت مع ذلك فرحة لنجاتها من ابن ملجم ، لعلها انه ان فاز يقتل الامام علي فلا ينجو من سيوف اشياعه وهم كثار في الكوفة . ولكنها شغلت من ناحية اخرى بسعيد بعد ان انتهت من تدبير سفره ولم تكن واثقة من وقوعها من نفسه مثل وقوعه من نفسها وتمنت لو يعود عبدها بلال ليطمئن قلبها ، على انه لم يكن قد ازف زمن رجوعه بعد فصبرت على مضض تترقب أحداث القدر

وجاء أبوها ذات مساء بعد عودته من حانوته وعلى وجهه سيماء البشر وقرأت فيه خبرا جديدا ، فأخبت أن تعرف كنهه . فلما جلسا الى الطعام احتالت على استطلاع حديثه فذكرت له أمر العلويين والقبض عليهم وتفتنت في استرضائه ، فابتسم وانقاد الى الكلام مع ما هو فيه من الالتئام بالطعام ، وكانها أدركت ما في ضميره فتوقفت عن طعامها تنتظر حديثه ، فالتفت اليها وقال وهو يبتسم : « لقد عودتنى يا خولة أن أحاذر في الكلام معك فيما أخشى افشائه »

فاستغربت وقالت : « انى لأعجب يا ابتاه من سوء ظنك بى ، فانا فتاة متحجة في هذا البيت لا أعرف من أهل الدنيا أحدا سواك ، فكيف تقول أنك تحاذر أن تذكر أمامى ما تخاف افشائه . أى سر بحت به الى فافشيته ؟ » . قالت ذلك وهمت بأن تتباكى

وعاد هو فابتسم وقال : « لم أقل أنك تبوحين بالسر ولكن ... » . وسكت

فقالت : « ولكن ماذا يا ابتاه ؟ أنك تظلمنى بظنونك ، ويسوءنى الا يكون لى نصيب من الثقة حتى ولا من أبى الذى لا أعرف أحدا سواه »
قال : « لا أخفى عليك يا ابنتى اننى كنت ولا ازال أعتقد أنك ميالة الى الأعداء و »

فابتدته وقالت : « وأى أعداء تعنى ؟ . أعوذ بالله من هذه التهم ! كيف تقول ذلك ؟ ! » . وتنتحت عن المائدة وأعرضت عن الطعام

فقال : « انى الحظ ميلك الى العلويين ، وأنت تعلمين أن عليا حاربنا وقتل جماعة منا في النهروان وغيرها . ولا ألومك على ميلك اليه ، لأننى كنت أنا ايضا مثلك في جلة المتشيعين له ، ولكنى أصبحت بعد وقعة صفين ناقما عليه لما ارتكبه في مسألة الحكمين بحيث أخرج الخلافة من يده وجعل لمعاوية بدا فيها »

فأدركت انها اذا اقترت بحقيقة ميلها القت نفسها في تهلكة ، فلم تر خيرا من الإنكار فقالت : « وما أدراك انى باقية على الراى القديم ، فانك ان كنت انت انحرقت عنه فمن أكون أنا حتى أخالفك فيه »

قال : « لو لم تكوني على هذا لما تمنعت عن زواج ابن ملجم وانت تعلمين ان هذا الرجل قد عاهد نفسه على القيام بفعل لم يقدم عليه أحد من المسلمين في هذا العصر . فقد صمم على قتل علي »

فاجفلت عند سماعها ذلك التعريض وحدثتها نفسها بان تبوح بحقيقة ميلها ولكنها خافت ضياع الفرصة وهي انما افتتحت الحديث لتستطلع ما في نفس ايها ، فانكرت التهمة كل الانكار وقالت : « ان ما تنسبه الي من امر ابن ملجم ظلم يا مولاي ، فاني لم ارفض الرجل وهو خطيبي متى عاذ من رحلته هذه . وكيف تقول اني لم أقبله وأنا لم افه بكلمة في هذا الشأن ؟ »

فضحك ابوها وهو يتشغل بتقطيع فخذ من الضان بين يديه ، وقال : « نعم انك لم تفوهي بكلمة ، ولكنني أدركت من يحمل حالك انك غير راضية به » . وكان قد اتم بتقطيع اللحم فقدم لها قطعة فابت ان تتناولها وأعرضت دلالا وحنقا

فقال لها : « خذي كلي ياخولة ولا يسؤك كلامي »

قالت : « انما ساءني لانني اراني مظلومة واظنك عاملتنى معاملة العدو فحبستني في ذلك البيت المظلم بناء على هذه الظنون »

قال : « لقد اذكرتني حديث تلك الليلة وما كان فيها من الاحوال ، وهو الامر الذي جئت لأقص خبره عليك ، ولكنني لا اقول كلمة قبل ان تصدقيني الخبر : هل انت على ولاء ابيك تأتمرين بأمره . أم ماذا ؟ »

فتغاضبت وقالت : « اني أراك تخرجني وتلجئني الى الانحراف عن دعوتك بما تشير علي من الظنون وأنا لا ابغي من هذه الحياة غير مرضاتك »

فمد يده وهو لا يزال قابضا على قطعة اللحم وقال : « خذي اذن هذه اللقمة وأصفي لما أقوله لك »

فتناولتها من يده وقالت : « قل » . ووضعت اللقمة في فمها وهي لا تمضغها لانشغال ذهنها بما ترجو سماعه فقال : « اعلمي ياخولة ان اميرنا حفظه الله علم بقدوم رجلين اتيا من الكوفة للاجتماع ببعض كبار العلويين الذين كانوا يجتمعون سرا في خرائب عين شمس ، فبعث جندا من شرطته فقيض عليهم في مجتمعهم تحت الارض . ألم تسمعي بهذا ؟ »

قالت : « عرفت بعض خبره بعد حدوثه »

قال : « فاعلمي اننا وجدنا بين المقبوض عليهم في تلك الليلة واحدا من ذينك الاثنين اسمه عبد الله . وأما الثاني فقد نجا ، ولا ندرى من هو ، ولعله لم يشهد الاجتماع . أما الاول فساقوه مع من سبق تلك الليلة الى دار الامارة وقد يكون وقع اليك ان « الامير رأى ان يقتل أولئك المتأمرين ، وكنت أنا ممن أشار عليه بذلك مخافة الفتنة اذا ظلوا أحياء . فأمر عمرو باغراقهم في النيل

وعبد الله معهم ، وقد عدت أنا من حضرة الامير وهم يتهيأون لارسالهم الى النبل وعلمت في اليوم التالي انهم أغرقوهم »

فلم تر خولة في حديثه شيئا لم تكن تعرفه ، ولسكتها رأت ان الحديث لم يتم فصبرت وتظاهرت بخلو الذهن من هذا الموضوع الغريب

أما هو فقال : « وقد كنت أعتقد انه أغرقهم جميعا حتى كان اليوم وأنا في منزل الامير فرايت في بعض جوانبه عرفة مقفلة كنت كلما جئته أراها مغلقة فلم أهتم بشأنها ، فلما كان عصر اليوم دخلت على الامير وأنا عائد من عملي ، فذكرت له امر ابن ملجم ومهمته وطفقنا نتحدث فيما عسى ان يكون من أمره في الكوفة ، فلما وصلنا الى ذلك رأيت به يتسم ، وتوسمت في وجهه خيرا فرغبت اليه ان يطلعني على ما حدث ، وأنت تعلمين ما لي من الدالة عليه . فتردد اول الامر ، فألححت عليه فقال لي : « اتعلم من هو المقيم بهذه الغرفة ؟ »

قلت : « لا يامولاي ، لا أعلم ، وليس من شأني السؤال عما في منزل الامير » فضحك عمرو حتى رقصت لحيته وقال : « اني حبست فيها رجلا سينقذ حياتي من القتل »

فعجبت لقوله واستغربت ما يشير اليه ، ولبيت انتظر الافصاح فقال لي : « اعلم يا صاحبي اني حبست في هذه الغرفة عبد الله الاموي الذي كان قدومه سببا في قتل العلويين منذ ايام »

فلما سمعت خولة ذكر عبد الله علمت انه رفيق سعيد ، وخفق قلبها فرحا بنجاته ، ولسكتها استغربت سبب تلك النجاة ، على انها ظلت متجاهلة تتوقع سماع تمة الحديث ، وأبوها يتشاغل عن اتمامه بالمضغ والبلع ، وكان أكو لا

فلما خلا فمه من الطعام عاد الى الحديث فقال : « فاستغربت كلامه وسألته عما عساه ان ينجيه من الموت ؟ فذكر لي ان صاحبك ابن ملجم خطيبك هر أحد المتأمرين على قتله أيضا مع علي في يوم واحد ، وأنه سمع ذلك من عبد الله هذا فلم يصدق قوله لغرابته وأساء به الظن لعلمه ان ابن ملجم من رجال دعوتنا ، ولكنه لم يسهه الا أن يستبقيه ويحبسه في منزله ريثما يأتي الاجل المضروب لقتل علي وقتله وهو يوم ١٧ رمضان ، فاذا تحقق صدق قوله أفرج عنه والا ضرب عنقه . فلما سمعت ما قاله الامير استغربته كل الاستغراب وخفت ان يكون قد أساء الظن بي ، فأقسمت له الايمان المظلة اني لم أكن عالما بغير عزم ابن ملجم ، وسألته هل عرف اسم الرجل الآخر الذي تمهد بقتله فذكر لي ان الاموي الاسير لا يعرف الاسم »

قالت خولة : « وماذا تنوي ان تصنع ؟ » . قال : « الحق يا ابنتي انني لم ادر كيف اؤكد للامير صدقي واخلاصي بخافة ان يبقى على سوء ظنه بي ، فبالغت في اظهار الغضب من ابن ملجم ، وقلت له : (اني لو عرفت خداع الرجل ما رضيت به صهرا ، وأنا منذ الآن مانعه من خولة) . ولما قلت له ذلك

التفت الى وقال : (لا يكفيني هذا الوعد وأنا أعرف خولة وأعرف مقامها ، وطالما كنت أريدها لأحد أولادي ، وأما الآن فاني أطلب اليك اذا صدق هذا الاموى في قوله ان تكون ابنتك خولة عروسا له ، لان الرجل اموى وكان على دعوتنا حتى أغراه بعض الناس بالتشيع لعلى) . . »

فلما وصل الى هذا الحد علمت خولة ان عبد الله لا يزال حيا ، واطمأن قلبها وادركت انه لم يذكر اسم المتآمر الثالث على قتل معاوية مخافة ان يرسل عمرو بخبره الى الشام فينجو معاوية منه

ولكنها لما سمعت ذكر خطبتها له اطرقت حياء وسكتت وقلبها يختلج فرحا بنجاتها من ابن ملجم ، ثم تذكرت حبها سعيدا وما بعثت به اليه مع عبدها بلال ، فاحتارت في أمرها على انها لم يسمعها الا كتمان كل ذلك والتظاهر بالاستغراب فقالت وهى تهز رأسها استغرابا : « اصحيح أنهم تأمروا على قتل عمرو أيضا انها لمصادفة غريبة ؟ »

قال : « حقا انها لمصادفة نادرة ، ولكن ما قولك في اقتراح عمرو ؟ » فسكتت ولم تجب

فقال : « ما معنى سكوتك وانت تعلمين اننا لانستطيع رد ذلك الاقتراح ؟ » قالت : « دع هذا الآن ، فانه ليس بالامر المهم ، وما خولة الا جارية حقيرة لاتستحق هذا الاهتمام ، ولنصبر الى الاجل المسمى لترى ما يكون »

فقال : « اننا صابرون ، وأرجو ان يكون خطيبك الجديد اهلا لك وليس مثل ابن ملجم الخائن ، على انى ادركت من خلال حديث عمرو ان عبد الله رجل كريم ، وهو اموى ربي في منزل الخليفة عثمان ، ولكنهم أغروه بالتشيع لعلى ، ثم عاد الى ما كان عليه . وأذكر انى رأيته ليلة قبضوا عليه فاذا هو شاب في مقتبل العمر واظنك سترتاحين اليه »

فظلت خولة ساكنة ، فحسب والدها سكوتها قبولا فسكت ، وكانا قد فرغا من الطعام فنهض ونهضت خولة ففصلت يديها وذهبت الى غرفتها وهى تفكر فيما سمعته من ايها وتحسب نفسها فى حلم



فلما خلت بنفسها تذكرت سعيدا وحبها له فتغاذفتها الهموم ، وهى تخاف ان يحملها عمرو على الاقتران بعبد الله قبل ان تعلم مصر سعيد ومهمته فى الكوفة ، وقد أعجبت بدهاء عبد الله لانه باح بخبر المؤامرة على قتل عمرو وكنم امر المؤامرة على معاوية ، ولكنها خافت الا تتم نبوءته فلا يأتى القاتل فى الاجل المعين فيقتله عمرو . وكانت اذا تصورت صدق نبوءته ونجاته من القتل يخفق قلبها لاضطرارها عند ذلك الى قبوله زوجها لها وهى تحب سعيدا ،

فهلجت اشجانها واربتكت في أموها ، وجعلت تبحث عن سبيل تنجو به من هذا التردد فلم تر خيرا من الصبر والنزول على حكم القدر
 اما عبد الله فكان قد جنح الى هذه الحيلة خوفا على حياته ، وكان يخشى ان يتأخر المتعهد بقتل عمرو عن المجدى لسبب من الاسباب فيذهب سعيه عبثا

وظل عمرو اياما لا يخرج للصلاة ، فلما كان فجر ١٧ رمضان شكى الما في بطنه فلم يخرج ، واتفق خروج خارقة بن ابي حبيبة صاحب شرطته للصلاة وهو لا يعلم بخبر المؤامرة ، ولم يأمره عمرو بالخروج ولو علم بخروجه لنعه ، على انه لم يكن يحسب ان القاتل يأتي لقتله في الفجر وهو يصلى ، بل كان يحسب انه سراقب خروجه في اثناء النهار في بعض شؤنه . ولكن منية خارقة عاجلته فخرج فجر ذلك اليوم الى الجامع ليصلى بالناس ، ولم يكد يبدأ بها حتى هم به رجل من الوقوف وهو يحسبه ابن العاص فضربه بالسيف فقتله فقبضوا عليه وساقوه الى عمرو . فلما رآه عمرو بغت وصاح به : « وبلك قد قتل صاحب شرطتي قتل خارقة بن ابي حبيبة » . فأجابه الرجل بقلب لايهاب الموت : « والله انى كنت أحسبه أنت »

فقال له عمرو : « اردتنى واراد الله خارقة . من أنت يا غادر ؟ »

قال : « عمرو بن بكر » . قال : « ومن أنت ؟ » . قال : « من تميم »

فقال : « اقتلوه » . فقتلوه ، وقد حزنوا لمقتل خارقة ولكن ما قدر كان اما خولة فانها باتت ليلة ١٧ رمضان على مثل الجمر وهى تتوقع أن تسمع خبرا جديدا في اليوم التالى ولم تكن تتوقع أن يفعل الفادر فعلته في الفجر فاصبحت وقد ضجت الفسطاط بخبر خارقة وجاءها ابوها فأخبرها به ولسان حاله يقول : « لقد صحت أقوال عبد الله فتأهبى للاقتران به »

تحققت وقوع المحذور ولم تعد تدرى ماذا تفعل وندمت لانها لم تفادر بيت ابيها سرا قبل ذلك اليوم على انها لم تكن من الجهة الاخرى موقنة من ان سعيد يبادلها ودا بود ، فانها لما لقيته في الفسطاط لم تتحقق ميله اليها . فوقع في حيرة ولكنها كانت مع هذا في قلق على الامام على لا تدرى هل نجا كما نجا عمرو ام ذهب فريسة ابن ملجم وتمنت لو ان عبدها يعود في ذلك اليوم بالخبر اليقين

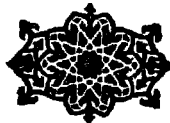


تركنا سعيدا وبلالا في الكوفة وقد اخذ الاخير يتأهب للسفر الى الفسطاط ، واخذ سعيد يفكر فيما يفعل بعده وكان هو الذى أمره بالذهاب الى الفسطاط ليعود اليه بالنبا اليقين عن عمرو . ثم رأى انه قد يطول به الانتظار ولا صبر له عليه . فقال لبلال : « كنت قد امرتك بالذهاب الى الفسطاط ، ولكنى أرى

اجل عودتك بعيدا فلماذا رايت ان اذهب الى دمشق لانتظرك بها ، على أن
توافيني الى مسجدها بعد عشرين يوما ، وسواء اتمكنت من الفتك بقطام أم
لا ، فأننى سأعرف هناك مصير معاوية »

وسافر بلال ، وصبر سعيد الى الغد ثم خرج قاصدا بيت قطام فراه
مقفرا من اهله ، فوقف عند باب الحديقة يتأمل نخلاتها وطرقاتها ويفكر فيما
مر به هناك من الاحداث وما انطلى عليه من مكر قطام غير مرة ، وتذكر آخر
مرة زارها في ذلك المنزل ومعه ابن عمه عبدالله فازداد ميلا الى الانتقام منها .
وفكر في المكان الذي عساها ان تكون قد ذهبت اليه ، فخطر له ان تكون قد
سارت الى اهله في جوار الكوفة ، فمضى للبحث عنها هناك ، ولكنه لم يقف
لها على اثر ، فمل البحث وخاف ان ينقض الاجل الذي ضربه لبلال كيما يوافيه
هذا في دمشق ، ولاح له ان قطام قد تكون سافرت الى دمشق لتلتجئ الى
معاوية بعد ان نجحت في قتل الامام على منافسه ، فحزم امره وقصد الى
دمشق على ناقه تسابق الرياح

اما قطام فكانت قد علمت من ريحان بقدومه في الليلة التي وصل فيها الى
الكوفة ، اذ عاد اليها ريحان واخبرها بما دار بينه وبين بلال عبد خولة ،
وحكى لها ما فضحه هذا من سره وكيف كان سببا في انكشاف امره لدى سعيد
فلم يعد يصدق له ولم يرض المجيء معه الى بيتها ، فحنقت على بلال وعلى
سيدته خولة ، وشعرت مع كرهها لسعيد بالخيرة تاكل قلبها من اجل علاقته
بخولة ، ولا سيما ان هذه كانت عوناً على عرقلة مساعيها لقتل الامام على ،
فأضمرت لها السوء ولكنها شغلت عنها تلك الليلة بما كانت فيه من انتظار
الفتك بعلى . وكان ابن ملجم باثنا عندها . فلما كان الفجر خرجت هي
وعجوزها وعبدها ، وضربت قبتها في المسجد كما تقدم . وفي ذلك من الجراة
ما فيه ، ولم تكن تخشى كشف حيلتها لما دبرته من ارسالها لبابة المحتالة
بالصك بعد تغييره الى قنبر حاجب الامام



نجاة معاوية

قتل الامام علي ، ورات قطام انه قد قبض على ابن ملجم كما توقعت فسارعت الى الفرار بعبدتها وعجوزها الى مكان خارج الكوفة ، وقد شفت حرازة صدرها بقتل الامام . ولكنها بقيت نائمة على سعيد وزادت نعومتها بعدما علمته من امر خولة ، فعزمت على الذهاب الى الفسطاط ، لتشي بها الى عمرو ابن العاص لاعتقادها انه لا بد مقدر لها ما انبأته به عن سر اجتماع العلويين . ولم يخامرها شك في نجاح وشايتها بخولة ، لانها من انصار علي ، فيقتلها اذا كان هو قدسلم . اما اذا كان قد قتل ، فانها لن تعجز عن تدبير حيلة اخرى . واستشارت لبابة فيما عن لها فاستحسن رأيا ، وحسنت لها المسير الى الفسطاط . واستشارت ريحان فقال لها : « اني في ركابك ، اينما توجهت » . فأننت على غيرته ، واصبحت في اليوم التالي قاصدة الفسطاط على ان تمر بدمشق وتستطلع حال معاوية وما كان من امره بعد ١٧ رمضان . فاذا كان قد قتل ، فتحمل الخبر الى عمرو ، وتحرضه علي طلب الخلافة لنفسه

فلما وصلت الى دمشق سمعت ان رجلا اسمه البرك بن عبد الله التميمي الصريمي ، قعد لمعاوية في فجر ١٧ رمضان في مسجد دمشق . فلما خرج معاوية للصلاة شد عليه بالسيف فوقع السيف في البيت . فلما اخذوه اليه قال له : « ان عندي خبرا اسرك به ، فهل يتفعلنى ان انبئك به ؟ » فقال له معاوية : « نعم »

قال : « ان اخا لي قتل عليا هذه الليلة »

فقال : « لعله لم يقدر على ذلك »

قال : « ان عليا ليس معه احد يحرسه . فلا بد ان يكون قد قتله »

فامر به معاوية فقتل ، ومضى هو يطيب جرحه

فلما علمت قطام بنجاة معاوية لم يبق لديها الا الشخوص الى الفسطاط للايقاع بخولة



اما عبد الله فلبث في سحنه بمصر وقلبه واجف لما يخشى من حبوط

المؤامرة . وقد خطر له أن يحتاط لذلك ، فلما باح لعمره بالسراشترط عليه الا يطلع احدا عليه لأنه اذا شاع وبلغ خبره التآمر فقد يعدل خطته ، فيقدم الميعاد أو يؤخره ، واقتنع عمرو بهذا ، فكنتم امر المؤامرة عن كل الناس حتى صاحب شرطته . اما أبو خولة فقد كان من أكثر الناس تقربا من عمرو ، واعظمهم غيرة عليه ، وكان عمرو يثق فيه ، على انه لولا رغبته في معاتبته على خيانة صهره ابن ملجم لما كشف له الامر

فلما كان ليل ١٧ رمضان أخذ القلق من عبد الله مأخذا عظيما لعلمه انه أصبح بين الحياة والموت . فلما كان الصباح وهو في سجنه يطل من كوة ليرى او يسمع ما يجري وصل الى اذنيه لفظ لم يفهم منه شيئا صريحا ، فانتظر حتى جاءه الحارس بالطعام على عادته ، فعلم منه ماحدث ، فاطمأن . وبعد العشاء جاء أحد رجال عمرو الى السجن فحل قيوده ودعاه الى مجلس الامر ، فمشى في أثره وهو يرى نفسه قد خرج بذلك من عداد الاموات . فقاده الرجل الى قاعة جلس فيها عمرو بن العاص على وسادة ، وفي يده درة (سوط) يلاعبها بين اصابعه ، وليس في القاعة احد سواه . فلما اشرف عبد الله على القاعة نزع حذاءه ودخل توا الى مجلس الامر وهم بتقبيل يده ، فأمسكه ابن العاص بيمنه وأجلسه الى جانبه وهو يقول بصوت منخفض : « لقد كانت نجاتنا على يدك فحق لك علينا التكريم ، ولكن وقع صاحب شرطتنا في الشرك الذي كان منصوبا لنا ، ولو علمنا الساعة أو المكان المعين لتلك الفعلة الشنعاء لاستطعنا تداركها ، أو لاطلعت خارجة على سر الامر فربما كان نجا بنفسه ، ولكني لا أظنه كان يستطيع ذلك وهو لا يعلم الزمان والمكان المعينين »

فقال عبد الله : « ان حياتي كانت رهنا ببقاء الامر سرا ، ولو أنه شاع لغير الغادر خطته تأخيرا أو تقدما ، وكنت انا المقتول الآن بدلا من خارجه ، لأنك كنت تسيء الظن بى فتقتلنى »

ولم يتم كلامه حتى دخل خادم يقول : « ان أباخولة بالباب » . فقال عمرو : « ادخلوه »

فدخل أبو خولة ولم يكن من مصاف الامراء ولا من القواد الانداد حتى تكون له تلك المنزلة عند عمرو ، ولكنه نال الخطوة عنده عندما اطلعه على عزم ابن ملجم على قتل على . وظل يتردد على دار عمرو ويبدل وسعه في خدمته حتى عده عمرو من أصحابه

فلما دخل أبو خولة القاعة حيا ، وقبل أن يجلس قال له عمرو : « اغلق الباب ، ومر الخدم الا ياذنوا لاحد » . ففعل ودخل . فدعاه عمرو الى جانبه وعرف اليه عبد الله ، فأعجب أبو خولة به لأنه كان شابا جيلامع نباهة وذكاء . وسر لما دبره عمرو من مصاهرته له . واما عبد الله فكان خالي الدهن من كل هذا

فلما جلس الثلاثة التفت عمرو الى عبدالله وقال له : « لقدعرتك بصاحبنا
أبى خولة ، وأزورك علما أنه من أمر أصدقائي ، وقد كتبت أمر المؤامرة عن
كل أحد سواه ، ولكنني اشترطت عليه شرطا أظنه يعود عليك بالنفعة ، وقد
فعلته مكافأة لك على خدمتك لى »

فوقف عبد الله متأدبا وقال : « أياذن لى مولاي فى كلمة ؟ »
قال : « قل » . قال : « لا تحسب أبها الأمير أن لى فضيلا بما بحث لك به ،
فانى والحق يقال انما فعلته استبقاء لحياتي ، فلا تظننى اخذك أوأخد نفسى »
فأعجب عمرو بصراحة عبد الله وقال له : « لم تزدنى بما قلت الا رغبة فى
مكافأتك ، ان ابن العاص لا يجهل قدر الرجال وليس من السذاجة بحث
لا يدرك أنك لو لم تقع فى يده وتشعر باخطر على حياتك وبلا نجاة لك بغير
افشاء ذلك السر ، ما أقدمت عليه . ولكنى مع كل ذلك أقدر جيلك ، وأريد
مكافأتك . وقد رأيت من صدق قولك ما أكد لى أنك لو كنت من أنصارنا
لكان لنا بك نعم النصير ، وأنت أموى على ما علمت فليس تشيعك للعوليين
معقولا » . قال ذلك وفى صوته غنة استفهام كأنه يستفهم عن سبب تشيعه
فسكت عبد الله . فقال عمرو : « ولكنك لم تسألنى عن المكافأة التى أعدتها
لك »

قال : « قلت انى لا استحق مكافأة »

قال عمرو : « امتزوج أنت ؟ »

قال : « كلا يا مولاي »

قال : « اذن فاعلم ان فى الفسطاط فتاة تتحدث بجمالها وتعقلها اهل هذه
المدينة ، وهى ابنة صاحبى هذا (وأشار الى أبى خولة) . ولا أخفى عليك
انها كانت مخطوبة لعبد الرحمن بن ملجم ، وهو أحد المتآمرين على قتلى وقتل
على بن أبى طالب ، ولا ندرى ما كان من أمره اليوم فانه الموعد المضروب »
ولما قال عمرو ذلك تذكر عبد الله ما كان قادما من اجله مع سعيد وكيف
فشلت مهمتهما فاتقبضت نفسه ولكنه تجلد وصبر الى آخر الحديث

فاتم عمرو كلامه قائلا : « ان خولة هذه كانت مخطوبة لابن ملجم ، على ان
يتزوجها بعد عودته من الكوفة ، ولا ريب ان ذلك الخائن كان عالما بتواطؤ عمرو
ابن بكر على قتلى فكتم ذلك ، وسار ولم يطلعنى على شيء منه ، ولهذا عدته
شريكا فى قتلى ، فحرمته من خولة ، ولئى دالة على أبيها لانها بمنزلة ابنتى ،
وقد خطبتها لك منه ، ومتى رأيتها تحققت ان قد ازوجناك زهرة الفسطاط
وخبر بناتها » . ثم التفت عمرو الى أبى خولة وقال : « ولا تظننا فرطنا فى
خولة ، فان هذا الشاب من سلالة الامراء ، ويكفى انه أموى وبينه وبين الخليفة
معاوية نسب قريب . أما الخائن ابن ملجم فان عاد الينا فلا أبقانى الله ان أبقيته
حيا . ولكننى لا أظنه الا مقتولا فى دار ابن أبى طالب فاز فى مهمته ام لم يفر » .

قال ذلك والغضب باد على وجهه ، فعزح عبد الله بما ناله من الخطوة في عيني عمرو ، وارتاح لما سمعه عن خولة ، ولكنه بقي قلقا على ابن عمه سعيد ، وما كان من أمره يعد أن فارقه في مسجد القسطنطين يوم اجتماع عين شمس . وحديثه نفسه أن يسأل عمرا عنه مخافة أن يكون وقع في أيدي رجاله ، ولكنه لبث ساكنا يتردد ، وقد نسي اقتراح عمرو . فظنه عمرو غير راض فقال : « ما بالك لم تجيب ؟ لعلك لم ترض بخولة ، والله اني ارضاها لأعز أبنائي »

فابتدره عبد الله قائلا : « عفوك يا مولانا ، كيف لا ارضى بما رضيته انت لى ؟ وما سكوتي الا لانى حسبت اقتراح الامير أمرا نافذا لآخر لى فيه ، على انى أرجو أن تسألها هى رأيها فى الزواج بغريب مثلى » فقال ابو خولة : « ان خولة جارية مولانا الامير ، وما يرضاه لها لامندوحة لها عنه ، وأنا وهى طوع ارادته »

واستولى السكون عليهم لحظة ، ثم التفت عمرو الى عبد الله فقال : « كنت اظنكما اثنين جثما معا الى القسطنطين ، ولكننى لم أر سواك »

فاضطرب عبد الله ، ونظر الى عمرو وقال : « هذا هو الامر الذى شغل بالى فى أثناء حديث مولاي . أن رفيقى هو ابن عمى ، وقد جننا معا الى هذه المدينة ولكننى يمت عين شمس وحدى وتركته فى المسجد على أن استطل المكان وأعود اليه ، فقبضوا على ولم أعد أعرف شيئا عنه الى الآن . فهل عثر الشرطة به فقتلوه ؟ »

قال عمرو : « لم أسمع عنه شيئا ، ولا أخبرنى أحد بخبره ، فقد يكون نجا بنفسه لما سجع بما وقع لكم فى ذلك الاجتماع »

فهذا روع عبد الله ، ولكنه ظل مشتاقا لاستطلاع حال سعيد وتمنى أن يسير توا الى الكوفة فيستطلع كل شيء ويتحقق ما وقع للإمام على ، ولكنه خجل من ابداء رايه هذا لعمرو ، ورأى أن يتظاهر بالرغبة فى السفر للبحث عن ابن عمه فقال : « لقد أوضحت لمولاي ما انا فيه من القلق على ابن عمى هذا ، فهل يأذن لى الامير بالذهاب الى الكوفة لاستطلاع حاله ثم أعود ، وأكون فى خدمتك الى الممات فقد أوليتنى جيلا لا انساه ؟ »

قال عمرو : « يكون ذلك بعد عقد قرانك بخولة ، حتى اذا صرت من اصهارنا ، كان لك أن تسير الى حيث شئت »

وكان عمرو لدائه وحسن سياسته قد أدرك أن رجلا حرا صادقا مثل عبد الله لا يفرط فيه . لانه اذا اخلص الخدمة كان نفعه عظيما . فلم ير لى يقبده خيرا من أن يبادئه بالجميل ، وأن يزوجه ابنة صاحبه وهو بحسب خولة على دعوته فتجيب اليه الرجوع الى حزب الامويين . ولم يكن يعلم أنشد هل نجح ابن ملجم فى مهمته بالكوفة أم لا . فلما اقترح على عبد الله عقد قرانه قبل السفر ، قبل عبد الله وأطاع ، فضرب عمرو أجلا لذلك وقال :

« تقيم عندنا في أثناء ذلك ضيفا كريما ، فاذا آن الزمن عقدنا لك على خولة
ثم تنصرف للبحث عن ابن عمك »

فوقف عبد الله بين يدي عمرو بهم بتقبيل يده وقال : « لقد غمرني فضلك
ولست بمستطيع أن أفي يدك على حقها » . وأستاذن في الخروج فأذن له

وخرج أبو خولة أيضا وهو يكاد يطير فرحا لما رأى من خلق عمرو . وسره
المخيط الجديد لابنته ، فسار توا إلى المنزل وكانت خولة جالسة هناك على
مثل جمر الغضا تتقاذفها الهواجس بعد أن تحققت نجاة عمرو وعلمت بما
فرضه من زواجها بعبد الله . بينما هي تؤثر البقاء على حب سعيد وهو أول
من وقع في نفسها مع عدم نفورها من عبد الله ، فلما كان المساء وأبطأ أبوها في
العودة إلى البيت قلقته ولبثت تنتظره بفارغ الصبر لعلمها أنه لا بد من مروره
بعمره على أثر ما كان من نجاته في ذلك اليوم . وحسبت لابطائه ألف حساب .
وأخوف ماخافته من ذلك الإبطاء أن يكون سببه البحث في أمرها وأمر عبد الله
وهي لا تريد ذلك



فلما انقضى العشاء ومضى بعده ساعتان سمعت قرع الباب فأسرعت دقات
قلبها وعلت وجهها صفرة الوجل ، وظلت مستلقية على الوسادة في حجرتها ،
وما لبث باب الدار أن فتح . فاتجه أبوها توا إلى غرفتها فقرع الباب فنهضت
لتفتح له وركبتها تصطكان من الاضطراب . فدخل والمصباح في يده فوضعه
على مسرجة وجلس إليها وعلى محياه أمارات البشر والسرور ، وهو يحسب
أن قد جاءها ببشرى عظيمة . فراها مضطربة الحواس قلقة الخاطر رغم
تجلدها ، فقال لها : « ما بالك يا بنية ما الذي أزعجك ؟ »

قالت : « لم يزعجني شيء ، ولكنني قلقته لغيابك وأنا وحدي في هذا البيت
لا أرى فيه أحدا غير الخدم »

قال وهو يتسهم : « لقد دنا الوقت فلن تكوني وحدك بعد الآن »

فجاءه لمراده وقالت : « يظهر أنك علمت بما أقاسيه من الوحدة فعزمت
على ألا تتركني وحدي ؟ »

فضحك لسذاجتها وقال لها : « ليس هذا قصدى يا خولة ، ولكنني أذكرك
باعتراح الأمير الذي أطلعك عليه منذ بضعة أيام ، فإنه قد تم اليوم بعد أن
صدق قول عبد الله الأموي ، فجمعني عمرو به الليلة في داره ، فرايته شابا
جيلا عليه مهابة الأمراء ، تتجلى الشجاعة والانفة في وجهه . ويكفي أن الأمير
سحر به وبالع في إطاره أمامي . فهذا هو خطيبك ومتى عقد قرانكما لا تكونين
وحدك »

ولم يتم كلامه حتى صبغ وجهها حمرة الحجل وظلت صامتة ، ثم أخذ العرق ينسكب عن جبينها كاللؤلؤ المنثور وهي مطرقة لاتفوه بكلمة

ولم يكن الحجل وحده سبب اضطرابها كما ظن أبوها ، ولكنها أصبحت كريشة في مهب الريح حائرة بين أن تطيع عواطفها وبين أن تطيع أباه وأمرها . ولو أنها لم تبعث الى سعيد مع بلال بخبر حبها له لكانت المعضلة أيسر ، وقد علمت أنها اذا رفضت عبد الله رفضا باتا تغضب عمرا وأباه . وهي مع ذلك لاتدري مصير سعيد ولا ما آلت اليه مهمته بعد خروجه من القسطنطينية مع بلال ، ولم تر فرجا الا بالاضطراب فصبرت حتى يعيد أبوها السؤال فتستعمله اما هو فلما آنس فيها ذلك الاضطراب حله بحمل الحجل ، وهو أمر عادي في الفتيات في مثل هذه الحال . فوضع يده على شعرها المسدول على كتفها وقال لها : « لا تخجلي يا بنية ، ان أباك هو الذي يخاطبك ، وقد تم الامر على يد الأمير وهو شرف كبير لنا لو تعلمين »

فأجابت وهي مطرقة وقالت : « وهل ضرب لذلك أجلا ؟ »
قال : « لقد ضرب أجلا لذلك أسبوعا »

قالت : « فليكن ثلاثة أسابيع »

قال : « وما الداعي الى هذا التأجيل فاني أخشى ان يغضب عمرو فأطيعيني وعلى تبعه ذلك . فان عبد الله فتى قلما يجود الزمان بمثله ، واني بمصاهرته لفخور فلا محل للاعتراض » . قال ذلك وفي كلامه شيء من الخشونة على عادته معها اذا أصر على أمر . فخافت سوء العقبى اذا جادلتها فسكتت وأظهرت الارتياح . فلما رآها هكذا قال لها : « بورك فيك يا بنية ، بعد أسبوع تتم معدات الزواج »

فظلت مطرقة وقد عولت على اتخاذ وسيلة أخرى للتأجيل



الزفاف الكاذب

اما عبد الله فاخذ في البحث عن بيت يقيم به ، وبينما هو في ذلك جاءه بعض رجال عمرو واخبروه بان الامير قد امرهم بان يعدوا له منزلا في داره ضيفا عليه . فازداد عبد الله اعترافا بجميل عمرو ، وفرح لانه غريب لا يدري اين يذهب . وتبع الرجل الذي كلمه الى غرفة فيها فراش وغطاء وبعض الأتية ، وسأله الرجل : « هل تحتاج الى طعام ؟ » . فاعتذر وسار توا الى فراشه

ولما خلا بنفسه جمل يفكر في نجاته وصورة ابن عمه سعيد عالقة بذهنه لا تبرح ذهنه . على انه اطمأن على حياته ، وأحب أن يتم ما أتى الفسطاط لأجله ويعلم ما حدث للإمام على

وكانت ذكرى خولة تعترض تصورات واشتاق رؤيتها والتحدث اليها ، وقضى ليله هكذا

ولما أصبح سار الى المسجد فصلى وهو يتوقع أن يرى أبا خولة لعله يدعو الى منزله فيتيسر له رؤية خولة ولو خلسة . وكان أبو خولة قد مر بالجامع في ذلك الصباح عمدا ، فلقه فسلم عليه ودعاه الى العشاء فقال له : « اني في ضيافة الامير ولا يليق بي قبول الدعوة الا بعد استئذانه »

فقال : « أنا استأذنه عنك »

قال : « حسنا » . وافترقا . فمشى عبد الله في طرق الفسطاط واسواقها ، فمر ببيت خولة وهو لا يعرفه . وكانت خولة قد أصبحت في ذلك اليوم مضطربة قلقة ، فخرجت تمشي في الدار فوقع نظرها على عبد الله وهو مار ، ولم تكن راته من قبل ، ولكنها استنتجت من لباسه وقيافته وشبهه سعيدا انه هو عبد الله خطيبها ، فاختلج قلبها في صدرها ونفرت لأول وهلة ، ولكنها ارادت أن تتبين حاله فتفرست فيه وهو ماش فرأته معتدل القوام رشيق الحركة فارتاحت لرؤيته وسرت به لمشابهته سعيدا ولكنها ما لبثت أن نفرت منه لما تذكرت انه سيحرمها من حبيبها وما زالت تتبعه بنظرها حتى توارى ولم ينتبه

وعادت خولة الى غرفتها منقبضة النفس، وقضت نهارها لم تذوق طعاما .
ولما كان الغروب آن موعد مجيء أبيها ، وكان الخدم قد اعدوا المائدة له ولضيفه
وخولة لا تدري . وما عثم أن دخل الدار ، وسعل على عادته كأنه ينبه اهل
المنزل الى مجيئه . فتظاهرت خولة بارتياحها الى قدومه ولكنها تمارضت
ومالبت أن رات معه شابا عرفت أنه عبدالله فحقت قلبها وسادها الاضطراب،
وتوارت في حجرتها



واما ابوها فذهب بضيفه الى قاعة الضيوف ، واجلسه هناك ، وجاء الى
خولة فرأها مستلقية على الفراش، وقد امتقع لونها فنجفرت للنهوض وهي
تتظاهر بالضعف . فقال : « ما بالك ياخولة ؟ »

قالت : « لا شيء ، غير اني اشعر بانحطاط في قواي لا ادري سببه »
فدنا منها وهمس في اذنها قائلا : « شددى عزمك فقد جاءنا ضيف عزيز »
فاجابت متجاهلة : « مالى وللضيوف ؟ انى لا استطيع النهوض لمقابلة
الضيوف »

قال : « ان الضيف اصبح من انسبائنا ولا بأس من رؤيته نزولا على امر
الامير عمرو بن العاص »

فقالت : « ولكننى منحلة القوى . دعنى الآن وسأراه في فرصة اخرى
وانا في عافية ان شاء الله »

قال : « لقد كنت اظنك اكثر رغبة منى في رؤيته بعد ان ابلغتك امر خطبتك
له ، ايليق بنا الآن ان نظهر له الجفاء »

فتحيرت خولة ولم تدري بماذا تجيبه وهي تخشى غضبه لما تعلمه من سوء
خلقه وحقه ، فظلت صامتة

فأمسك بيدها وانهضها ، فوقفت مرغمة وسارت معه مطرفة ، فلما وصلا
الى باب الغرفة وقف وقال لها : « ضعى خمارك على رأسك وتسجعى واستقبلى
الرجل بما يليق بأمثالك ، لئلا يبلغ عمرا عنا ما يدل على عصيان أمره فيعضب »
فراحت خولة من الحكمة أن تتجلد وتصابر اشفاقا من غضب أبيها ، فحقت الى
خمارها فوضعت على رأسها وأصلحت هندامها وخرجت في أثر أبيها حتى
دخلوا على عبد الله

وكان عبد الله قد استنبطا مجيئها فحمله على محمل الخمر والدلال ، وازداد
شوقا الى رؤيتها ولو المأمة . فلما اشرفت على الغرفة وتبين جمالها واعتدال
قوامها انشرح قلبه وحمد الله على توفيقه بعد نجاته من الموت . فدخلت
وحيت بما يجدر بمثلها في مثل هذا المقام ، وجلست على وسادة بجانب أبيها

وكان عبد الله يسارقها اللحظ فلا يزداد الا اعجابا بها ، ولم تمض تلك الليلة حتى علق بها ووقعت من نفسه موقعا ساميا لما آتته من جلالها وذكائها وتعقلها في أثناء الحديث مما يندمر مثله في أمثالها من ربات المحدثين . فخرج مأخوذا بخولة



قضى عبد الله بقية الاسبوع في مثل ذلك ، وهو يتردد على بيت خولة ويزداد تعلقا بها . ولما أرف يوم الزفاف دعاه عمرو اليه وقال : « أريد أن أعقد لك عليها في دارى ، وتقيما عندنا حتى يتراءى لكما غير ذلك » . فعل عمرو ذلك التماسا لما عزم عليه من كسب عبد الله الى حزبه ، فشكر له عبد الله ، ولما حل الميعاد زفت خولة الى عبد الله ، وعقد قرانه بها على العادة المتبعة ، وعبد الله مغمم سرورا بهذا النصيب ، ولولا ما يجول في خاطره من القلق لغيب سعيد والخوف على الامام على لكان أسعد خلق الله لانه رأى في خولة ما طالما تافت اليه نفسه في النساء من التعقل والرزانة مع الجمال والذكاء فلما انفض حفل العرس دخل العروسان الى محجدهما

فلما خلا عبد الله بخولة تقدم لنزع الغطاء عن وجهها فأمسك النقاب ورفع فاعادته الى ما كان عليه ، فظنها تداعبه فضحك وقال لها : « بلوح لى انك لا تحبين عبد الله ؟ »

قالت وهى مطرقة : « يعلم الله انى لا اكرهه » فمد يده الى النقاب ثانية وحاول رفعه فمنعته . فتحير في أمره ، وأمسك يدها وقال بلهجة الجد ونفحة الحب العائب : « ما بال خولة تمنعنا مما أحله الله ودعانا اليه القلب ؟ »

وكانت خولة واقفة بجانب القراش فابتعدت عنه وأسندت ظهرها الى الحائط تبالغ في غطاء النقاب مطرقة ولم تحر جوابا

فاستغرب عبد الله سكوتها وتمنعها وظن في الامر خديعة ، فأظهر الجد وهو لا يزال قابضا على يدها حتى وقف بجانبها وقال لها : « ما الذى اراه يا خولة ؟ ما الذى تحدثك به نفسك ؟ ان كنت انما تفعلين ذلك خفرا فهو غلو لا محل له وقد عقد قراننا بحضور امير مصر ونخبة الاعيان والامراء . وان كنت قد اكرهت على القبول وانت تحبين غيرى فقولى »

فلما قال ذلك رفعت رأسها اليه ، وجذبت يدها من يده بلطف وقالت : « نعم انى احب غيرك ، ولكننى قلت لك انى لا اكرهك بل احبك بحجة الاخ لا بحجة الزوج »

نفث عبد الله وعلته الدهشة ، وكاد الغضب يغلب عليه لو لم يتجلىد ليعرف جلية الامر . فنظر اليها غاضبا وقال : « لقد رايت منك العجب ،

وأعجب منه احتقارك إياي مما لم أكن أتوقعه بعد عصبتيه هلا كشفت عن السبب ؟ »

فأمسكت النقاب وأزاحتها عن وجهها وقالت : « انى لا أرى الحجاب واحد بينى وبينك ، و لانا خائفة من اطلاعك على ما فى ضميرى . ولكننى أسأل سؤالاً اذا اجبتنى عنه بحت لك بسرى »

فقال : « أسألى فانى مجيبك »

قالت : « كيف رضيت عقد قرانك وابن عمك غائب ؟ »

فقال : « واى ابن عم تعنين ؟ »

قالت : « أعنى ابن عمك سعيدا الذى جئت معه الى الفسطاط ، الا يهكم أن تعرف ما آلت اليه حاله ؟ »

فاستغرب ذلك منها ، ولم يكن يعلم اطلاعها على شيء من ذلك فقال : « من أين لك ان تعرفى ابن عمى وما جئت من أجله الى الفسطاط ؟ »

فتنهدت وقالت : « عرفته بقدر من الله ، وانى أعجب من نسيانك تلك المهمة التى جئت من أجلها . هل تظن الامام عليا نجا من القتل ؟ »

فازداد عبد الله استغرابا ، ونسى ما كان يعد به نفسه من قريبها وهاجت به أشجانه ، وتذكر ابن عمه فقال : « لقد أذهلتنى ياخولة بما سمعته منك ، فافصحى عما فى ضميرك وأخبرينى كيف عرفت ابن عمى وما العلاقة بينه وبين تمنعك الليلة ؟ »

قالت : « أتعدين بالكتمان وحفظ الزمان ؟ »

قال : « نعم أعدك وعدا صادقا ، فافصحى فليس لى صبر على هذه الرموز »

فتنهدت وعلت وجهها حرة الخجل ، وهمت بالكلام فارتج عليها ، وعبد الله يتأمل ملاحظها ويراقب ما يبدو منها صامتا ، فلما لم يسمع منها شيئا . قال لها : « بالله لاتطيلى السكوت فقد نفذ صبرى ، قولى ما بدا لك وفرجى كربتى »

قالت : « أقول ولا أخشى لوما انى احببت سعيدا قبل ان أراك ، وهو أحيى على ما أظن ، وحبنا قائم على اشبراكنا فى الدود عن الامام على ما استطعنا . وقد ذهب سعيد ضحى الليلة التى أغرق فيها عمرو أصحاب عين شمس ، وهو يظنك فى جلة العرقى . ولا اظنه اذا عرف ببقاءك حيا الا طأثرا اليك من الفرح » . وقصت عليه حديثها مع سعيد من أوله الى آخره

ولم تكذ خولة تتم حديثها حتى اسنولت الدهشة على عبد الله ، وخيل اليه انه فى حلم ، ولما تحقق ان خولة تحب سعيدا وثابتة على حبه ، أحس لساعته انه لم يبق له حق فيها . وازدادت رفعة فى عينيه فقال لها : « اعلمى ياخولة انى أعدك أخا لى من هذه الساعة ، وانى سأبذل جهدى فى جمعك

سعيد فانه بمنزلة اخي . وقد اوصيت بكفالاته وصية مقدسة ، وقد احسنت انت بما بسطته من حقيقة حالك ، وعلى هذا ساسافر غدا الى الكوفة ، لايبحث عنه واستطلع ماجرى للامام على »

فاتبرته خولة قائلة : « لا تعجل يا عبد الله في ذهابك ، لاننا لانلث بعد قليل ان نسمع الخبر من عبيد بلال الذي رافق سعيدا الى الكوفة ، فقد اوصيته بالعودة حالا واظنه يصل الينا بعد ايام . واما الآن فاکتم مادار بيننا واجعل كأنك زوجي ريثما نرى مايكون »

فالتفت عبد الله اليها وقد ازداد اعجابا بحميتها وثبات جاشها ، وقال : « اني اهنىء اخي سعيدا بمثلك ، وارجوان يكون قد نجا من مكاييد القادرين . » وقد اراد بذلك قطام ، فانه ما زال يسيء الظن بها وقد أدرك انها هي التي وشت بهما الى عمرو بن العاص

فقال : « اني اتوقع رجوع بلال لاسمع منه ما آلت اليه حال الامام على ومعاوية ، هل نجا احدهمهما . اما عمرو فقد نجا والفضل في ذلك راجع اليك » فقال : « ولكنني انما بحث بذلك لعمرو فرارا من الهلاك ، ولم اذكر له المؤامرة على قتل معاوية لئلا يبعث اليه بمن يحذره فينجو »

قالت : « اني لم الملك قط » فهذه مشيئة الله . فالآن لابد من الصبر فامض الى فراشك وانا افترش هذا البساط »

قال : « لا والله انك لاتبتين الا على الفراش وانا اولي بهذا البساط »

وباتا تلك الليلة ، وقد سرت خولة بنجاتها مما كانت تخشاه . واما عبد الله فانه بات معجبا بخولة كل الاعجاب وقد أسف لحرمانه منها بعد ان عرف فيها هذه الخصال . ولكنه فرح لانها ستكون من نصيب سعيد

واصبحا في اليوم الثاني والناس لا يعلمون الا انهما زوج وزوجة ، وظلا مقيمين في دار الامير حتى قدرت خولة دنو الوقت الذي كانت تتوقع رجوع بلال فيه ، فاستاذنت في المضي الى بيت ابيها مخافة ان ياتي بلال في اثناء غيابها فيطرده ابوها او يتهدده فلا يراها هناك فيعود من حيث اتى

فوافقها عبد الله على ذلك ، واستاذنا عمرا في الذهاب الى بيت ابيها فاذن لهما فاستقبلهما ابوها بالترحاب



ولم يمض يومان على مكثهما في بيت خولة حتى قدم بلال ، وكان وصوله الى الفسطاط في اثناء النهار ، وابو خولة في حانوته ، وكان بلال قد دخل الفسطاط متنكرا فمر بحانوت سيده ونظر اليه خلسة فلما وجده هناك هروا الى البيت ودخل توا الى غرفة سيدته بلا استئذان ، فوجد عندها

شابا لا يعرفه ، وراهبجانبيه كانها جالسة الى شقيق او قرين . فبغت لذلك ولكنه أخذ بما آتسه من ترحابها به فقالت له : « أغلق الباب وادخل » . ففعل ودنا منها وهو ينظر الى عبد الله شزرا . فادركت خولة ما يجول في خاطره فقالت له : « لانسء الظن ، ان هذا أخى بعهد الله فاقصص علينا خبرك ، وقل لنا بادية ذى بدء كيف فارقت الامام عليا ؟ »

فسكت ولم يجب ، فالتحت عليه وقد ذهلت ، فأجابها بصوت مختنق : « ان عليا ذهب ضحية الغدر »

فدقت خولة يدا ييد وضاحت : « وا لهفى عليك يا أبا الحسن » . وقال عبد الله مثل ذلك . ثم قالت : « وماذا جرى لابن ملجم ؟ » . قال : « انه قتل شر قتلة وأحرق بالنار لعنه الله »

فقال عبد الله : « وكيف فارقت سعيدا ؟ »

قال : « فارقته بخير وعافية وقد سار للبحث عن تلك الخائنة اللعينة »

قال عبد الله : « أو تعنى قطام ؟ »

قال : « نعم ، وما أدراك ، انى اعنيها ؟ وكيف عرفتها ؟ »

قالت خولة : « ألم تعلم من هذا ؟ » . قال : « كلا »

قال : « ألم يذكر سعيد أمامك انه فقد ابن عمه هنا »

قال : « بلى » . قالت : « هذا هو عبد الله ابن عمه »

فبهت بلال وغلب عليه البكاء من الفرح وصاح : « انت حى يامولاي ؟ من لى بمن يحمل هذه البشرى لابن عمك ؟ . والله انى حاملها اليه الساعة بعد ان أسر الى سيدتى كلاما أوتمنت عليه »

فالتفتت اليه وقالت : « قل يا بلال ، ليس على عبد الله سر ، فهو أخى كما قلت لك . قل كيف فارقت سعيدا ؟ »

قال : « فارقته يامولاي . وهومشتاق لرؤيتك ، ولم يات معى مخافة ان يكون عمرو قد نجا من المكيدة فلا يامن على حياته . وقد علمت وانا مار فى الفسباط الساعة انه نجا وقتل غيره خطأ ، ولا أدري كيف حال سيدى معك فلا آمن عليكما منه »

قالت : « اعلم يا بلال ان ابن العاص تقم على ابن ملجم ورضى عنى ، وهو يجبنى حبه لأولاده . وهو لا يعرف سعيدا ولا أبى رآه ، فاذا جاء لم يكن عليه بأس وشأنه فى الفسباط شأن كل غريب يدخلها . فاقصص علينا خبر ابن ملجم والامام على وكيف قتله »

ثم أمرته بالجلوس فجلس متأدبا وقصص عليهما الخبر . فلما بلغ الى حديث قطام وما ارادته من قتل سعيد هاجت فى نفسها الغيرة والانتقام وقالت :

« فبج الله هذه المرأة ، انى اعرفها واسمع بدهائها فكيف انظلت حيلتها على سعيد ؟ »

فابتدوها عبد الله قائلا : « انى والله توسمت فيها الشر عندما رايتها » وقص عليها ما كان من امره معها ، فانكشفت لهما الحقيقة وشكرا الله على نجات سعيد ، ولكنهما حزنا على مقتل الامام على ، ثم استدركت في حديثها فقالت : « وهل سمعت شيئا عن معاوية ؟ »

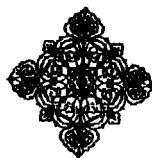
قال : « لقد مررت بدمشق في طريقى فعلمت انه نجا ايضا . وقص عليها خبره كما سمعه فعجبت لاحكام القضاء كيف تسمح بقتل على وتبقى على معاوية وعمرو ، ثم قال عبد الله : « واين سعيد الآن ؟ »

قال : « هو في انتظارى بدمشق ، فاذا امرت مولاتى عدت اليه حالا وجئت به على عجل ، وارجو ان يكون قد ظفربتك الخائنة وانتقم منها ، واذا لم يظفر هو بها فلسنت انا بئاركها حتى انتقم منها لما ارتكبته من الاجرام »

قالت خولة : « بورك فيك يا بلال ، فاذهب الان وات بسعيد على عجل » فقال : « وهل آتى به الى بيتك هنا ؟ »

فاستصوبت خولة سؤاله ، لان مجيئه الى بيت ابيها يعقد الامور ، فنظرت الى عبد الله كأنها تستفتيه فى الامر فأشار اليها بأنه يريد البحث معها فى ذلك سرا

فالتفتت الى بلال وقالت : « اخرج الان قبل ان يأتى أبى وهو نائم عليك ، لاعتقاده انك فررت بالجملين من داره ، وانتظر عبد الله فى المسجد الليلة وهو ينبئك بما تفعل »



العزم على الكوفة

خرج بلال وبقي عبد الله وخولة على انفراد فقالت خولة : « وما العمل يا عبد الله ؟ اخاف اذا جاء سعيد وارادنا الطلاق أن يفتح علينا باب الأخذ والرد ونحن نود كتمان الأمر فما الرأي ؟ »

قال : « أرى أن نلتبس من عمرو الأذن بالخروج من الفسطاط والذهاب الى الكوفة ، فقد كنت طلبت منه ذلك فأخبرني الى ما بعد عقد القران . فهم لا يعرفون الآن الا أنك امرأتى ، والرجل يذهب بامرأته حيث شاء . فلذا نسرنا الى الكوفة وأوصينا بلالا بأن يوافقنا بسعيد الى هناك عقدنا قرانكما هناك ، ولا رقيب علينا ولا واش . وإذا طاب لنا أن نعود الى الفسطاط عدنا بعد ذلك والا فاننا نقيم بالكوفة الى ما شاء الله »

فصممت خولة برهة تفكر في الأمر ، فرأت عبد الله مصيبا فقالت : « نعم الرأي رأيك ، ولكننى اعتدت الحياة في الفسطاط والفت الإقامة بواديها ولّى فيه الأهل والأصدقاء ، فإذا اتّيح لى البقاء فيها كان أولى وأبقى »

قال : « لا أنكر ذلك ، وهو ميسور لك فيما بعد ، وأما الآن فلا أرى خيرا من الذهاب الى الكوفة »

قالت : « وأخشى الا يأذن أبى في ذهابنا الى الكوفة فهو يريدنى أبدا بقربه ، وليس له سواى فلا أخاله يرضى بغير أقامتنا هنا »

قال : « نحتال ونتملقه حتى يأذن لنا ولو بعد حين ، ونوصى بلالا بأن يخبر سعيدا ان يبقى بانتظارنا حتى تأتبه »

قالت : « أفعل ما بدالك وعلى الله التوفيق »

قال : « فلنعد الآن الى دار الأمير ، فان خروجنا من عنده أسهل ، لانه هو الذى وعدنى باخلاء سبيلى للبحث عن ابن عمى سعيد ، فأذكره بوعده ولا أظنه يمتنعنا من السفر »

قالت : « نبيت الليلة هنا ونصبح الى دار الأمير »

قال : « حسنا » . فلما كان العصر خرج الى المسجد ، فوجد بلالا فى انتظاره فأوصاه بأن يذهب بسعيد الى الكوفة ويبقى بها حتى يأتيا اليه ، فسر بلال وأبتسم وقال : « هذا ماكنت أرجوه من مولائى ، لآنى أقدر على الانتقام من قطام اللعينة اذا كنت بالكوفة »

فضحك عبد الله وقال : « وأوصيك اذا ظفرت بها بالآ تعفون عجزها
لبابة فانها شر منها »



ولما رأى عبد الله نفسه بباب المسجد ، والصلاة قائمة والناس يدخلون
افواجا ، دخل مع الداخلين . فرأى ابن العاص على المنبر يعظ الناس وهم
صامتون ، فوقف حتى انتهى عمرو من خطبته وانقضت الصلاة ، فهم بالخروج ،
ولم يكذب يارج صحن المسجد حتى اعترضه بعض الشرطة قائلا : « تمهل
بامولاي أن الأمير يستوقفك لأمر يريد أن يخاطبك في شأنه » .
فقال : « وابن الأمير ؟ »

قال : « كان في المسجد ، وقد ذهب الآن الى داره من باب في المحراب »
قال : « وهل يريد مقابلتي الآن ؟ » . قال : « نعم »

فاضطرب عبد الله وخاف أن يكون قد وشى به أحد ممن اطلعوا على
مهمته في الفسطاط ، ومشى حتى أقبل على مجلس عمرو ، وكان اذا وصل الى
المجلس دخل بلا استئذان . فلما هم بالدخول اعترضه الحاجب قائلا : « تمهل
حتى نستأذن لك » . فوقف عبد الله ودخل الحاجب ثم عاد فقال : « ان الأمير
يريد الخلوة بك هذه الليلة ، فإذا اتيت في العشاء تعال وحدك »

فاستغرب عبد الله ذلك الشرط ، وأشكل عليه المراد منه ، فاستزاد الحاجب
ابضاحا وسأله : « هل المراد أن آتى وحدي من غير خولة ؟ »

قال : « اظن هذا هو مراده ، فانه قال : (ليأت وحده لكلام سألقيه اليه
على انفراد) . »

فعظم الامر على عبد الله وحسب لذلك ألف حساب . ولم تكن الشمس
قد مالَت الى الغروب فعاد الى البيت والهواجس تتقاذفه وظهرت عليه علامات
القلق ، فلما أقبل على خولة ورأت على وجهه آيات الاضطراب ابتدرته قائلة :
« ما بالك يا عبد الله ؟ ماذا أصابك ؟ انى أرى في وجهك قلقا ، قل رعاك الله
ما أوجب ذلك ؟ »

قال : « ليس هناك ما يوجب القلق » . واعتذر وأبهم
فلم تقنع ، ولكنها سكنت على أن تستطلع السر بلباقة بعد قليل . فقالت :
وهل رأيت بلالا ؟ »

قال : « نعم وقد أوصيته بما يقوله ليعيد » .

قالت : « وهل سافر ؟ »

قال : « اظنه يستريح الليلة خارج الفسطاط ويرحل في الغد مبكرا »

وفيما هما يتحادثان جاء أبوها والغضب باد عليه وكانت خولة تعرف حاله
 تو النظر اليه . فلما رآته هكذا ازداد اضطرابها وجعلت تفكر في غضب
 الاثنين . فخطر لها أنهما تخاصما ولكنها لم تجد سببا لذلك . ولم تجسر على
 سؤال والدها ؛ ولم ترد أن تلج على عبد الله فتركت ذلك الى الاختلاء به

وبعد قليل حضر الطعام فجلسوا اليه وليس فيهم من يتكلم الا تفضلا
 فلما انتهى عبد الله من طعامه نهض وقال لخولة ولأبيه : « اني ذاهب في
 حاجة تقتضى غيابي ساعة » . وكان قوله جاء طبق ما يرجوه أبو خولة ، فلم
 يسأله عن سبب ذهابه ولم يطلب منه التعجيل بالعودة

فازدادت خولة حيرة وظلت ساكنة ، ولم يخطر لها أن للذهاب عبد الله علاقة
 بما بدا لها في وجهه من الانقباض . ولكنها رافقته الى باب الدار وتوسلت اليه
 ألا يطيل الغياب . فأجابها بأنه لا يدري متى يعود ، ولم يشأ أن يبوح لها
 بسبب ذهابه ولا ترك لها فرصة للاستفهام ، فودعها وخرج وهو يسرع في
 مشيته ، وأفكاره تائهة فيما عسى أن يكون غرض عمرو من دعوته اليه في مثل
 هذا الوقت

ولما وصل الى دار عمرو خفق قلبه مخافة أن يسمع من الحاجب خبرا جديدا
 يزيد بلبale فلم يزد الحاجب على قوله : « ان الامر في انتظارك في غرفته »

فمشى عبد الله يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، حتى وصل الى الباب فلما هو
 مغلق فقرعه ووقف ينتظر فتحه فسمع خطوات تسرع نحو الباب يتخللها
 همس لم يفهم منه شيئا . وبعد هنيهة فتح الباب فإذا بعمرو نفسه يفتحه
 بيده ، فبغت لما رآه أمام عينيه وعلى وجهه دلائل الغضب . فحياه عبد الله فلم
 يزد عمرو على قوله : « وعليكم السلام » . وسار الى صدر الغرفة فتبعه
 عبد الله وهو ينظر الى جوانب المكان لعله يرى أحدا . فلم يجد . فالتبس
 عليه الامر لما سمعه من الهمس وهو واقف خارجا . ولكنه رأى في جدار من
 جدران الغرفة بابا عليه ستار والباب يستطرق الى غرفة أخرى فظن أن إحدى
 نسائه كانت عنده فلما علم بقدمه صرفها من الباب الآخر واستقبله . وظل
 يفكر في ذلك وهو ماش في أثر عمرو . فلما جلس هذا على مقعده وقف
 عبد الله بين يديه ينتظر أمره بالجلوس ، فأشار اليه فجلس على وسادة بالقرب
 منه وهو ينتظر ما يقوله وقد نفذ صبره

سكت عمرو لحظة وهو يعبث بدرة (سوط) كأنه يتشاغل بها عن قلق
 بخامر ذهنه ، ففتح عبد الله الحديث قائلا : « كيف حال مولاي الأمير ، وما
 الذي يأمر به عبده فقد لبيت دعوته وأنا راج أن يكلفني امرا اقوم بقضائه
 جزاء لبعض ماله من اليد على ؟ »

فالتفت اليه عمرو وهو بمشط لحيته وقال : « انما دعوتك لاسالك سؤالا
 واحدا ، وأرجو أن تصدقني الجواب بما أحسبني أجزله لك من الجميل

وابقيت عليك بعد ان رايت الموت، راى العين «
فوقف عبد الله احتراماً وقال : « يعلم الله انى لا انسى جيلاً اوليتنى اياه ،
باغضائك عن جريمة اقترفتها ، ثم بأنعامك على بحياتى وهى خير هبة ، فكيف
لا اصدقك القول ؟ » . قال ذلك وقلبه يخفق خوفاً من سماع ما قد يكون
سبب نفعته عليه

فأقعدته عمرو وقال : « بلغنى اليوم من مطلع على احوالك انك انما جئت
الفسطاط مع رفيقك سعيد للفتك بى فهل هذا صحيح ؟ »
فنهض عبد الله ثانية وقال ولهجة الصدق بادية على وجهه : « كلا يامولاي ،
ان ما بلغته كذب واقتراء »
قال : « وما الذى جاء بكما اذن ؟ »

قال : « اما وقد سالتنى ، فاسمح لى بأن اقول الحق وارجو منك ان
تصدقنى »
قال : « قل الصدق ولا تبال ، فلا بأس عليك الا اذا رايت فى كلامك عوجاً
فلا تلم الا نفسك »
قال : « اقسم برأس الامير انى لا اقول غير الحق ، ولكن حديثى طويل فهل
يسطه كله ؟ »

قال : « اجننى اولاً عن سؤالى موجزاً ، فاذا رايت ما يدعو الى التفصيل
طلبتك . سالتك عما دعاكما الى المجئ الى الفسطاط والاجتماع بتلك الزمرة
المعادية ؟ »

قال : « انما جئت للبحث عن الفادر الطامع فى قتل الامام على »
قال : « ولماذا ؟ » . قال : « لكى ابذل جهدى فى زجره واتقاذ الامام من
الموت ؟ »

قال : « كيف تفعل ذلك وانت اموى على ما اعلم ؟ »
قال : « لقد الجأتنى يا مولاي الى بعض التفصيل . ألم تعرف جدى
ابا رحاب ؟ »

قال : « بلى اعرفه وقد سمعت بوفاته قريباً »
قال : « نعم انه مات وقد كان الى يوم مماته يكره عليا ويدعو الى قتله ،
ولكنه فى يوم مماته استخلفنى واستخلف ابن عمى سعيداً الا نبغى شراً بعلى ،
بل اذا رأينا سبيلاً الى الدفاع عنه أن نفعل ، فلما سمعنا بالوامة علمنا أن
التأمر من اهل مصر ، ولكننا لم نعلم من هو فجئنا للبحث عنه وردعه بالتى
هى احسن . ولم نر سبيلاً لمعرفة الا عن طريق اصحاب عين شمس لانهم
على دعوة على »

فقال : « ألم تكن عالماً ايضا بتأمر رفيق ابن ملجم على قتلى ؟ »

فقال : « بلى .ولو لا ذلك لم استنطع اطلاقك عليه »
قال : « وكيف لم تطلعنى عليه حال قدومك ؟ الا تعلم انك تعد شريكا مع
القاتل ؟ » . قال ذلك ولحيته ترقص غضبا ولسان حاله يقول : « لقد لزمك
الحجة وتبينت خيانتك »

فقال : « نعم اعلم ذلك ، ولكن حلمك قد وسعنى من قبل ف عفوت عما مضى
وعمرتنى بانعامك ، فاذا رأيت أن تعود الى مطالبتي به كان لك الأمر . ولكننى
لا أخال مولاي الأمير اذا عفا عن مذنب يعدل عن عفو »

فلما سمع عمرو كلامه أفحم وسكت
وشعر عبد الله عند ذلك بقوة أثبت فيه ، وثارت الحمية في راسه فهم بان
يستأنف الكلام فانتدبه عمرو قائلا : « لقد علمت انك عرفت خولة قبل أن
أخطبها لك ، وأنها كانت عالة بخير المؤامرة فكيف لما ذكرتها لك ليلة الخطبة
نجاهتها ؟ »

فارتبك عبد الله ولم يدرك كيف يجيب ، ولكنه ما لبث أن استرد رباطة
جاشه ، فاعتزم التزام الصدق على طول الخط فقال : « حاش يامولاي أن
أخدعك ، فاني ورأسك وكل غال عندي ، لم أكن أعرف هذه الفتاة قبل أن
تذكرها لي »

قال : « وما تقول في اطلاعها على خير المؤامرة ؟ »
فتحير عبد الله في الجواب ، ولكنه تخلص فقال : « ليس لي أن أجيب عنها ،
فهى جاريتك وزهن اشارتك ، فادعها للمثول بين يديك وأسألهما ، ولا أشك في
أنها تقول الصدق . ولكننى أرغب الى مولاي أن يخبرنى عن وشى بنا اليه
لعلنا نكذبه بين يديك »

قال : « سأجمعكم جميعا وأسمع حجتكم جهارا ، فاذا سمعت أقوالكم
حازيت كلا بما يستحقه . اذهب الى فراشك عندنا ، وعد إلينا غدا » . قال ذلك
ونادى « ياغلام » . فدخل حاجبه فقال له : « خذ عبد الله الى غرفة بييت
فيها الليلة وأتني به غدا متى دعوته » . فقال الحاجب : « سمعا وطاعة »

وخرج عبد الله والحاجب يسير أمامه ، حتى دخل به غرفة في دار الأمير
التمس فيها النوم ، ولكنه لم يغمض له جفن طول ذلك الليل

وأصبح عبد الله حائرا ، لا يدري أخرج الى الأمير أم ينتظر حتى يدعوه
اليه . ولبث جالسا حتى الضحى وإذا بالحاجب قد جاء يدعوه الى مجلس خاص
عقده الأمير في غير مكان مجلسه العادى ، فمشى وهو يفكر فيما عسى أن يكون
امر تلك الجلسة ، ومن هو الراشئ ، وهل تستطيع خولة الدفاع عن نفسها بما
بضمن نجاتها

ولاحظ منه التفاتة الى ساحة البدار ، فرأى عبدا تذكر أنه وآه فيما مضى ،

ولم يلبث أن عرف أنه ربحان عبد قطام فاختلج قلبه وقال في نفسه : « انها والله وشاية هذه الخائنة » ، وأظنها أرسلته الى عمرو »

وما زال ماشيا يفكر في ذلك وقد زلزل زلزالا عظيما ، حتى رأى الحاجب دخل من باب ، فدخل هو في اثره ، فإذا هو في قلعة تصدها الامير عمرو بن العاص ، كأنه جالس للقضاء وعليه جبة بيضاء ، وعلى رأسه عمامة كبيرة ، وقد قعد الاربعاء على وسادة من الدمقس ، وفي يده الدرة والسبحة معا . فتقدم عبد الله نحوه وحياه دون أن يلتفت الى سواه . فآخذه عمرو بالجلوس ، في فتور لم يعهده فيه في مقابلاته الاولى . فجلس عبد الله في بعض جوانب الغرفة ، وأرسل نظره فرأى الى جانبه أباخولة ، وعن يسار عمرو ثلاث نسوة قد أرسلن الثقاب على رؤوسهن فلم يظهر منهن غير العيون من ثقوب فيه .

فعرف منهن خولة ولم يكن يجرؤ على التفرس في الآخرين حياء . فجلس وهو يسترق اللحظ ويفكر ، فخطر له أن أحدهما قطام ، جاءت هذه المرة لانفاذ حيلتها بنفسها . ثم ما لبث أن عرف الاخرى فإذا هي لبابة المعجوز ، فتحقق انهما وشتا به وبسعيد . وكانت قطام قد خلعت الحداد على أيها وأخيها بعد قتل الامام علي ، فارتدت كساء من الحرير الاحمر القاقع المزركش بالقصب ، من صنع فارس ، لا يستطيع لبسه الا الاغنياء . وكان ثيابها مزركش الاهداب يدل على يدخ وترف . وتصور عبد الله جمالها وفصاحتها وحيلتها فعلم أنها غلبت عمرا على رايه ، فأخذ يتأهب للدفاع

ومضت برهة والكل صامتون ، وعمرو ينظر الى الارض والدرة في يده كأنه ينكت السياط بها ، ويده الاخرى على لحيته بداعب شعرات منها بين أنامله ، والاهتمام باد في وجهه . ثم رفع بصره ونظر آلى الباب ونادى غلامه ، فدخل فقال له : « لا تأذن لأحد » . قال : « سمعا وطاعة » . وخرج

ثم التفت عمرو الى ابي خولة وقال : « اهدأ جزء احسانى اليك يا أباخولة ؟ » فوقف ابو خولة وقد عرته دهشة وقال : « ماذا حدث يا مولاي ؟ . انى ما زلت مخلصا لك ، خادما لمقاصدك »

قال : « ربما كنت كذلك ، ولكن خولة هذه (وأشار اليها) : تواطىء الناس على قتلى ، وتسعى في انقاذ ابن ابي طالب »

فلما سمع ابو خولة قوله ، مشى مسرعا حتى امسك ابنته وقال : « انى لا أعرها الا جارية من جوارى مولاي ، فإذا ارتكبت شيئا من ذلك فانى أذبها بين يديك » . قال ذلك وجذبها كأنه يريد تقديمها لعمرو

فقال له عمرو : « عد الى مكانك ، ودعها تتكلم ، فانى لا أريد أن أعاقبها الا بعد مقاضاة ، فإذا صح ما قيل عنها كان القتل أخف قصاص لها »

فلما سمع عبد الله تلك اللهجة الشديدة ، اختلج قلبه في صدره ، وخاف عاقبة تلك الجلسة ، ولكنه تجلد وصبر

دعوى قطام على خولة

ثم التفت عمرو الى خولة وقال : « ما قولك يا خولة ؟ »
فوقفت وقالت بصوت رائق وجاش ثابت : « ماذا أقول يا سيدي ؟ وأنا لا أعرف التهمة التي وشى بها اليك الواشون . فاذا صمعتها ذكرت لك الحقيقة ، ولك الأمر بعد ذلك ، فاذا استوجبت القتل فما أنا خير ممن قتل من رجال الاسلام في هذه الفتنة ! »

فعجب عمرو لتلميحها الى الأحداث التي وقعت اخيرا فقال لها : « مالك ولهذا الكلام يا خولة ؟ قولى ما جوابك عن سؤالى »

قالت : « اذا كان الأمير حرسه الله قد جعل دمي حلالا أن ثبتت التهمة على فلا اقل من أن اسمع التهمة الموجهة الى »

قال : « صدقت وسأمد لك في حبل الدفاع حتى تبدي كل ما لديك منه ، ولا أظنك الا مقرة بجنايتك ، لانها ثابتة ثبوت النور في النهار » . قال ذلك ثم أمرها بالجلوس ، فجلست

فقال عمرو وقد وجه حديثه الى قطام : « ما قولك يا قطام في خولة ، وما تعرفينه عنها ؟ »

وكانت قطام لما ارتاح بالها من أمر على وقتله ، وعلمت مما دار بين خادمها وبين بلال خادم خولة أنها تحب سعيدا وهي التي وجهت عندها معه واستحثته في الوصول الى على قبل انقضاء الأجل المضروب لقتله ، قد حملتها الغيرة ، وهاجها حب الانتقام وطاوعها خلق السوء الذي فطرت عليه أن تأتي الفسباط لتشى بها وبسعيد ، وهي لا تشك أنها تثبت الخيانة عليهما فتتقرب بذلك من عمرو فتتال حظوة في عينيه ، فتقيم عنده مكرمة أو يتزوجها أحد أبنائه . وكان عمرو يعرفها من قبل ، فأسرعت الى الفسباط ومعها عجوزها وعبيدها ، فوصلت اليها أمس ، وأسرعت الى عمرو وبشرته بمقتل الامام على ، ووشيت اليه بخولة وأنها كانت متواطئة مع سعيد على انقاذ الامام على ، وأنهما كانا يعلمان خبر المؤامرة على عمرو وسكتا عنها ، وقد كانا يستطيعان لو إخلاصا له أن يطلعا عليها . فأعارها عمرو أذنا صاغية ، وبعت الى عبد الله كما تقدم . ثم رأى من الحزم أن يجمعهم ويسمع أقوالهم قبل إصداره حكمه

فلما قالت خولة قولها ، وطلب عمرو من قطام أن تبسط التهمة ، نهضت ومشت خطوتين نحو الأمير ، وثوبها المزركش يجر وراءها تيهًا وبدخًا . ثم وقفت وقالت بلسان مبین : « أما ما يسألني الأمير عنه فلا أحتاج في إثباته الى دليل . وتفصيل الأمر أن مولاي الأمير يعلم إخلاصى له ورغبتي في خدمته ، حتى أننى عندما سمعت بمجتمع العلويين في عين شمس بعثت اليه رسولا يخبره خبره . ولو لم أجد من أبعثه في تلك المهمة لجئت بنفسى . ولم أذكر هذا الدليل الصغير الا تذليلا على إخلاصى . أما خولة واطلاعتها على خبر المؤامرة فأمر لا شك فيه لاني أعلم علم اليقين أن سعيدا ورفيقه هذا (واشارت الى عبد الله) لما قدمنا الفسطاط كانا عالمين بخبر تلك المؤامرة ، وقد سمعت ذلك منهما بأذنى . وهما انما أتيا للاجتماع بالعلويين . وبعثت يومئذ عبدى بخبر ذلك الى مولاي الأمير ، فلما عاد عبدى أخبرنى أن جند الأمير قبضوا على العلويين ، وأن عبد الله وسعيدا في جلتهم . ولم يكن يعلم أن سعيدا نجا بمساعدة خولة هذه . اما أنا فأنى عرفت ذلك لما عاد سعيد الى الكوفة مسرعا ، لاطلاع على بن أبى طالب على خبر المؤامرة ، غيرة منه عليه . وقد ترك حياة الأمير عمرو بن العاص في خطر . وكان رفيقه في عودته بلالا خادما خولة هذه ، فانه صحبه الى الكوفة ، وهناك التقيا وعبدى ربحان ، واتضح له من خلال الحديث أن بلالا وخولة عالمين بسر الأمر . ولما لم ينجح مسعاهما في انقاذ على ، فنعما بأن يكون مولاي حرسه الله قد أصيب بما أصيب به ذاك . ولكن الله سبحانه وتعالى انقذه من مخالب الموت وحرسه بعين عنايته . فترى يا مولاي مما قدمته أن خولة كانت عالمة بخبر المؤامرة ، كما كان يعرفها عبد الله وسعيد ، فلو كانت مخلصه لمولانا الأمير ما كتمتها عنه »

فقال عمرو : « وما الذى يثبت لنا أن سعيدا وعبد الله كانا عالمين بالمؤامرة على قتلى لما أتبا الفسطاط ؟ »

وكانت لبابة العجوز صامئة الى تلك الساعة ، فلما طرح عمرو هذا السؤال ابتدرته هى قائلة : « لا شك انهما كانا عالمين لأنهما أخبرانا بها ليلة سفرهما الى الفسطاط »



كانت قطام تتكلم وخولة مطرقة تفكر بماذا تجيب . اما عبد الله فانا لعن الساعة التى أتت فيها تلك الحادثة ، وخاف على خولة أن تتلعثم أو تفحم بالأدلة التى قامت على اتهامها

اما أبو خولة فلم يكذب يسمع حديث قطام حتى استشاط غضبا ، وصاح في خولة بأعلى صوته : « الله عليك يا خائنة ، لقد فهمت الآن تلاعبك ونفاقك ! »

ثم التفت الى قطام وقال : « متى لقي عبدك عبيد مع ذلك الرجل في الكوفة ؟ »

قالت : « ليلة ١٧ رمضان »

فأطرق برهة ثم اقترب من خولة وجذبها بيدها الى وسط القاعة وقال لها : « لقد انكشف لي القناع الآن وعلمت سبب سفر بلال ، فقد أرسلته مع حبيبيك ليساعده على انقاذ أبي تراب (على بن أبي طالب) . وقلت لي : (أنه فر بالجملين) . والواقع أنه أخذهما معه ليركب هو ورفيقه « . ثم التفت الى عمرو وقال : « ان أبنتي يا سيدي تستحق القتل ، فاقتلها أو دعني أقتلها بين يديك »

فوقف عبد الله وقد تارت فيه الغيرة على خولة ، وهو يظن سكوتها خوفا أو ارتياكا ، لأنه لم ير ملامحتها من وراء النقاب ، فأمسك أباه وقال برزانة وسكينة يخاطب عمرو : « التمس من مولاي الأمير وقد أمر ان تكون خولة زوجة لي ، ان يوقف أباه عند حده ، فهو الآن لا يملك من أمرها شيئا . أما اذا اقترفت هي ذنبا يستوجب قصاصا فالامر فيه لمولاي وليس لأحد سواه »

وكان عمرو قد اقتنع بثبوت الجريمة على خولة ، ولكنه أحب ان يسمع دفاعها ، ورأى عبد الله يتكلم بحق موعدل ، فقال لأبي خولة : « دع خولة فانت كما قال عبد الله لا تملك من أمرها شيئا »

فتنحى أبو خولة وهو يلهث ويدمدم ، ولحيته ترتعش على صدره . وتنحى عبد الله أيضا وخولة لا تزال واقفة . أما قطام فقد أزاحت خمارها فبان الابتهاج على وجهها لنجاح مهمتها

فقال عمرو : « ما بالك يا خولة لا تدافعين عن نفسك ؟ . اليس ما قالت قطام عنك صحيحا ؟ هل كنت عالمة بخبر المؤامرة على قتلى ؟ »

قالت : « نعم »

قال : « وهل عاونت سعيدا على انقاذ الامام على ، فأرسلت معه خادماك وجليك ؟ »

قالت : « نعم كل ذلك صحيح »

فتعجب عمرو وسائر الحاضرين من صراحة اقرارها ، وقد كانوا يتوقعون انكارها أو تلثمها أو سكوتها . فلما رآها تجيب بهذه الصراحة قال لها : « وكيف تظهرين الغيرة على صاحب الكوفة (على) مع علمك ان اباك لا يريد ذلك ، ثم لا يخطر ببالك ان تخبري اباك بالمؤامرة على قتلى لسكى يطلعني عليها ؟ . الا تعلمين ان عملك هذا يعد خيانة تستوجب عليهما القتل ؟ . وها اني لا ازال اظيل لك حبل الدفاع لاسمع كل أقوالك ، فاخبريني كيف

تكونين على غير ما يريدك وأمر البلاد ؟ وكيف تسمين في انقاذ على بن
ابن طالب ولا تسمين في انقاذ أمير مصر ؟
وقبل أن تهم خولة بالجواب اعترضتها قطام قائلة : « أرى مولاى الأمير
يتعب نفسه بما لا طائل تحته . هل بعد اقرارها الصريح شيء ؟ . وهل
لهذه الخائنة من دواء الا القتل ؟ »



قالت خولة وهى تنظر الى قطام شذرا : « سوف يتضح من هى الخائنة ،
وقد كان يجدر بك التادب في حضرة الأمير ، فانه أعلم منك بقواعد الحكم »
ثم وجهت خولة خطابها الى عمرو وقالت : « أرجو من الأمير أن يطلق
للسانى الحرية لأقول كل ما يحول في خاطرى »
قال : « قولى ما بدا لك »

قالت : « اما سبب مخالفتى ابنى في رايه وتحزبى للامام على ، فلانى صادقة
مخلصة في فكرى وقولى ، وهو المنحرف المتقلب . وما كنت لاصف ابنى بهذا
العيب لو لم يضطرنى الى ذلك »
قال عمرو : « وما معنى هذا ؟ »

قالت « يعلم مولاى الأمير ابن ابى ربن في نعمة الامام على ، وأنا في حجره ،
مع ايماننا بأنه ابن عم الرسول (صلعم) وانه على الحق في أعماله » . فأراد
أبوها أن يقطع حديثها ، فاعترضه عمرو والزمه السكوت فقالت : « فلما
كانت وقعة صفين كان ابى في جملة من خالفه من الخوارج في امر التحكيم .
فهو الذى انحرف عنه . أما انا فضلت على رايى ولا أزال عليه الى اليوم »
فقال عمرو وهو معجب بشجاعتها : « ولكن عليا شارك الجهال في قتل
الخليفة عثمان ، فقتلوه ظلما ونحن انما قمنا نطالب بدمه »

قالت : « اما مقتل الخليفة عثمان فارجو من مولاى الأمير الا يلجئنى الى
الخوض في شأنه ، لاني ربما اضطرت الى ما اتجنب ذكره »
قال : « وما الذى يخيفك بعد ما ابديته من الجرأة »

قالت : « يخيفنى غضب الأمير لأمر يعلمه »

قال : « قولى كل ما يبدو لك ولا تخافى »

قالت : « اما مقتل الخليفة عثمان فلا اظن مولاى عمرا الا من الراضين به »
فبغت عمرو وقال : « كيف تقولين ذلك يا خولة ؟ »

قالت : « ألم يكن مولاى في جملة المحاصرين لعثمان ؟ ألم تقل له : (قد
ركبت يا عثمان أمورا ركبناها معك ، تب يا عثمان وارجع الى الله) . فاسمعك

هو كلاما جارحا . ثم لما قال لك : (انى تأنب) . قلت له : (رأيناك تتوب ثم تعود) . . . »

قال : « وهل يؤخذ من ذلك انى كنت اريد قتله ؟ »

قالت : « كلا ولكنه يدل على انك كنت ناقما عليه »

قال : « انما كنت ناقما عليه ليرجع عن أعماله ويبقى على خلافته »

قالت : « لو كان هذا قصدك فقط لما فرحت بقتله »

فذهل عمرو من سعة اطلاعها على خفايا الأمور فسألها : « وما دليلك على ذلك ؟ »

قالت : « دليلي قريب اذا أمننى الأمير قتله »

قال : « قولى »

قالت : « ألم تكن فى فلسطين يوم قتل عثمان ؟ فكنت اذا لقيت احدا حرصته على قتله ؟ ألم تحرض عليا وطلحة والزبير عليه ؟ . ثم لما جاءك رجل أخبرك بمقتل عثمان ، ألم تقل : (أنا عبد الله اذا حككت قرحة نكأتها) . . ؟ »

فلما سمع عمرو قولها استغرب جراتها وغضب لتصريحها بأمور كان يود كتمانها ، ولكنه كان قد أمنها . وكان ذاهية يحول الكلام كيف يشاء فقال لها : « لقد أعجبني دفاعك يا خولة ولكننا لسنا فى معرض الدفاع عن على أو عن عثمان ، ولا بهما انحرافك أو انحراف أبيك ، وانما بهما اطلاعك على خبر المؤامرة على قتلى ثم سكوتك الى آخر ساعة وأبوك بين يدي كل يوم فكأنك اشتركت فى المؤامرة » . قال ذلك وهو يحسب أنه سد عليها أبواب الدفاع . وكان أشد الناس خوفا عليها عبد الله وقد خيل اليه أنها لم تعد تستطيع دفاعا بعد اقرارها السابق

اما هى فهمت بالكلام فاذا بقطام تقول : « انى لأعجب من حلم الأمير ، وما يرجوه من دفاعها عن ذنب اعترفت به صريحا »

فلم تعبأ خولة بكلام قطام ولكنها أجابت عمرا قائلة : « انى لا انكر عليك عظم هذا الذنب بالنظر الى ما كنت ترجوه من قيامى بأمر الحوارج وموافقة أبى على تأييد أمركم وتصديق دعواكم ودعوى معاوية من انكم على الحق ، وقد قدمت لمولاي انى فعلت ذلك وانا على دعوة الامام على فذنبى من هذا القبيل لا يعد شيئا بالنظر الى ذنب هذه المرأة (وأشارت الى قطام) التى انما جاءت بهذه الوشاية غيرة عليك وضنا بحياتك فاتهمتنى بالخيانة لانى كنت عالمة بخبر المؤامرة ولم أخبرك بها . فما الذى منعها هى عن اخبارك بذلك يوم ارسلت عبدها عبد السوء للوشاية بأصحاب عين شمس . فادا كانت هذه المرأة صادقة فى دعواها ألم تكن هى اولى منى باطلاعك على ذلك الأمر ؟ اسألها وانظر فى جوابها »

فانتبه عمرو وكأنه صحا من ذهول فرأى خولة على حق في دعواها
فالتفت الى قطام لفظة استفهام فلم يسمع منها جوابا . فقال لها :
« ما تقولين يا قطام ؟ لماذا لم تخبريني بخبر تلك المؤامرة »
فارتبكت واجابت مترددة وقالت : « لاني لم أكن عالمة بخبرها يومئذ »
فظهر لعمرو التلاعب في كلامها ، ولكنه اراد تحقق ذلك فقال لها :
« ولكنك قلت الآن أنك سمعت خير المؤامرة منهما ، فهل سمعته قبل
ارسال عبدك الينا او بعده ؟ »
فانخدعت قطام بسؤاله فأجابت على الفور : « لم أسمعه الا بعد سفر
عبدى وكنت عازمة على ارسال غيره فلم أتمكن لمشاغل انتابتنى »
فتقدم حينئذ عبد الله وهو يكاد يرقص فرحا بخذلان قطام وقال : « ولكن
عبدك يا مليحة لم يسافر من الكوفة الا بعد سفرنا ، لانه انما قدم الفسطاط
ليخبر الأمير بخروجنا من الكوفة »
فأشار عمرو اليه فسكت ، وعاد هو الى السؤال فقال : « ان هذه العجوز
ذكرت أنكما سمعتما الخبر متهما ليلة سفرهما . فما تقولين ؟ »
فغلب الحنق على قطام فقالت : « هذه عجوز حقاء غلب عليها الخرف فلا
يعتد بقولها »
فغضبت لبابة لعقوق قطام واهانتها إياها على هذه الصورة ، وهى تعتقد
فضلها عليها فقالت لها : « أنا لم أقل ذلك الا بعد قولك ، بما لك من خائنة .
كيف تقولين ان الخرف غلب على وأنت انما غلب عليك النفاق ؟ »
فاشتد حنق قطام ولم تعد تسمى ما تقول لفشلها وخجلها فقالت : « اخرسى
يا مجنونة ولا تتكلمى بين يدى »
فقالت لبابة : « بل أنت المجنونة وأنت الخائنة ، وإذا لم تلزمنى حدك اطلعت
الأمير على سرائرك وفضحت أمرك »
فقالت : « وماذا عسى ان تقولى وأنت خادمة لا يعتد أحد بأقوالك ؟ »
وكانت لبابة قد تحققت وقوع قطام في شر أعمالها ، فأرادت ان تخلص
نفسها وتنجو بحياتها ، فلم تر أهون عليها من التخلي عن قطام بفضح
اسرارها فقللت على الفور : « ان أسرارك كلها فى يدى ، وإذا اذن مولاي
الأمير كشفت له عن كل شيء »
فسرت خولة وعبد الله بذلك الخصاص . أما عمرو فرأى لدهائه وتعقله ان
خولة ممن يحرص على صداقتهن ، وانها اذا كانت على دعوته لا يخشى
انقلابها . وأما قطام فانها اذا اخلصت له اليوم لا يأمن ان تخونه فى الغد
فقال للعجوز : « قولى ياخاله ماذا تعرفينه ؟ »

فاخذت لبابة تسرد حديث قطام مفصلا من اوله الى آخره ، والكمل مصفون صامتون ، ففضحت اسرارها ، وعرف عمرو ان ارسالها عبدها اليه لم يكن حبا له ولا نصرة لحزبه ، بل انتقاما من سعيد وعبد الله . وتبين لديه ان هذين انما اندفعا للدفاع عن على بوصية جددهما ابي رحاب ، واتضح له طليا ان قطام خائنة لا يوثق بقولها ولا يعتمد عليها ، وان بقاءها على قيد الحياة شر على العالمين . ولم يكن اعتقاده في لبابة بأحسن من ذلك لأنه رأى خيانتها رأى العين فصمم على التخلص من كليهما وكانت قطام في اثناء حديث لبابة واقفة وقوف الصنم ، وقد جد الدم في عروقها واصططكت ركبتيها . وكانت في أول حديث لبابة تهم بتكذيبها وعمرو يسكتها ، ثم سكنت من تلقاء نفسها . فلما فرغت لبابة من حديثها نادى عمرو : « يا غلام » . فلما جاء حاجبه امره ان يسوق قطام وعجوزها الى السجن



فلما خرجتا من المكان ساد السكوت هنيهة ، وقد غرق عمرو في التفكير في خولة وشهامتها وصدق مودتها فرأى أنها إذا كانت على دعوته لا يخشى ضررها بل قد تكون أكبر عون له اذ يندر مثالا بين النساء ، وغلب على اعتقاده انها بعد مقتل الامام على لم يبق لها سبيل لنصرته ، فلا مانع يمنعها من الاخلاص له هو ، ولا سيما اذا عفا عنها وعن زوجها عبد الله وبعد السكوت هنيهة خاطبها قائلا : « والآن ما قولك ياخولة ، ما الذى نصنعه بك ؟ »

قالت : « لا ابالى يا مولاي ان تصنع بى ما تصنع بعد ان بسطت لك الحق فقد صدقتك القول ، فاذا امرت بقتلى فانى لا أزيد عدد الموتى ولا اقلل عدد الاحياء ، ولا فائدة من بقائى ولا ضرر من مماتى ، وقد ذكرت لك في أول حديثى انه قد قتل ودرج تحت التراب من لا افاق بأنملة من انامله . فهل انا أفضل من أبى بكر وعمر وعثمان ؟ أم انا خير من ابن عم الرسول ؟ (صلعم) . فاذا شئت فاقتلنى وأرحنى من حياة لا عدل فيها ولا حق . ولكننى اطلب اليك اذا قتلتنى الا تعفو عن تلك الخائنة الفادرة » . قالت ذلك ودمعت عيناها

فتأثر عمرو من صدق لهجتها وثبات جأشها فقال لها : « واذا عفوت عنك ؟ » قالت : « واذا عفوت فالعفو من شيم الكرام ، وتكون حياتى هبة من عندك » فتقدم عبد الله للحال وجشا بين يدى عمرو وقال : « أرجو من مولاي ان

بهبنى حياة هذا الملاك الطاهر ، كما وهبنى حياتى فتكون بدا تضاف الى
أيديه السابقة »

وكان أبو خولة واقفاً وقد سحر بما أبدته ابنته من الحمية والشهامة ،
وخجل لأنه لم يكن صادقا في إخلاصه لعلى مثلها . فلما رأى عبد الله يلتمس
العفو لابنته تقدم هو أيضا وقبل يدي عمرو وقال : « لقد كنت ياسيدى أشد
نقمة منك على خولة ، ولكننى أراها والله خيرا منى ، وأرأى أصغر منها
فألتمس لها العفو أيضا » . قال ذلك ونادى خولة فدنّت فقال لها : « قبلى
يد الأمير واستغفرى لذنبك » . ففعلت

وتصافح أبو خولة وعبد الله ، وعادا الى مقعديهما ، وقد تذكر عبد الله ابن
عمه سعيدا وعلاقته بخولة ، فقال في نفسه : « انها فرصة لا ينبغي ضياعها » .
ثم خاطب عمرا قائلا : « أما وقد وهبتنا حياتنا جزاء لصدق لهجتنا ، فلا
يسعنى والحالة هذه الا أن اتم الصدق بكشف سر لا يزال مكتوما »

فلما قال ذلك علمت خولة أنه سيتكلم بشأن سعيد ، فخفق قلبها وغلب
الحياء عليها ، فانزوت في بعض جوانب الغرفة
أما عمرو فقال لعبد الله : « قل ما بدالك »

قال : « انت تدعونى الآن زوج خولة ، وما انا والله الا اخوها »

فبغت عمرو وأبو خولة ، وقال عمرو : « كيف ذلك وقد عقد قرانكما ؟ »
قال : « نعم انها زوجتى في الظاهر ، ولكنها لا تزال بكرا وقد أختيتها فهى
أختى بعهد الله والرجل لا يتزوج أخته »

فازداد استغراب عمرو وقال : « وكيف ذلك ؟ أفصح يا عبد الله »

قال : « ان خولة أحببت ابن عمى سعيدا قبلى ، ولا بد انكم لحظتم ذلك من
خلال حديث قطام ، ولكننى لم أعلم ذلك الا بعد عقد قراننا ، ونظرا الى حبنى
الشديد لابن عمى ، وقد كفلته للى جدى أبى رحاب ، فقد أمسكت نفسى
عن خولة وأختيتها . وأعترف لمولاي الأمير ، اننا تواطأنا على الخروج بحيلة من
الفسطاط الى الكوفة وسعيد ينتظرنا هناك فازف له خولة »

فلما سمع عمرو كلامه ازداد اعجابا بشهامته وصدق مودته ، ونظر الى
ابى خولة كأنه يستطلع رايه في الامر ، فاذا هو لم يكن أقل اعجابا بتلك
الشهامة ولكنه لم يتمالك عن أن ينهض ويضم عبد الله الى صدره وقبل رأسه
وقال : « بورك فيك من صديق صادق ، أما وقد صارت خولة أختا لك فاقضى
لها ما أنت قاض »

فقال : « اذا أمر مولاي بعثنا الى سعيد في الكوفة مع بلال العبد ، فيقدم
الينا »

فقال عمرو : « على الرحب والسعة » . وأمر غلامه أن يمد عبد الله بما يريد ليتمكن من استقدام سعيد

فجهز عبد الله رسولا وكتب الى سعيد يستقدمه ويبسط له واقعة الحال ، وأوصى الرسول بأن يجعل طريقه على دمشق ، فسعيد كان فيها فلعله لا يزال هناك

واستأذن أبوخولة وابنته في الانصراف الى بيته ، فأذن لهما فخرجا وخولة تفكر في قطام ، وكانت قبل هذه الجلسة تريد الانتقام منها ، ولكنها لما رأت ما كان من فشلها انفثت حاة انتقامها . على أنها تذكرت أن بلالا أقسم أن يقتلها ، ناهيك بحقد سعيد عليها ، فعولت أن تستعطفه لكي يعفو عنها ويكتفى بما أصابها من الغسل والاهانة

وأما عبد الله فاستبقاه عمرو عنده بقية النهار ، وبات تلك الليلة ضيفا في دار الأمير ، وقد ارتاح باله من كل جهة . ولكنه كان يفكر في قطام وما أصابها من البلاء وكيف سيقى الى السجن مهانة وقد انكشف أمرها وافتضح سرها ، فخفت نغمته عليها واكتفى بأن تبقى مسجونة حتى يرى ما يكون من أمرها بعد قدوم سعيد

وفي الصباح التالي بعث عمرو اليه ليتناول الطعام معه فذهب ، وفي أثناء تحدثهما في شأن قطام وعجوزها ، ذكر عبد الله ما يجول في خاطره من الشفقة عليها فقال له عمرو : « والله انه حلم لم يسبقك اليه معن . وما ظنك بخولة هل تقول مثل قولك ؟ »

قال : « لا أظنها إلا على رأيي »



الجرمة والعقاب

أحب عمرو أن يعرف رأى خولة في قطام فلما جاءت سالها عن رأيها فيها ، فقالت مثل قول عبد الله

فقال لهما عمرو : « اتى والله لأعجب من هذا التوارد في خواطركما ، وانه دليل صريح على طيب عنصركما ، وقد كنت قاتلها لو اردتما قتلها لأنها شريرة تستحق القتل . فأرى اذن أن أسجنها في سجن مظلم لتذوق جزاء ما جنته يداها »

ثم نادى غلامه فحضر فأمره أن ينقل قطام الى سجن مظلم وأن يأتى بالعجوز اليه

فذهب الغلام ثم عاد مضطربا وجلا

فقال له عمرو : « ما وراءك هل فعلت ما أمرت به ؟ »

قال : « لا يا مولاي » . قال : « ولماذا ؟ »

قال : « لأنى وجدت الغرفة مفتوحة ، وليس فيها غير جثة المرأة العجوز »

قال عمرو : « وقطام ؟ » . قال : « لم أقف لها على أثر »

فصاح عمرو : « تبأ لتلك اللعينة الخائنة ، هيا بنا ننظر في الأمر بأنفسنا »

ونهبض لساعته ، وتبعه عبد الله وخولة ، حتى اتوا باب الحجرة التى كانت قطام مسجونة فيها . فاذا بالعجوز صريعة لأحراك بها . فأرسل عمرو الى طبيبه ليرى رأيه فى وفاتها فجأة ، ففحصها هذا وقال : « انها ماتت خنقا بعد جهاد وعراك فان فى فمها حجرا ملفوفا بمنديل سد القاتل به فاما لثلا تستغيث فيسمعها الحراس فينكشف أمره »

فقال عمرو : « ومتى كان ذلك ؟ »

قال : « أظنه وقع فى منتصف الليل أو نحوه »

ففحص عمرو باب الحجرة وعابن خلفه ، فتبين له انه خلع من الخارج لأنه رأى آثار الاداة التى عولج بها ظاهرة فى ظهر الباب فقال : « يظهر أن لقطام

شريكا ، لأن يدا عاجلت الباب وفتحته ، فمن فعل ذلك ياترى ؟ »

وكان عبد الله يشارك عمرا في الفحص ، فلما سمعه يشير الى خلع الباب انتبه لساعته وقال : « لقد كشفت الغامض وعرفت القاتل ، انه ريحان عبد قطام ، فقد رأيته في دار الامير آمن ، ولم أسمع أن الامير أمر بالقبض عليه ، فقلعه اندس وخلع الباب وساعد سيده على قتل العجوز انتقاما لها أو خوفا من لسانها »

فقال عمرو : « لقد أصبت ، انه ذلك العبد بعينه ، ثم أمر بالجثة فحملت ودفنت ، وعاد الجميع أسفين لقرار تلك الخائنة من أيديهم وأمر عمرو رجاله أن يبحثوا ويأتوه بها

أما بلال فانه لما بعثه عبد الله لينتظره مع سعيد في الكوفة ، سار الى دمشق ولقى سعيدا فروى له ما قر القرار عليه ، واستنهضه للمسير الى الكوفة ، فاستمعه يومين ريثما يقضى بعض حوائجه . وفي اصيل اليوم الثاني حملا أحالهما وخرجا على جليهما ، على أن يبيتا في غوطة دمشق ويستأنفا سفرهما الى الكوفة في الصباح

وبينما هما امام باب المدينة المؤدى الى الغوطة اذ لقيهما رسول عبد الله القادم للذهاب بهما الى القسطنطينية ، وهو يعرف بلالا فأوقفه ودفع الكتاب الى سعيد فقرأه وهو لا يكاد يصدق لعظم فرحه بالقبض على قطام وبرضاء عمرو وشوقه الى خولة

وأما بلال فأسف للقبض على قطام في غيبته ، مخافة أن يعفى عنها أو أن يقتلها أحد سواه وهو يريد أن يتولى أمرها بيده

فقال سعيد للرسول : « كنا في طريقنا الى الغوطة لنبيت فيها ونصحب ووجهتنا الكوفة ، فأرى بعد أن حملنا أحالنا أن نضل في طريقنا الى الغوطة فنبيت هناك ، ونصبح في الغد نلتبس القسطنطينية ، فصاروا جميعا حتى وصلوا قبيل الغروب الى بحيرة صغيرة حولها اشجار الحور تهب عليها ريح ناعمة فيسمع لأغصانها حفيف يمتزج بتغريد الطيور مما يشرح الصدر ولا ترى مثله الا في تلك الغوطة

وبعد المغرب حطوا أحالهم ، واشتغل بلال ورفيقه بأعداد العشاء

وكان بلال يعرف صاحب البستان ، وقد نزل عليه ليلة قدومه من القسطنطينية ، فترك سعيدا والرسول ومشى بين الاشجار في الظلام يتلمس طريقه الى بيت البستاني فما لبث حتى ضل الطريق لتكاثف الاشجار ، وجعل يتلمس على غير هدى ويزداد بعدا عن رفيقيه حتى أصبح بينه وبينهما ميل وبعض الميل وهو لا يدري ، فوقف ينظر من بين الاشجار لعله يرى نوراً أو

يتبين المنزل . ولبت برهة يعمل فكره ويحاول ان يعرف الجهة التى ترك فيها رفيقه لكى يعود اليهما

وفيما هو فى ذلك اذا بصوت أجفله وهو هدير جل ، أعقبه هدير جل آخر ، فعلم ان القادمين ركب أسى عليهم المساء قبل الوصول الى المدينة . فمكث ينتظر وصولهم ليستأنس بهم ويسألهم عن الطريق . فأسند ظهره الى شجرة وتطاول بعنقه ليتحقق الجهة التى منها الصوت . فسمع لفظا وكلاما فأصاح بسمعه فاذا بقائل يقول : « دهنأ نزل هنا باريحان ، فاذا اصبحنا دخلنا دمشق لأنى اخاف ان يشك فى امرنا اذا دخلناها فى الظلام ، الا تظننا فى امان هنا ؟ »

وسمع الجواب : « نعم يامولاتى »

فأقشعر جسمه عند سماعه ذلك الصوت اذ عرف فيه صوت قطام تخاطب ربحان وهى خائفة ، وتأكد انها آتية فرارا من سجن الفسطاط



وكانت قطام لما ارسلت الى سجنها حقدت على لبابة كما مر . ونظرا الى ما فطرت عليه من اللؤم والقسوة لم يكن أسهل عليها من قتل لبابة . وكان ربحان يومئذ واقفا فى دارالامارة ، فلما رأى سيدته ولبابة سائرتين مخفورتين علم انهما فى ضيق ، فراقب القوم بيصره حتى عرف الحجرة التى حبسوهما فيها . واعمل ذهنه لاتقاذهما ، وكانوا عند وصولهم الى الفسطاط قد نزلوا فى دار الامارة فاحتال فى اخراج الجمال والامتعة الى مكان خارج الفسطاط . ولما توسط الليل غافل الناس وجاء الى سجن قطام واخذ يعالج الباب ، فسمع لفظا فاذا هو خصام احتدم بينها وبين خادمتها . فاستعجل فتح الباب بالعنف ودخل ، فلما رآته قطام اشارت اليه ان يساعدها فى قتل لبابة فصاحت هذه : « تبا لك ياظلمة يا فاجرة ، انى اتوب الى الله عما ركبت فى سبيلك من الذنوب . واما أنت فلا نجاك الله من عواقب آثامك و » . فابتدرها ربحان ففسد فاهها وخنقها ، وخرج بسيدته من باب كان قد أعده باسترضاء بوابه . فلما بعدا عن الفسطاط تحول بها الى مامن كان قد أعده عند موقف الجمال . فركبا وهى تنشى على شهامته . فخيرها فى الجهة التى تسير اليها فاختارت دمشق ، لان فيها نفرا من أهلها كانوا قد هجروا الكوفة بعد وقعة النهروان وفشل الخوارج وأقاموا بدمشق

فسارا حتى اتيا الغوطة فى تلك الليلة بعد وصول رسول عبد الله بوضع ساعات كما مر

فلما تأكد بلال انهما قطام وريحان لم يعد يقر له قرار من مفرجه . وقال في سبه : « لقد اجاب الله سؤالى . والله انى سأذيقها الموت بيدي هذه . وجس لغته فرائى الخنجر فيها . فلبث مستظلا بالشجرة ليرى ما يكون منهما . فهاذا هما قد سارا خطوات قليلة حتى اتيا الى قناة لانحدار مائها خزر وبجانب شجرة من الصفصاف يستظل بها المارة فى اثناء النهار . فنزلا عن الجملين بحان القبة كالعادة وأوقدا النار ثم قال لمولاته : « اسريحى ياسيدتى استانى وآتى اليك ببعض الزاد والفاكهة وأنت هنا فى مأمن ولا تطل الغياب » . فانصرف



وكان بلال واقفا ينظر اليه . فلما رآه توارى نظر الى قطام على بصيص النار فاذا هى قاعدة وقد كشفت عن وجهها وعنقها وشمرت عن ساعديها ، ثم رآها نهضت وضفائرها مدلاة على كتفيها وظهرها وفى أطراف الضفائر دنائير معلقة اذا تصادمت فى اثناء المشى سمع لها رنين . ومشت الى حافة القناة ودمالجها وخلاخلها تخش خشيشا . فخاف بلال اذا أبطل أن تغوته الفرصة ، فوثب عليها وهى تهتم بالجلوس على حافة القناة وأمسك بطوقها وجذبها اليه فوقعت على قفاها فجثا على صدرها . فصاحت : « ريحان » . وقبل أن تتم كلامها وضع بلال قبضته فى فمها وقال لها : « لم يبق لك فى هذه الحياة الا دقائق قليلة ، فاعلمى قبل أن تغارقها انى بلال خادم خولة وسعيد ، وانى منتقم للامام على » . فأشارت اليه انها تريد الكلام فاستل الخنجر وصوبه الى عنقها وقال لها : « تكلمى بهدوء ، واذا رفعت صوتك اغمدت هذا الخنجر فى عنقك »

قالت : « ارحمنى يا بلال واشفق على حياتى »

قال : « لا يرحمنى الله ان رحمتك ، فقد ضاقت ابن ملجم وحرسته على قتل شابين من خيرة الشبان . ولكن حيلتك فيهما لم تنجح . واخيرا جئت الفسطاط لاغراء اميرها بخولة . . كيف ارحمك يا خائنة ؟ »

قالت : « ذلك قد مضى يا بلال وأنا تائبة بين يديك ، فاعف عني ، ولك كل ما أملكه »

قال : « هل يتوب الهر ؟ ! . اما العفو عنك فوالله لو عرفت قصاصا اعظم من القتل لقاصصتك به ، لان القتل قليل على فاجرة خائنة مثلك »
فهمت ان تجيبه فأدرك انها تماطله ريشما يعود ريحان

فقال لها : « اعلمي يا قطام اني قاتلك انتقاما للإمام على » . قال ذلك واضع
خنجره في عنقها وأسرع فاحتز رأسها وترك الجثة ولها شخير رن في أذنيه إلى
مسافة بعيدة . وكان لما رأى القناة قد تعرف الطريق المؤدى إلى مقر سه
فانسل بين الأشجار وقد أمسك الرأس من جدائله وتركه يتدلى والدم يقطر
منه



وكان سعيد ومعه الرسول قد استبطا بلالا ، وشغلا عليه
وقع أقدامه صاح سعيد فيه قائلا : « أين الفاكهة يا بلال ، لقد
علينا الجوع »
فلم يجبه بلال ، ولكنه ظل ماشيا حتى وقف أمامه ورمى الجمجمة بين يديه
وقال : « هذه فاكهتي »

فأجفل سعيد ونظر فاذا هو رأس قطام بأقراطه ووضفائره ، فاستغرب
الامر ، وسأله عن تفصيل الخبر
فقال : « ليس هذا وقت السؤال ، هلم نخرج من هذه الغوطة الآن ، فإذا
أمننا عيون الحكومة أخبرتكما الخبر »

فنهضوا ولم يدوقوا طعاما ، وركبوا جالهم واستحثوها جهدا طاقتهم ،
وهم تارة يصعدون تلا ، أو ينزلون غورا ، وآونة يغوصون في الماء ، وطورا
يدوسون الاشواك أو تتصادم رؤوسهم واكتافهم بغصون الأشجار . نختي
أنتصف الليل فانتهوا إلى سهل قليل الاغراس وقد بعدوا عن دمشق فواصلوا
السير إلى القجر ، وتحققوا أنهم أمنوا العيون

جلسوا للاستراحة على مصطبة بالقرب من عين ماء جارية ، وسعيد في
شوق شديد إلى سماع تفصيل مقتل تلك المرأة

فقص بلال حديثه وقلبه يرقص فرحا . وانما لأسباب سروره اخرج
الجمجمة من جراب كان قد خباها فيه ووضعها على المصطبة بين يدي سعيد
وكان شعرها قد تجمد بالدم ، والعينان مطبقتان والشففتان مفتوحتان عن
أسنان كاللؤلؤ ، ومسحة الجمال لا تزال تتجلى في محيا تلك المرأة مع صفاء اللون
واصفاراه وما تلتطخ به من الدماء



مد سعيد يده إلى جبين جمجمة قطام ، ولمسه فاذا هو بارد كالثلج فقال :
« آمنت بالله كأنه سبحانه وتعالى قد كتب لي ألا أمس هذا الجبين الا وهو

ميت وقد كنت اشتاق لمسه منذ اعوام . ثم وجه خطابه الى الجمجمة وقال
« انت قطام بنت شحنة ؟ وقد جاز دهاؤك ومكرك على مئات من الرجال
ابهاتين العينين فتنت ابن ملجم كما فتنتني ؟ وبهاتين الشفتين اغرته بقتل
الامام كما فعلت معي . انك ستلاقيه عاجلا في مكان لا تخفى فيه خافية . في
مكان تنال فيه كل نفس جزاء ما قدمت »

ثم التفت الى بلال وقال : « ماذا نعمل بهذه الجمجمة ؟ »
قال : « نحملها الى القسطنطينية لضعها بين قدمي خولة ذلك الملاك الطاهر »
قال : « لا اظنها تسر بهذا ولا انا سررت به . وزد على ذلك ان هذه الجمجمة
لا تصل الى القسطنطينية الا بعد ان تنتن وتتصاعد منها رائحة تنفر منها النفس »
فاطرق بلال هنيهة اسفا لحرمانه حمل الرأس الى خولة ثم قال : « فاسمع
لى اذن ان احمل اثرا منها »

قال : « وما هو هذا الاثر ؟ »
قال : « اقطع الاذنين وفيهما الاقراط واقص هذا الشعر وفيه الصفائر
الذهب »

قال : « لك ذلك فافعل »
ثم قرروا ان يسنريحوا هناك ويتناولوا القداء ثم يبرحوا المكان الى
القسطنطينية

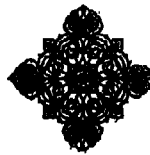


عاد ريحان من عند البستاني وقد اعد كل ما ترتاح اليه سيدته من
الفاكهة والاطعمة وامر البستاني ان يشوى بعض اليعام . ولما دنا من الخيمة
سمع شخيرا كشخيرا النائم وكانت قطام اذا نامت شخرت وهو يعرف فيها
ذلك . فقال في نفسه لعلها غلبها النوم على امرها من شدة التعب . ودنا منها
فاذا هي بجانب القنطرة والظلام حالك والنار التي اوقدها قد خمدت فلم ينتبه
لحالها . فقال في نفسه : « لا تيرن الشمع واعد الطعام ريثما يفيق » . فانار
الشمع . ولاحت منه التفاتة الى سيدته فراها تتحرك فاقبل اليها فاذا هي
ليخلج اختلاج النزاع وقد اصبحت جثة بلا رأس ، ورأى دمها قد عكر القنطرة .
فبغت ولطم وجهه ووقف لحظة يفكر فيمن عسى ان يكون قد فعل ذلك ،
فقال في نفسه : « لا بد ان يكون قد حدث هذا بايعاز من عمرو بن العاص ،
والقاتل قد فر الآن ولا سبيل اليه . فاذا انا صحت وجمعت الناس تقع التهمة
على رأسي »

فتجبر في امره ثم تذكر ما ارتكبته قطام من الفظائع كأنه يحاول أن يلتصق لنفسه مدرا اذا تخلى عنها . فرأى انها أقدمت على جرائم تستحق القتل على كل واحدة منها . وتذكر ما وراءها من المال الكثير والحلى الثمين ، وأنه هو وحده يعرف مخبأاتها في الكوفة . فطمع في الميراث وصمم على اغتنام الفرصة فهم بما عليها من الحلى فنزع الاساور والدمالج من يديها والعقود من عنقها ، وجمع ما في جيبوها وصناديقها من غالى الثمن وخفيف الحمل . وتركها غارقة في دمها ولسان حاله يقول : « ذلك جزاء القوم الظالمين » . ودخل الشام في الصباح التالي فاشترى اثوابا تنكر فيها ، وقصد الكوفة فأخرج ماخبأته قطام هناك من الاموال ، وأبتاع لنفسه ضيعة اقام بها

وأعد البستانى الطعام وحله وفيه الجبن والفاكهة والخبز في كيس من القش ، وجاء الى موضع الخيمة وهو مسرور بتلك الضيفة لأنها كانت كريمة تعطى الناس بسخاء . ولكنه ما وصل الى الخيمة حتى رأى الحال كما ذكرنا ، وليس هناك الا جثة قطام وكانت قد همدت وسكن شخيرها واختلاجها . فلا تسئل عن رعبه لما رآها في تلك الحال . فقال في نفسه : « لا شك أن جماعة اقوياء تجرأوا على هذا العمل ، وقد فعلوا ما فعلوا ونجوا بأنفسهم ، واذا انا اظهرت هذه الجثة جلبت على نفسى البلاء ، فعلى الا أن احتفر لها حفرة اخفيها فيها »

فاشتغل بالحفر وهو يحاذر أن يراه احد أو يسمع فأسه . ثم دفن الجثة واخفى آثار اللماء وحمل كل ما بقى من الامتعة الى بيته ، وساق جلا كان باقيا هناك ، وكنتم خبر تلك الحادثة عن كل انسان



طلاق . . وزواج

اما وفد الفسطاط فلما اشرفوا عليها من سفح المقطم ظهر لهم جامع عمرو في وسط المدينة كالبدري بين الكواكب ، فأرسلوا الرسول الى عبد الله لينبئه برجعهم ، وأوصوه بأن لا يذكر له خبر قطام وكان عبد الله قد خلا له الجو ، وصفا قلب الامير له ، ولكنه بقي مبجل الخاطر على سعيد ، وكلما تذكر فرار قطام من سجنها انقبضت نفسه ، وكلما لقي خولة تحادثا بما مر بهما وذكرا سعيدا وتمنيا سرعة وصوله ، وعبد الله يدبر أسلوبا يخبره به عن حقيقة حاله مع خولة وفيما هو جالس ذات صباح في غرفته بدار الامير ، اذا برسوله قد أقبل فصاح به : « ما وراءك ؟ »

قال : « ورائي سيدى سعيد وبلال »

قال : « واين هما ؟ »

قال : « تركتهما في سفح المقطم قادمين ، وجئت لأبشركم »

قال : « أهلا بالقادمين » . ونهض لساعته وخرج على فرس اسرج له ، ولم يكد يخرج من الفسطاط حتى التقى بسعيد وبلال على جلين ، فترجل بلال للحال وهم بيد عبد الله فقبلها

فقال عبد الله : « يورك فيك يا اسمر وبورك بشهامتك » . وهم سعيد بان يترجل فأشار اليه عبد الله أن يبقى على جله لينزلا معا في دار الامارة فساروا وسعيد يتسم فقال له عبد الله : « ما الذى يضحكك ؟ »

قال : « يضحكنى أننا ذاهبون الى دار عمرو بن العاص ، وقد كنا بالأمس نحاذر أن نسمع بنا أو يرانا »

قال : « الله في خلقه شؤون » . ثم قال بصوت خافت كأنه يحاذر أن يسمعه احد : « لو أراد الله نجاح مسعانا ونجا الامام على كرم الله وجهه لما أهمنا النزول بهذه الدار »

فقال بلال : « لا تذكرنى بذلك الحادث الفظيع فقد شهدته بنفسى ، ورأيت ابن ملجم اللعين بأم عيني يضرب الامام بذلك السيف المسموم ، وقد كان بيننا وبين انتقاذه لحظة لو أراد الله لمجلها . ولكن الأجل موهنة بأوقاتها »

قال : « ولكن الله سيجزى الظالمين ، أما نحن فقد صرنا الآن من حاشية ابن العاص ، وهو الحق يقال من دهاء العرب وكرامهم وكبار قوادهم »



وبقيا في مثل هذا الحديث حتى اقتربا من الدار فقال عبد الله : « لم أسمعك تذكر خولة . هل نسيتهما ؟ »
فابتسم سعيد وقال : « كيف أنساها وأنا إنما جئت التمسها »
قال : « وماذا تلتبس منها ؟ »
قال : « لا أدري ... »
قال : « أظنك تدري ، ألا فاعلم أن خولة الآن زوجتى ، وقد زوجنى بها عمرو »

فضحك سعيد وهو يظن ابن عمه يمازحه ...
فتظاهر عبد الله بالجد وقال : « يلوح لى أنك لم تصدق قولى ، فاقسم بالله وتربة أبى رحاب أن خولة قد زفت الى ، وعقد قراننا على يد الأمير . وإذا كنت لا تصدقنى فاسأل كل من فى هذه الدار عن ذلك »
فغلبت الشهامة على سعيد ولم يسهه إلا أن قال : « وما يمنع أن تكون زوجة لك ؟ بورك لك فيها . الست أختى ورفيقتى وابن عمى ؟ »
قال ذلك وهو لا يزال يشك فيما سمعه من عبد الله

ووصلا الى الدار ، فترجلا وسارا توا الى غرفة عبد الله ، وبعثا الى عمرو ينبئانه بقدومهما ، فأمر بأن يستقبل سعيد فى غرفة خاصة ، وبعث الى خولة وأبيها ، فلما جاءا أقبل عمرو الى الغرفة وقد اجتمع فيها الجميع وبلال واقف خارجا ، فلما دخل عمرو تقدم سعيد لتقبيل يده والسلام عليه ، فرحب به ودعاه للجلوس

فقال سعيد : « اذا أذن مولاي فليأمر عبده بلالا بالدخول ليحضر هذه الجلسة »

فأمر بدخوله فانزوى فى بعض جوانب الغرفة متأدبا وفى يده جراب من جلد

وكان سعيد ينظر الى خولة من تحت النقاب ، ويفكر فيما سمعه من عبد الله وهو يتردد بين الشك واليقين

فلما استتب بهم الجلوس خاطب عمرو سعيدا قائلا : « أظنكم تتوقعون ان تر ا قطام سجيئة ؟ »

فقال سعيد : « نعم يا مولاي »

قال : « ولكنها فرت من السجن ورادت ذنبها اجراما يقتل خادمتها . وكنا قد اردنا استبقاءها مسجونة . أما الآن فاذا ظفرنا بها فلا قصاص لها عندنا غير القتل »



فلم يتمالك سعيد عن الابتسام ، وقد ندم لانه لم يصرح بالأمر بادىء بدء ، وهم بالكلام فاعترضه بلال مستأذنا . فسكت فتقدم بلال الى عمرو وجثا بين يديه والجراب بيده وقال : « هل يأذن لى مولاي بكلمة أقولها ؟ » . قال : « قل »

قال : « كيف ترجون القبض على قظام وأنتم لا تعرفون مقرها ؟ »

قال : « نطمع الناس في البحث عنها بمال كثير »

قال : « وكم تعطون من يقبض عليها ؟ »

قال : « نعطيها مائة دينار »

قال : « اتشترطون أن يؤتى بها حية ؟ »

قال : « سواء علينا . جاء بها حية أم ميتة »

قال : « واذا جاء بخبر قتلها »

قال : « نقبل منه ذلك على أن يأتينا بما يثبت موتها »

فاخذ بلال يحل الجراب وهو يقول : « فليأمر مولاي الامير باعطائي مائة دينار » . وما اتم قوله حتى أفرغ الجراب بين يدي الامير ففاحت الرائحة وظهر الشعر الملطخ بالدماء وبلال يبحث فيه بأصبعه حتى وجد الأذنين وفيهما الأقرط

فأجفل عمرو وسائر الحضور لذلك المنظر واشمازت نفوسهم من تلك الرائحة الكريهة وصاح فيه عمرو : « ويلك ما هذا ؟ »

قال : « هذا هو شعر قظام ملطخا بدمها . وهذه أذناها وأقراطها .

واذا اخرجتموني جئكم براسها . فاني انما تخليت عنه اجابة لأمر مولاي سعيد » . قال ذلك ووقف وهو يشير الى سعيد

فقال سعيد : « نعم يا مولاي ، انا اشهد أن بلالا قتل قظام وحده ، واحتز راسها وجاءني به وهو ينوى حله اليكم ، فاشرت عليه بأن يكتفى بهذا الاثر تخلصا من نتن الرمة »

وكان الحضور قد بهتوا وهم ينظرون الى الشعر والاذنين فأشار عمرو الى بلال أن احمل هذه الاقدار من هنا . فأعادها الى جرابه وتحنى فقال له عمرو : « لك عندنا مائة دينار »

فشكر واثنى وقال : « انى أشكر مولاي الامير على نعمته وأعترف بين يديه بانى لم أقتل هذه الخائنة لئال ، وانما قتلتها انتقاما للعبد » . وأراد أن يفصل ما أجله فانتبه الى أنه لا يجوز ذكر الامام على في المجلس فاكتمى بما قال وتذكرت خولة ان اباهما كان قد غضب عليها من أجل بلال ، فاعتنمت هذه الفرصة لاكتساب رضا ابيهما عنه فقالت : « يا بلال تقدم وقبل يدى سيدك » . وأشارت الى ابيهما ، فتقدم بلال وقبل يده فلمسا هم القوم بالافصراف وقف عبد الله ووجه كلامه الى عمرو وقال : « أشهد ابها الامير ان امرأتى هذه طائفتى منى ثلاثا » . وأشار الى خولة

فأدرك سعيد ان ما قاله له صحيح وانه كان قد عقد قرانه عليها . ولمح الامير عمرو الاضطراب على وجهه فقال : « طب نفسا يا سعيد انما كان الزواج سوريا وقد صح الموقف الآن بالطلاق » . والتفت الى أبى خولة وقال له : « انى اخطف خولة منك لسعيد ؟ »

فقال ابو خولة : « هى جاريتك يا مولاي فاصنع بها ما تشاء » فاطرقت خولة حياء ، وعندما آن الاوان عقد قران سعيد بخولة في مجلس عمرو فبارك لهما وهماهما بالزواج

وبعد أيام استأذن عبد الله ابن عمه سعيدا في الذهاب الى مكة للاقامة بها مع ذويه ، ووَدع خولة والأصدقاء وسار الى مكة واقرن هناك بابنة عم له وعاش الجميع كل في مقامه عيشة لا يشوبها كدر الا حين يذكرون مقتل الامام على . ثم حين سمعوا بعد ذلك عن تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية بن أبى سفيان . فخرجت الخلافة من أهل البيت وصارت الى بنى أمية . وانما فعل الحسن ذلك حقنا للدماء ، ولم يتول الخلافة الا ستة أشهر ، فالتقل كرسيها من الكوفة الى دمشق ، وبقي فيها الى انقضاء دولة بنى أمية



روايت تاريخ الإسلام صدّرها

الابطل العثماني	فتاة القيوان
العباسية أخت الرشيد	الأميين والمأمون
استبداد المماليك	عزاة كربلاء
أبو مسلم الخراساني	الملك الشارو
شجرة الدر	عرويس فرغانة
شارل وعبد الرحمن	عبد الرحمن الناصر
أحمد بن طولون	عنداء قریش
فتاة غسان	فتح الأندلس
أسيه المتشدي	أرمانوتة المصريّة
الحجاج بن يوسف	جناد الحبشيين
١٧ رمضان	صلاح الدين الأيوبي